تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الثامن

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج
تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الثامن

دار المعراج

دار جوامع الكلم

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ
أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

سورة الفرقان [الآيات ١٢ - ٢٠]

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تدل على حتمية الحدوث.

﴿رَأَتْهُم﴾: تعود إلى نار جهنم، رأتهم يوم القيامة، إذن هي ترى أهلها ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. أهلها: أي: الكفرة والمشركون والعصاة، أيْ: أصحاب النّار، وهم يرونها ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر:٦].

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾: التغيظ: هو صوت غليان وفوران النّار، والتّغيظ في الأصل: إظهار الغيظ وهو شدة البغض الكامن في القلب، ووصفه في آية أخرى في سورة الملك آية (٨): ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أيْ: تنفجر وتتقطّع إلى أجزاء من شدة الغيظ. ارجع إلى سورة التّوبة آية (١٥) لمزيد في معنى الغيظ.

وزفيراً: هو الصوت الناشئ عن خروج الهواء من الرئتين.

شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره، وذلك لبعث الرعب والهول في قلوبهم.

[١٣] ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين وشرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾: الإلقـاء هو الرمي، (وهناك فرق بيـن الإلقاء والرمي) الذي يدل على المهانة وعدم الاهتمام.

الإلقاء: لا تعرف المسافة الّتي تلقي فيها، ويدل على الإهانة وعدم قيمتهم.

الرمي: تعرف المسافة والمكان الّذي ترمي فيه.

فهؤلاء الكفرة والمشركون لا يستحقون إلا الإلقاء، ولم يقل: ادخلوا فيها؛ لأن الدخول أفضل من الإلقاء فيه نوع من اللطف.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: أيْ: يلقون في مكان ضيق مـن النّار، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمـزة:٨-٩]. ضيقاً: والضيق مصدر يـدل على الثبوت؛ أي: الضيق أمـراً دائماً ثابتاً، وليس عارضـاً، ويدل على أنه مستمراً ولا يزول.

أيْ: مطبقة مغلقة أبوابها لا يسمح لهم بالحركة، وهذا نوع من أنواع العذاب بنفسه.

إذن المكان ضيق ومطبق ومغلق عليهم.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾:

١ - بالأصفـاد والأغلال، مقرنين قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والأصفاد تستعمل للقدمين.

٢ - وقيل: مقرنين مربوطين إلى الشّياطين قرن كلّ واحد منهم مع شيطانه (قرينه).

٣ - أو مقرن كلّ كافر ومشرك إلىٰ الآخر أيْ: بعضهم إلىٰ بعض.

﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: بعد الإلقاء يدعون ثبوراً، كأن يقولوا: يا ثبوراه: أيْ: يا هلاكنا يا خسارتنا ويا ويلنا احضر وخلصنا من هذا، اقضِ علينا وموّتنا.

ثبوراً: هو الهلاك والويل والخسران. وثبوراً: مصدر لفعل ثبر بمعنىٰ هلك حين يقولون: يا ثبوراه: يا هلاكنا احضر وخلصنا، فيقال لهم: خزياً وتبكيتاً: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً، بل ادعوا ثبوراً كثيراً.

[١٤] ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾:

أي: ادعوا ثبوراً كثيراً الواحد تلو الآخر، فلن يحصل ما تتمنونه من الهلاك.

أو ادعوا علىٰ أنفسكم بالهلاك والخسران المرة تلوَ الأخرىٰ.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾:

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: أذلك: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ والتقرير.

ذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ السعير. خير: أفضل مقاماً وأحسن.

﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾: أم للإضراب الانتقالي. جنة الخلد: جنة الإقامة الدائمة المستمرة إلىٰ ما لا نهاية.

﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: الّتي وعد الله تعالىٰ بها عباده المتقين بامتثال أوامر الله وتجنُّب نواهيه، الّذين صفة التّقوىٰ عندهم ثابتة.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾: ثواباً على تقواهم.

﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجعاً ونهايةً.

[١٦] ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾:

﴿لَّهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿فِيهَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والقصر؛ أيْ: فيها وحدها لا غيرها.

﴿مَا يَشَآءُونَ﴾: من نعيم الدائم من الملبس من الحرير والمطعم والمشرب والمسكن والزينة والمتاع والرزق. ما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: لا انقطاع ولا موت ولا خروج منها. والخلود: استمرار البقاء إلى ما لا نهاية يبدأ من زمن دخولهم الجنات، وأصل الخلود: اللزوم المستمر.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: الدخول إلى جنة الخلد، والخلود ولهم فيها ما يشاؤون.

كل ذلك كان وعداً وعده الله عباده الصّالحين على ألسنة الرّسل.

﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾: أيْ: وعداً من المسؤول وهو الله سبحانه، فمن هو السائل؟

السائل: هم المؤمنون: كانوا يسألونه ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٤].

أو الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر:٨].

والمسؤول: هو الله سبحانه وتعالىٰ؛ أي: المجيب لهم. ومسؤولاً: فيها مبالغة في تحقيق الوعد وحصوله، وهذا الوعد هو تكرم من الله، وتفضل ولا يعني الإلزام.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أي: القيامة ونكرة للتهويل والتعظيم.

﴿يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الحشر: هو السوق والجمع الكفار والمشركين وما يعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام.

من دون الله: من غير الله تعالىٰ.

ما: لغير العاقل وتشمل العقلاء وغلب غير العاقل لكثرة الآلهة والأصنام مقارنة بالعقلاء مثل عيسىٰ وعزير أو الملائكة.

﴿فَيَقُولُ﴾: للآلهة، أو المعبودين والأصنام ينطقها الله يوم القيامة وتتكلم كما تتكلم الأيدي والأرجل والألسن، وتشمل الملائكة وعزير وعيسىٰ والأولياء.

﴿أَأَنتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والإنكار والتوبيخ، وهو سؤال في الآخرة يوم القيامة.

﴿أَضْلَلْتُمْ﴾: أيْ: بالوسوسة والتزيين والإغراء والنزغ. أضللتم إياهم عن

الاهتداء والسير على طريق الحق والصراط المستقيم، وأوقعتموهم في الضّلال أم هم ضلوا السبيل بأنفسهم؟

﴿عِبَادِى﴾: وصفهم بذلك مع أنهم ضالون، ولم يقل: عبيدي؛ لأن الكل في الآخرة يطلق عليهم عبادي؛ لأنّه زال ما كان يميزهم في الدّنيا وهو الإيمان أو التكليف، ولا تكليف في الآخرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦)، وسورة الزمر آية (١٧) لمعرفة الفرق بين عبادي وعباد وعبيد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة يشير إلى الضالين، وقوله: أأنتم أضللتم عبادي بدلاً من أأضلتم عبادي فيها توكيد أشد ليعلم العبد الضال أنه مسؤول عن ضلاله بنفسه وليس غيره.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير. أم: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: هم: للتوكيد، ضلوا السبيل: السبيل التعريف بأل يعني: الدين القيم التام الكامل؛ أي: الإسلام.

بينما (سبيلاً) نكرة ووردت كلمة (سبيلاً) في ست آيات في هذه السورة، بينما السبيل وردت مرة واحدة.

سبيلاً: كلمة مطلقة لا تحدد نوع السبيل فقد يكون سبيل الإلحاد أو النفاق والغي والضّلال أو الخير أو الهداية أو الصلاح والرشد. وأما في الآية (٦٧) من سورة الأحزاب: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ فهي تدل على الصريخ، وامتداد الصوت،

والعويل لما يلاقوه في سعير جهنم. ارجع إلى سورة الأحزاب آية (٦٧) لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾:

﴿ قَالُوا ﴾: رداً على قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

﴿ سُبْحَانَكَ ﴾: تنزيهاً لك أيْ: ننزهك يا ربنا عما لا يليق بك من شريك، أو ولي، أو ولد، ومن عيب، أو نقص، أو شرك.

﴿ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا ﴾: ما: النافية؛ أيْ: ما يحق لنا أو يصح لنا.

﴿ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾: أن: للتعليل والتوكيد. نتخذ من دونك من أولياء: أيْ: ندعو النّاس إلى عبادة غيرك ونحن نعبدك وحدك.

﴿ وَلَٰكِن ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾: أيْ: أطلت لهم العمر، وأترفتهم بالنعيم ووسعت لهم الرزق والصحة والقوة هم وآباءهم.

﴿ حَتَّىٰ ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿ نَسُوا الذِّكْرَ ﴾: أي: القرآن ونسوا تدبره والعمل به، ونسوا ذكرك وحمدك وشكرك وعبادتك.

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾: جمع بائر: أيْ: هالك اسم فاعل من بار، أيْ قوماً هالكين، وهي مشتقة من الأرض البور الّتي لا تصلح للزراعة ولا تنبت.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾: بأنهم آلهة أيْ: كذبكم الّذين عبدتموهم بأنهم آلهة، ولم يقولوا لكم: إنهم آلهة أو أنهم أولياء مناصرون وشركاء يقربونكم إلينا زلفاً. بما: الباء للإلصاق والاستمرار، ما: اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما: للنفي.

﴿تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾: الصرف: هو أن تدفع بذاتك عن ذاتك أو نفسك الشر أو الضر، أو العذاب إذا وقع.

والنصر: ولن يستطيع أحد أن ينصرك أيضاً.

ولا نصراً: وتكرار (لا) يفيد التوكيد، وفصل الصرف عن النصر ولا كلاهما.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾: ومن: ابتدائية استغراقية. يظلم منكم: أيْ: يشرك بالله منكم خاصة.

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: نذقه: من الذوق: وهو إدراك الطعم، وتأتي في

سياق الرحمة والعذاب إذا لم يتب ويرجع إلى الله نذقه في الآخرة عذاباً كبيراً. نوع من أنواع العذاب الّتي منها العظيم والشديد والأليم والمقيم.

[٢٠] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾:

هذه الآية جواب لسؤالهم ما لهذا الرّسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وعيّر المشركون رسولَ الله بالفقر والفاقة، وحزن رسولُ الله ﷺ لذلك فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَآ﴾: ما: للنفي.

﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: ولم يقل: من قبلك. قبلك بدون (من) تعني: بزمن قصير أو طويل. ولو قال: من قبلك تعني فقط منذ زمن قصير.

﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾: إلا: للحصر، إنهم: للتوكيد.

﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: اللام: لام التوكيد، يأكلون الطعام؛ أيْ: جميع الرّسل السابقين كانوا بشراً يأكلون الطعام، ولم يكونوا من الملائكة.

﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: لقضاء حوائجهم، وهذا ليس بعيب أو محرَّم.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: الغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، هل ينفق الغني على الفقير ويخرج زكاة أمواله، وهل يحقد ويحسد الفقير الغني وهكذا يصبح كلّ واحد فتنةً للآخر.

الفتنة تكون في الخير والشّر، وتحتاج إلى صبر وتكون في الصحة والمرض

والقــوة والضعف والفتنة أبلغ من الاختبار والغايــة منها إقامة الحجة على العبد (ارجع إلى الآية (٣٥) من سورة الأنبياء للبيان).

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام بمعنى الحثِّ أو الأمر أي: اصبروا.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: كان تســتغرق كلّ الأزمنة في الماضي والحاضر والمستقبل. ربك بصيراً: بمن يصبر أو يجزع. بمن يشكر ويكفر.

❖ ❖ ❖

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

سورة الفرقان [الآيات ٢١ - ٣٢]

[٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: المكذبون بالبعث والحساب. الرجاء: عادة هو الأمل في وقوع الخير الّذي يعتري صاحبه الشّك أو الظن أو الخشية والخوف في وقوع الشّر الّذين لا يخافون وعيدنا أو لقاء الخالق.

اللقاء: مجرد الرؤية. والمقابلة: اللقاء الحقيقي.

﴿لَوْلَآ﴾: أداة حثٍّ وحضٍّ.

﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: لكي يخبرونا بصدقك أو بنبوتك، أو تشهد لك بالرّسالة (بصدق رسالتك) أو كانوا رُسلاً إلينا بدلاً من البشر.

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: أو للتخيير نرىٰ ربنا جهرة فيأمرنا باتباعك أو يخبرنا أنّك رسوله.

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: لقد أظهروا عظم شأنهم فوق ما يستحقون حين طلبوا تلك المطالب.

﴿لَقَدِ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: الألف والسين والتاء للطلب، أيْ: هم ليسوا أهلاً للتكبر ليس عندهم مؤهلات الكبر، أي: استكبروا من دون حقٍّ.

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: تجاوزوا أو أفرطوا بالظلم، أي: الضّلال والشّرك

والكفر وبالغوا في التّحدي وتجاوز الحدود. والعتو: هو أعلىٰ درجات الطغيان والظلم. والعتو: أشد وأثقل من العتي؛ لأن الواو أثقل من الياء، كما جاء في سورة مريم آية (٦٩) ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

عتواً كبيراً: أكد العتو بالمصدر عتواً، ثم وصف المصدر أنه كبير للمبالغة في العتو؛ لأنّهم عتوا علىٰ رسول الله ﷺ، وبالتّالي علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يقصد أنهم عتوا علىٰ بعضهم.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾: أيْ: هؤلاء الّذين سألوا أو طلبوا إنزال الملائكة عليهم أو رؤية ربهم سوف تتحقق أمانيهم بإنزال الملائكة عليهم، ولكن ليس لإخبارهم بصدق نبوة محمّد، ولكن لقبض أرواحهم عند الموت أو إدخالهم جهنم.

يومَ: نكرة للتعظيم والتهويل يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أيْ: لن يكون خبراً ساراً لهم، بل هي بشرىٰ بالعذاب واستعمل كلمة البشرىٰ الّتي تأتي عادة في سياق الخير والسار للتهكُّم والتوبيخ. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أيْ: تقول الملائكة لهم.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: حراماً محرماً أن تدخلوا الجنة. من الحجر وأصله المنع محجوراً صفة مؤكدة للمعنىٰ.

وقد تعود كلمة (يقولون) علىٰ المجرمين الّذين يقولون للملائكة حجراً محجوراً أي حراماً محرماً عليكم أن تؤذونا.

وكان الرجل إذا لقي من يخافه في الأشـــهر الحرم يقول حجراً: أيْ: حرام عليك إيذائي.

[٢٣] ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ ﴾: أيْ: نظرنـــا إلىٰ أعمالهـــم الّتي عملوها في الدّنيا أعمال الخير والصدقات وإغاثـــة الملهوف وصلة الرحم وإطعام الضيف وأحبطناها وأبطلنا ثوابها؛ لأنّهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم كافرون.

من عمل: من: ابتدائية استغراقية تستغرق كلّ عمل صالح.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾: الهباء: هو ما يخرج من الكوة مع ضوء الشّـــمس يشبه الغبار يسمىٰ الهباء. منثوراً: متطايراً في كلّ اتجاه يصعب جمعه. أيْ: حبطت أعمالهم وأصبحت كالهباء الّذي لا يرىٰ إلا بأشعة الشّمس ولم يعد لها أيُّ وجود أو ثواب أو قيمة.

وفي آيات أخرىٰ شبهها بالـ ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور:٣٩]، أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم:١٨].

[٢٤] ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾:

المناسبة: بعد ذكر ما سيؤول إليه عمل الكافرين، هباء منثوراً.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٤].

يتحدث عن أصحاب الجنة.

﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾: أصحاب تعنـــي المصاحبة والملازمة، فكأن الجنة لا تحب أن تفارقهم ولا هم يحبون أن يخرجوا منها، وأصحاب تفيد الملكية، فهم مالكوها، والصاحب يعني الّذي يُفيدك وينفعك.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم البعث والحساب أصلها يوم + إذ، يوم ظرف وإذ ظرف بمعنىٰ حين، أيْ: في ذلك الوقت أو حينذاك.

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: خيرٌ منزلة وإقامة وراحة وسكوناً.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: أفضل مكاناً للقيلولة والاستراحة. المقيل: في الأصل مكان القيلولة، ويعني: النوم في منتصف النهار بعد تناول طعام الغداء، وهل في الجنة قيلولة أو نوم؟ الجواب: لا، وإنما الحكمة من ذلك- والله أعلم- أن يذكرهم بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدّنيا. وكلمة خير تعني: أفضل وتستعمل في حالتين: خير يقابله شر وخير يقابله خير أقل منه مثل هذا خيرٌ من هذا.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾:

المناسبة: وقال الّذين لا يرجون لقاءنا: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربنا، فردَّ عليهم: تعالوا لأخبركم عن ذلك اليوم الّذي تنزل فيه الملائكة إنه يوم القيامة يوم الحساب.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: أيْ: انفطرت السّماء كقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]، وينزل من هذه الشقوق أو من جهة السّماء الغمام وهو سحاب أبيض رقيق يشبه ما أُنزل علىٰ بني إسرائيل حين كانوا في التيه، ويملأ ما بين السّماء والأرض.

وقيل: انشقت به: إذا كان عليها أيْ: كأنه هو الآلة الّتي تتشقق بها السّماء، أو انشقت عنه: إذا كان تحتها.

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾: أيْ: جماعات جماعات الواحدة بعد الأخرىٰ ليباشروا ما أمرهم الله به.

قال ابن عباس: تتشقق السّماء الدّنيا أولاً فينزل أهلها من الملائكة، ثم تتشقق السّماء الثّانية ثانياً، فينزل أهلها من الملائكة، وهكذا حتى السّماء السابعة.

وكلمة (تنزيلاً): تدل على قوة النزول وجماعة بعد جماعة.

ونظير هذه الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠].

[٢٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾:

﴿ٱلْمُلْكُ﴾: أي: الحكم فهو الحاكم ومالك الملك له السّموات والأرض وما فيهن وما بينهن، لا شريك له كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:٢٤].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة يوم ذاك أو حينذاك.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: لأنّه سبحانه هو الملك الحق أي: الثابت الدائم الحي القيوم، وكذلك مُلكه ثابت مستقر لا يزول ولا ينتقل، فهو المالك الحق ومُلكه الحق، وقيل: الحق نعتٌ للمُلكْ. ارجع إلى سورة الحج آية (٦)، وآية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: اللام: لام لاختصاص والملكية والاستحقاق. الرحمن: صيغة مبالغة من الرّحمة على وزن فعلان أي: المليء بالرّحمة. كثير الرّحمة، والرّحمن اسم لله تعالى يجمع كثيراً من صفات الله تعالى، والتي تتمثل بالرّحمة والرأفة والعفو والمغفرة، وتشمل الكافر والمؤمن والطالح والصّالح ورحمة تتجدَّد وتتكرر كلما يحتاجها المخلوق.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: عسيراً شديداً طويلاً لما يحدث فيه من الأهوال والعذاب الّذي يصيب الكافرين وكلمة يوماً نكرة للتهويل والتّعظيم.

وفي هذه الآية تهديد ووعيد للكافرين المكذبين بالآخرة ويوم القيامة والبعث، أما بالنسبة للمؤمنين ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣].

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أيْ: يوم القيامة. يوم يقوم النّاس لرب العالمين. وتنكيره يدل على التهويل والتعظيم.

﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: في ذلك اليوم يعض الظالم المشرك أو كلّ من ظلم نفسه وحمل الآثام والذنوب والظالم اسم جنس، وقيل: هو عقبة بن أبي معيط، كما روى ابن عباس وذكر الواحدي في أسباب النزول، أو غيره من الظّالمين، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

وعض الظالم على يديه أو على أنامله كناية تدل على شدة الحسرة والغيظ والندم على ما فرَّط في حياته في جنب الله.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾: يا: النداء، ليتني: من ليت: أداة للتمني المستحيل الحدوث.

﴿اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: سبيلاً نكرة أيْ: أيَّ سبيل مثل سبيل الشهادة لا إله إلا الله، أو الرشد، أو الإيمان أو أي سبيل يؤدي إلى النجاة من عذاب الآخرة، مع الرّسول: في دار الدّنيا أيْ: صدقت به وآمنت بالله، أو اتبعت الرسول وأطعته، وقد وردت كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في سورة الفرقان في ست آيات كلها بصورة النكرة، والسياق يحدد هل هو سبيل الرشد والخير، أو سبيل الغي والضلال؟ وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤) في سورة الأحزاب نجد أن السبيل بأل التعريف: يعني الإسلام، و﴿سَبِيلًا﴾: نكرة تعني: أي سبيل يؤدي إلى الخير، وحسن العاقبة.

[٢٨] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾:

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾: دعاء بالويل أصلها يا ويلتي: كلمة تحسر وجزع تستعمل عند وقوع أمر عظيم أو الضيق كأن المتحسر ينادي ويلته ويطلب حضورها بعد تنزيلها منزلة من ينادىٰ، فيقول: هذا أوانك.

﴿لَيْتَنِي﴾: ليت أداة تمني للمستحيل الحدوث أو فات الأوان، ولن يحدث ما يتمناه.

﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾: صديقاً حميماً، وفلاناً: مثل عقبة بن أبي مُعيط، أو أمية بن خلف أو الشّيطان. أو كلّ من أُطيع في معصية الله وأُرضي بسخط الله، وتقول: فلان كناية عن شخص لا تحب حتىٰ ذكر اسمه. والمهم بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب.

خليلاً: مشتقة من الخلة يعني: الصداقة. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٢٥) لمزيد من البيان في معنىٰ الخليل.

لماذا يتمنّىٰ لو لم تكن تلك الخُلَّة والصداقة مع فلان؟ انظر إلىٰ الآية التالية لترىٰ السّبب.

[٢٩] ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾: أيْ: صدني أو منعني عن اتباع الذكر أي: القرآن أو الإيمان بالله وذكره.

﴿عَنِ﴾: تفيد المجاوزة والابتعاد.

﴿ٱلذِّكْرِ﴾: أيْ: ذكر الله، والإيمان، والقرآن، أو الموعظة، والصلاة وغيرها من أنواع الذكر.

﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾: يدل على أنه كان ينوي الإسلام والاستماع إلى رسول الله. إذ: ظرف زماني للفجأة. أو بعد إذ جاءني الرّسول ﷺ به.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: كان تشمل أو تمثل كلّ الأزمنة. الشّيطان: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة والشّيطان هو إبليس وجنوده من كفرة الجن أو من شياطين الإنس.

﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾: اللام: لام التوكيد. الإنسان: أي: الكافر.

﴿خَذُولًا﴾: صيغة مبالغة كثير الخذل: الخذل: التخلي عنه عند وقت الحاجة والضرورة كالذي يمد للآخر حبل الأمل، ثم يتخلى عنه وقت الحاجة والضرورة أيْ: يخذله ولا ينصره ولا يعينه على شيء مهما كان بعد أن كان يتوقّع ذلك منه الوقوف بجانبه رغم أن الشّيطان لا يستطيع ذلك حتى ولو كان قادراً على ذلك، أو شبه خليله من الإنس بالشّيطان الّذي أضله أيْ: خذله، وليس الشّيطان الحقيقي أو تعني كلاهما.

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾: استعمل ياء النّداء الّتي تدل على البعد ولم يقل: ربِّ. لقد قال رسول الله ﷺ يا رب فقط مرتين في القرآن كله، هذه الآية والآية الأخرى هي قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف:٨٨]. أرجع إلى آية الزخرف للبيان.

﴿إِنَّ قَوْمِي﴾: إن: للتوكيد، قومي: فيها معنى الاستعطاف والحنان أضاف إليه القوم؛ لأنّه منهم يعرفونه ويعرفهم، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن الّتي ذكر رسول الله ﷺ كلمة قومي.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: من الهجر يعني: الترك أو قطعوا الصلة به، مثل عدم الاستماع إليه والإصغاء تركوا تدبره وفهمه أو تركوا العمل به وامتثال

أوامره واجتناب نواهيه. تركوا تحكيمه إلىٰ أنظمة أخرىٰ، ونسوا قول الحق: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

والسؤال: هل حصلت هذه الشكوىٰ ومتىٰ، أو ستكون في يوم القيامة كما قال بعض المفسرين؟

فمن قال: إن هذه الشكوىٰ ستكون في يوم القيامة حُجَّتهم أن الآيات جاءت في سياق الآخرة. مثل نزول الملائكة وتشقق السّماء وعض الظالم علىٰ يديه.

ومن قال: إنها شكوىٰ حدثت وتمت حين كذبه قومه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

ولما شكا الرّسول ﷺ إليه ذلك أنزل الله الآية التالية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾: أيْ: كما جعلنا لك أعداءً من مشركي قريش جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين. أيْ: من المشركين أو الكافرين والظالمين الطاغين.

من: تشير إلىٰ اسم الجنس. ومن تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

وهذا القول يفسره قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: ولم يقل: أعداء: عدواً تطلق علىٰ المفرد والجمع.

ويستعمل القرآن عدواً: إذا كانت العداوة سببها واحد، أيْ: إذا كانت العداوة مفردة، أو كانت عداوة لسبب واحد مثل الدِّين.

ويستعمل كلمة أعداء إذا كانت هناك عداوات مختلفة أيْ: عداوات لأسباب مختلفة مثل الدِّين والأرض والمال.

﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: كفى: أي: اكتف بربك أو يكفي ربك هو الهادي والنصير. فلا تحتاج إلى غيره فلا تجزع ولا تخف من قومك أو من المجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد في بيان معنى المجرمين.

بربك: الباء للإلصاق والتوكيد، توكيد الكفاية.

قال: هادياً ولم يقل: يهدي، هادياً تدل على صفة الهداية عنده ثابتة بينما يهدي جملة فعلية تدل على صفة الهداية عنده متجدِّدة ومتكرِّرة فهو سبحانه هادٍ ويهدي.

﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦].

وكفى بربك هادياً: إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وهو الإسلام الدين القيم.

هاديك إلى شؤون دينك وإلى الحكم بما أنزل الله وإلى كلّ أمر فيه خير الدّنيا والآخرة.

ونصيراً: على كلّ من يعاديك أو يمكر بك.

[٣٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا ﴾: أداة حضٍّ وحثٍّ.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾: قالوا: نــزل ولم يقولوا أنزل لمعرفتهم أنه نزل منجماً؛ أي: هم يريدوا أن ينزل؛ أيْ: دفعة واحدة كما أنزلت التّوراة والإنجيل والزبور بدلاً من أن ينــزل منجماً مفرقاً أو بالتدرج، وكأنه في نظرهــم عيب أن ينزل القرآن منجماً، أو هم يحاولون أن يجدوا لهم عذراً لكي لا يؤمنوا، أو ليكون لهم حُجَّة واهية على عدم إيمانهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل.

وهم نســوا أن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّــماء الدّنيا في ليلة القدر.

وفي آية أخرى قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١].

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: تعني: أنزلناه منجَّماً مفرَّقاً. الكاف للتشبيه، و(ذلك) تشير إلى إنزاله منجماً.

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾: اللام للتعليل والتوكيد، فهذا سبب وهناك سبب آخر هو ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦] أيْ: حتى يتيسر حفظه وتدوينه.

نثبت به فؤادك: الفؤاد القلب، هذه هي الحكمة. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لبيان معنى الفؤاد.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾: الترتيل القراءة أكثر من كلمة، أيْ: رتلنا لك الآيات الآية بعد الأخرى (عن طريق جبريل عليه السلام) أيْ: شيئاً فشيئاً، ترتيلاً تفيد التوكيد.

❖ ❖ ❖

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

سورة الفرقان [الآيات ٣٣ - ٤٣]

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾:

﴿وَلَا﴾: لا: النافية.

﴿يَأْتُونَكَ﴾: الّذين كفروا.

﴿بِمَثَلٍ﴾: كما في الآية السّابقة، وقال الّذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. شبَّه سؤالهم بالمَثَل؛ لأن أكثر هذه الأسئلة سئلت من قبل للأنبياء والرسل الذين جاءوا من قبلك، ثم تكررت كثيراً حتىٰ أصبحت كالأمثال التي تتكرر علىٰ ألسنة الناس، أو أسئلتهم عجيبة تشبه الأمثال.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، والحق: الّذي يدحض قولهم ويبطل حجتهم والحق هو القول الثابت الّذي لا يتغيَّر.

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أحسن من مَثَلِهم علىٰ وزن أفعل التفضيل، أيْ: أبين معنىٰ وأفضل دليلاً وحجة.

ثم أخبر عن مستقرِّهم في الآخرة فقال:

[٣٤] ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: أي: الّذين كفروا.

﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: يحشرون: الحشر هو السوق والجمع أيْ: يسحبون إلىٰ جهنم تسحبهم الملائكة علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم.

أو يجرون أو يمشون على وجوههم إلى جهنم، فقد سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ﷺ: «أليس الّذي مشاه على رجليه في الدّنيا بقادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». رواه البخاري ومسلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد الذم يشير إلى الذين ينكرون البعث، والذين قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وغيرهم من كفار مكة.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾: مثوىً وصف المكان بالشر للمبالغة؛ لأنّهم هُم الأشرار.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: وصف السبيل (الطريق) بالضلال للمبالغة أيضاً.

أضل سبيلاً من غيرهم من الكفار، ولم يقل: أشر مكاناً وأضل سبيلاً؛ لأن كلّ مكان في جهنم هو شر وليس غيره أفضل منه.

في هذه الآية يحشرون على وجوههم إلى جهنم.

في الآية (٩٠) من سورة النمل: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾.

في الآية (٦٦) من سورة الأحزاب: ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾.

في الآية (٤٨) من سورة القمر: ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

في الآية (٩٧) من سورة الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

واختير الوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الّتي تميِّز الإنسان، وفيه معظم الحواس.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: آتينا وليس أعطينا. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للمعنى ولبيان الفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة. التام الكامل.

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾: معيناً ومساعداً في تبليغ الرسالة. ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة طه للبيان. وفي هذه الآية تعريض بالرد على المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾؛ أي: أن موسى لما طلب أن يكون له وزيراً (مساعداً) واستجاب له ربه بهارون، ولم يؤيده بملك من الملائكة كما يقترح كفار مكة، وإنما أيده برسول مثله.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾:

﴿فَقُلْنَا﴾: إلى موسى وهارون.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أيْ: قوم فرعون.

انتبه إلى قوله: الّذين كذبوا بآياتنا: كيف وقع التكذيب منهم بآياتنا ولم يحدِّد ما هي الآيات، هل هي الآيات التسع، أم بالآيات الكونية وهم لم يذهبا بعد إلى قوم فرعون.

التكذيب هنا قد يعني بالآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى، أو الآيات الّتي جاء بها الرّسل من قبلهم، أو يخبرنا الله تعالى بالنتيجة وبأنهم لن يؤمنوا من علمه الأزلي وما في اللوح المحفوظ.

﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾: بإغراقهم في اليم (البحر) ودمر: قضينا عليهم وأهلكناهم من دون إذن أو سابقة إنذار.

[٣٧] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: بالنصب بتقدير: واذكر قوم نوح.

﴿لَّمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾: هم كذبوا نوحاً رسولهم، فلماذا قال: كذبوا الرّسل بدلاً من رسولهم؟

لأن الرّسل رسالتهم واحدة، فمن كذب رسولاً فقد كذب كلّ الرّسل، أيْ: تكذيب رسول واحد كتكذيب جمع الرّسل. والرّسل: اسم جنس.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: بالطوفان وهذا كان عذابهم في الدّنيا، أما في الآخرة فلهم عذاب أليم آخر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾: اللام: لام الاختصاص، أيْ: للناس كلّ النّاس وقدَّم للناس على الآية بدلاً من وجعلناهم آية للناس، أيْ: جعلناهم آية من الآيات الكثيرة الأخرى الّتي للناس مثل آية قوم لوط وصالح.

أما حين يقول: وجعلناهم آية للناس: أيْ: هي الآية الوحيدة الفريدة أيْ: لم نغرق غيرهم. فقد أغرقنا آل فرعون وغيرهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أيْ: أحضرنا، ويختلف عن الإعداد وهو التهيئة، والإعداد يأتي في المستقبل، أما أعتدنا في الحاضر؛ أي: الحال؛ أي: اغرقوا ففرقوا وماتوا.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: المشركين أو الظالمين بكفرهم وتكذيبهم لرسلهم.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الآخرة شديد الإيلام لا يقدر أحد على تحمله. ولم يقل: أعتدنا لقوم نوح عذاباً أليماً. وإنما أجمل وأدخل قوم نوح في عداد الظالمين.

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: كلها جاءت منصوبة بتقدير: واذكر عاداً وثمودَ.

عاداً: قوم عاد ورسولهم هود سكنوا الأحقاف.

وثمودَ: قوم ثمود ورسولهم صالح. سكنوا الحِجر (مدائن صالح).

وأصحاب الرس: ذكرهم الله تعالى في آيتين هذه الآية والآية الثانية في سورة ق آية (١٢).

أصحـــاب الرس: الرس هو البئر، أيْ: أصحـــاب البئر وقيل: الرس قرية ما اختلف المفســـرون في الرس في أيِّ البقاع قيل: فـــي أذربيجان أو قرب اليمامة. وقيل: تســـميتها بالرس؛ لأنّهم أرســـوا: أيْ: أغرقوا نبيهم، أيْ: أرســـوه في البئر حفروا له بئر وألقوه فيها فأهلكهم الله، وقيل: هم الّذين قتلوا حبيباً النجار أغرقوه في بئر لهم، واختلف في زمنهم ومن هم؟ فلا داعي للخوض في قصتهم من دون برهان قاطع.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: أيْ: بعـــد قوم نوح وعـــاد وثمود وقبل أصحاب الـــرس أو بين عاد وأصحاب الرس أو بين ذلك الّـــذي ذكرناه أيْ: قروناً بين كلّ هؤلاء.

قروناً: جمع قرن: والقرن يعادل (١٠٠ عام) أو قوم عاشوا في نفس الفترة الزمنية.

بين: ظرفية الأصل أن تكون ظرفاً للمكان، وقد تأتي ظرفاً للزمان بحســـب ما تضاف إليه.

ذلك: اسم إشارة تشير إلىٰ نوح وعاد وثمود، وأصحاب الرس.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾:

﴿وَكُلًّا﴾: تعود علىٰ المتقدم ذكرهم من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً.

والواو قد تشير إلىٰ هؤلاء وغيرهم أيضاً أيِّ الكل.

﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: كشـــفنا لهم الحقائق وبيَّنَّا لهم مـــا أصاب غيرهم من الهلاك والبلاء وأنذرناهم ووعظناهم وحذرناهم.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: تكـــرار (وكلاً): تفيد التوكيـــد؛ أيْ: مزقناهم كلّ ممزق، أو جعلناهم كأعجاز نخل منقعر أو حصيداً خامدين.

تبرنا تتبيراً: التتبير: التفتيت والتكسير يعني: الإهلاك والدمار. ومنه التبر: فتات الذهب والفضة أو الزجاج.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو استئنافية. لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَتَوْا﴾: أيْ: مروا على والضمير يعود على كفار أو مشركي مكة. أيْ: مروا على القرية أثناء رحلاتهم التجارية بين الشام ومكة، أو سفرهم.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿الْقَرْيَةِ﴾: معرفة بـ(ال) التعريف، أيْ: قرية سدوم أعظم قرى قوم لوط.

﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾: أمطرت بالحجارة من سجيل الّتي أشارت الدراسات العلمية الحديثة أنها نتيجة انفجار النيازك المكونة من معادن مختلفة مثل الحديد أو النيكل وغيرها تسقط على الأرض بشكل حجارة، سقطت على قوم لوط بشكل مطر سماه الحق مطر السوء الذي دمرهم وأهلكهم.

من السوء: مصدر ساءه، أيْ: فعل به ما يكره.

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتعجب والتقرير والفاء للتوكيد.

﴿يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: في سفرهم ورحلاتهم إلى الشام أو فلسطين، أيْ: أفلم يمروا عليها ويشاهدوها؟ الجواب: نعم.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾: بل: للإضراب الانتقالي. يرجون: من الرجاء. الرجاء تعريفه: الأمل في الخير والخشية والخوف في الشر فهم كانوا لا يخافون أو يخشون البعث والحساب والجزاء.

نشـــوراً: الإحياء بعد الموت، أيْ: لا يظنون أنهم سيبعثون بعد موتهم ولا يرجون ذلك. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

أيْ: كان من المفروض أن يعتبروا ويأخـــذوا عبرة ويتعظوا برؤيتهم لقرىٰ لوط، ويصلوا إلىٰ الحقيقة، ولكن ذلك لم يحصل فهم ســـواء أتوا أو لم يأتوا لا يؤمنون بالنشور والحساب.

[٤١] ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾:

لم يتوقف المشـــركون والكفار بالتكذيب بالبعث والنشور وعدم الإيمان، بل تعدَّىٰ إلىٰ الاستهزاء والسخرية بالرسول ﷺ.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾: إذا: ظرفيـــة زمانية وشـــرطية، تعني: الحتميـــة الوقوع وإذا ﴿رَأَوْكَ ﴾: في مجلس أو في الطريق أو في عبادة.

﴿إِن ﴾: تعليلية.

﴿يَتَّخِذُونَكَ ﴾: النون في يتخذونك للتوكيد، أي: الأخذ باللسان يتكلمون فيك باستهزاء.

﴿إِلَّا ﴾: أداة حصر.

﴿هُزُوًا ﴾: الاســـتهزاء هو تصغير قدر الآخر أو التحقير والاستخفاف أو العيب به، والطعن أمام النّاس أو في خلوتهم ببعض.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾: هذه كانت صيغة الاستهزاء.

أهذا: الهمزة همزة استفهام وتعجب، وفيه معنىٰ التهكم والطعن.

أهذا الّذي بعث الله رسولاً: الّذي اسم موصول، بعث: أرسل الله رسولاً والبعث يختلف عن الإرســـال. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

أيْ: في نظرهم أن رسول الله غير مؤهل لحمل هذه الرسالة فهم يريدون شخصاً هم يختارونه بأنفسهم، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

[٤٢] ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الندرة أو القلّة.

﴿كَادَ﴾: من أفعال المقاربة، أيْ: قارب أن ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: أيْ: يصرفنا عن عبادتها بدعوته للتوحيد، ولم يحصل ذلك.

﴿لَوْلَآ﴾: شرطية.

﴿أَن﴾: مصدرية للتعليل والتوكيد.

﴿صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على عبادتها ولم نطعه ونستمع إليه.

وهذا اعتراف على أن الرّسول كان عالياً وأنّه كفؤ لحمل الرّسالة وأثر في نفوسهم، وهذا يناقض سخريتهم واستهزائهم به ﷺ.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: سوف للاستقبال البعيد، والتوكيد.

حين: ظرفية زمانية أو مكانية. يرون العذاب: في الآخرة.

﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: من كان أضل سبيلاً هم أم رسول الله والمؤمنون. من للعاقل وتشمل المفرد والجمع.

وفي هذا تهديد ووعيد لهم وحدث جزءٌ منه يوم بدر.

[٤٣] ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾:

﴿أَرَءَيْتَ﴾: استفهام وتعجُّب، أي: انظر وتعجُّب أيْ: أخبرني بكل دراية

والرؤية هنا رؤية قلبية فكرية. من: للعاقل بمعنىٰ الّذي ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاع هواه معرضاً عن الاستماع إلىٰ الرّسول وإلىٰ ما أنزل الله.

قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأىٰ أحسن من الحجر رمىٰ به وعبد غيره.

فكلما اشتهىٰ شيئاً فعله بلا عقل ولا فكر.

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة همزة إنكار. والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أيْ: موكلاً ومسؤولاً عنه بتوجيهه ليترك هواه ويتبع الحق.

أو مسؤولاً عن هدايته.

أو حفيظاً عليه تتولىٰ هدايته وعليك أن تخرجه من الضّلال إلىٰ النور وتردُّه إلىٰ الإيمان قسراً وكرهاً.

والجواب: لا طبعاً ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠].

وتقديم عليه يفيد الاختصاص، عليه خاصة وكيلاً فقط.

ولم يقل: أفأنت تكون وكيلاً عليه (أيْ: عليه وعلىٰ غيره)؛ لأن رسول الله ﷺ هدىٰ الكثير واستجاب له الكثير، وهو ﷺ قادر علىٰ الهداية إلىٰ الصراط المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢]. والهداية الخاصة لا تكون إلا بإذن الله سبحانه.

❖ ❖ ❖

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

ربع الحزب ٣٧

سورة الفرقان [الآيات ٤٤ - ٥٥]

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿تَحْسَبُ﴾: من حسب: من الحساب القلبي والحساب الحسي القائم على النظر والتجربة والحساب وهو الظن الراجح.

﴿أَنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر وتعقل وقبول وانتفاع.

﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: من عقل الشّيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه ونتائجه؛ ليصلوا إلى الحقيقة أن الله هو الإله الحق واجب الوجود الواحد الأحد الّذي يجب أن يُعبد ويطاع، وقوله: أنّ أكثرهم، فهناك أقلية تسمع وتعقل.

﴿إِنْ هُمْ﴾: إن: نافية تعني: ما هم، وهي أقوى في النّفي من ما. هم: تفيد التوكيد.

﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: إلا: أداة حصر، والكاف: للتشبيه كالأنعام، تسمع الصوت ولا تفهم معناه، أيْ: لا يفقهون ما يقال لهم، كالأنعام تأكل وتشرب وتسرح وتمرح وتتوالد.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: هم: للتوكيد. أضل: من الأنعام؛ لأن الأنعام تهتدي

لمراعيها وتستسلم لأربابها. وتُقبل على المحسن إليها وتفقه ما تسمعه من أصوات الزجر وغيرها من رعاتها. فهم أسوأ حالاً من الأنعام، ولأن الأنعام تسبِّح ربها، وهؤلاء لا يفقهون شيئاً مما نُزل عليهم، ولا يسبحون ربهم، ولا يسمعون ما يعظهم به رسول الله ﷺ، أو لا يخترق آذانهم أصوات الدعاة إلى الله؛ فهم ليسوا كالأنعام، بل الأنعام أفضل فهم، وهم أضل سبيلاً من الأنعام.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾:

في هذه الآية والآيات القادمة يذكر الآيات الكونية العجيبة الدالة على توحيد الألوهية والربوبية.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى التقرير. لم: حرف نفي.

﴿تَرَ﴾: رؤية عقلية أو فكرية ورؤية بصرية أيضاً؛ أي: ألم تعلم، أو يصل إليك العلم، والخطاب هو لكل من شأنه أن يخاطب؛ أي: النبي وكل الناس.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: الظل: ما بين الفجر وطلوع الشّمس، والظل: قيل هو خيال الأشياء المادية ذات الحجم الناتج عن عدم اختراق أشعة الضوء المرئي للطبقة الغازية المحيطة بالأرض بشكل مفاجئ، أو بغتة، ولكن بشكل تدريجي ولبعض الأجسام والظل يحمينا من حرارة الشّمس، فهو رحمة من الله، وهو آية تدل على تمام قدرة الله وعظمته وتمام رحمته، ولولا الشّمس ما كان الظل، أي: الشّمس هي سبب الظل. وهناك من فرق بين الظل والفيء:

الظل: قيل هو ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس.

وقيل الظل: شيء من النور (بدون شعاع الشمس) كما قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وقيل الظل: ظل كل شيء، وظل كل شخص.

وهناك من قال: هو الليل، والمعنى قد يحتمل الجميع.

وأما الفيء: قيل: هو الظل، وقيل: ما كان قائماً لم ينسخه ضوء الشمس، وقيل: الفيء يشمل الظل فكل فيء ظل، وليس كل ظل فيئاً. ارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظل.

أما تفسير مَدَّ الظل: بما أن الظل كما قلنا بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فالمفروض أن يكون الظل فقط في ذلك الزمن، ولكن الله سبحانه مده؛ أي: طوله (جعله أطول) بحيث يمتد فنراه في أول النهار ممتد، ثم يتناقص وفي آخر النهار يزداد، وإذا كان معنى الظل أيضاً الليل؛ فالليل يطول في الشتاء ويقصر في الصيف، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القصص:٧١]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القصص:٧٢].

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: أيْ: لا يتحرك بالزيادة والنقصان أو يزول أو يبقى ثابتاً، وذلك بأن تكون الشمس مستقرة ثابتة لا تجري ولا تدور.

أيْ: يجعل ظل الأشياء ثابتاً لا يتغير بالشّمس والزّمن، ولكنه سبحانه جعله يتغيَّر ينقص في أول النّهار شيئاً فشيئاً، ويزداد في آخر النّهار شيئاً فشيئاً ويجعله ساكناً بسكون الشّمس وعدم دورانها فتبقى منطقة ما من الأرض في ظل دائم لا ترى الشمس إلى الأبد، بينما تبقى منطقة أخرى في نهار دائم، وأخرى منغمسة في ليل حالك شديد السواد؛ مما يجعل الحياة مستحيلة على كوكب الأرض، ومن طول الظل وامتداده يمكن معرفة الزّمن، وهذه فائدة ثانية والأولى الحماية من أشعة الشّمس الضارة، وكذلك التخفيف من حرارة الشمس وغيرها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: ثم: تفيد الحال: أيْ: سلَّط الشّمس على الظل أو كأنه نصب الشّمس على الظل دليلاً، فهو يزيد وينقص حسب موقع الشّمس أو يمتد ويتقلّص.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب الذكري.

﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: حين تطلع الشّمس يكون الظل ممدوداً وطويلاً، ثم كلما ارتفعت الشّمس ينقبض الظل وينقص شيئاً فشيئاً، أيْ: قبضاً يسيراً. جزءاً فجزءاً حتى تصل الشّمس كبد السّماء، ثم يبدأ يزداد فيزداد إلى وقت غروب الشّمس، ولهذا القبض اليسير فوائد في قيام النّاس بأعمالهم وشغلهم.

وقد تعني (إلينا) يوم القيامة نزيله بشكل يسير، وذلك بزوال أسبابه بتكوير الشّمس وزوالها.

[٤٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التعظيم، وتعود على الله سبحانه.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل بعد الخلق؛ أي: بعد خلق السموات والأرض وخلق الشمس والقمر جعل أو خلق الليل والنهار وفي ذلك إشارة إلى كروية الأرض؛ أيْ: خلق الليل أولاً والنهار ثانياً وجعل، أيْ: صيَّر لكم: اللام لام الاختصاص، أيْ: لكم خاصة.

﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: شبَّه ظلام الليل باللباس الّذي يستر ويغطي الجسم من كلّ الجهات، أيْ: يستر الإنسان كما يغطي الثوب الجسم.

وهذه نعمة ورحمة من الله سبحانه على خلقه لما فيها من الفوائد مثل الراحة والسكون. فالظلام ضروري لإفراز هرمون ميلاتونين الّذي يؤدي إلى النوم، والضوء في النهار يثير منطقة في الدماغ تسمى النواة الواقعة فوق التصالب العصب البصري، والتي تؤثر على الغدة لكي تخفض إفراز الميلاتونين.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: من السبت: لغة هو القطع، أيْ: قاطعاً للحركة، أيْ: للراحة والسكون. والسبات: تشبه مرحلة الوفاة الّتي تسبق مرحلة الموت حيث ينقطع فيها الوعي والإدراك. ويدخل الإنسان في غيبوبة والفرق بين النوم والموت أن النوم هو توقُّف جميع الحركات الإرادية ويُفقد الوعي والإدراك أو التمييز لفترة من الزّمن والروح ما زالت في الجسم، وأما الموت فهو توقف وانقطاع جميع الحركات الإرادية واللاإرادية، انقطاع تام وخروج الروح من الجسم كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر:٤٢].

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: وجعل النهار. ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس.

النهار نشوراً: ذا نشور: بعث ويقظة ووعي والبدء بالحركة بعد مرحلة السبات، أي: النوم ويمثل مرحلة صغرى للنشور الحقيقي هو الإحياء بعد الموت، أي: للبعث من القبور للحساب، والليل والنهار من مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته بالنّاس، وفيه إشارة إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشّمس ولولا تبادل الليل والنّهار لما استقامت الحياة على الأرض.

ويعني كذلك انتشار النّاس في الأرض لابتغاء الرزق والعمل.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢].

[٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾: الّتي تسوق وتحمل السحاب الّتي تلقح برياح أخرىٰ تحمل هباءات الغبار، فتصبح ذرات بخار الماء ذات كثافة عالية تتحول إلىٰ الماء المطر. أرسل الرياح ولم يقل: الريح؛ لأن من خصوصيات القرآن الكريم أن يستعمل كلمة الريح الّتي تحمل معنىٰ الشر والأذىٰ مثل الفيضانات والدمار. والتي لا يصحبها خير، وكلمة الرياح بصيغة الجمع للتي تدل علىٰ الخير والرحمة.

﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: بشراً: تبشر من البشارة، وهي الخبر السارُّ، أو الإخبار بما يَسُرُّ.

بين يدي: قبل نزول المطر والرحمة هنا تعني المطر (الماء) وسمي ماء المطر رحمة؛ لأنّه من دونه لا يخرج الزرع ولا الثمر ولا يبقىٰ أيُّ شيء حيٍّ.

فالرياح وبالتالي رؤية السحاب تبشِّر بقدوم المطر (الرّحمة).

﴿وَأَنزَلْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، وهذا الإنزال يعني: دورة الماء علىٰ الأرض، ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (١٨) للبيان.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: وتعريف السماء: هي كل ما علا الإنسان من السحاب وغيره؛ أيْ: من السحب الركامية ﴿مَآءً طَهُورًا﴾: الطاهر في ذاته والمطهر لغيره. أيْ: طاهر مطهر. ارجع إلىٰ سورة (ق) آية (٩) للبيان.

[٤٩] ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾:

﴿لِّنُحْيِيَ﴾: اللام للتوكيد.

﴿بِهِۦ﴾: بالماء (أو المطر).

﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: انتبه إلىٰ سكون الياء في (ميْتاً) والتي تشير إلىٰ أن الأرض قد ماتت فعلاً، بينما عدم تشديدها يعني: ما زالت علىٰ قيد الحياة، وستموت إذا لم يصلها الماء كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [آل عمران:٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف:٥٧].

فهناك فرق بين الميْت بالسكون والميِّت بالتشديد، فالميْت: هو الّذي مات بالفعل، والميِّت: هو الّذي ما زال علىٰ قيد الحياة.

﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: لا نبات فيها أبداً.

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ﴾: نسقيه، أيْ: ذلك الماء. مما: مركبة (من وما). من: ابتدائية، ما: لغير العاقل والعاقل وغلب غير العاقل علىٰ العاقل لكثرته.

﴿أَنْعَٰمًا﴾: الأنعام ثمانية أزواج الإبل والبقر والغنم والماعز. وأما بهيمة الأنعام فتشمل الأنعام الثمانية وغيرها مما يشبه الأنعام.

﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾: جمع إنس أو إنسي وأصلها أناسين، أو أناسيني علىٰ وزن أفاعيل، وخففت إلىٰ أناسي، وكلمة إنسان اشتقت من الأنس فهو يأنس بغيره، وكونه يُرىٰ وغير مخفيٍّ كالجن؛ أي: مجموعات من البشر تعيش في تلك البلدة الميتة التي أحياها الله تعالىٰ، ولم يقل ناس؛ لأن كلمة الناس عامة تشمل كثير من البلدان وهو يتكلم عن أهل بلدة أناس تكاثروا فأصبحوا أناس كثيراً، فالله سبحانه أحيا بهذا الماء الطيور والنبات، وأحيا الأنعام، وأحيا الأناسي.

وقدَّم أحياء الأرض الميتة والأنعام على الأناسي؛ لأن حياة الأناسي تعتمد على الغذاء، والغذاء يستمد من الأرض ومن الأنعام، وحياة الأرض والأنعام تعتمد على الماء أو السُّقيا، والسُّقيا تعتمد على ماء المطر، وما يقوم به الإنسان في توفير الماء لها، ولم خصَّ الأنعام عن غيرها؟ لأن غيرها من الحيوانات يمكن أن تحصل على الماء بنفسها من دون الاعتماد على البشر.

وهناك فرق بين سقاه وأسقاه.

سقاه: تعني ناوله ما يشربه الآن.

أسقاه: أعدَّ له ما يستقي منه ولم يشرب بعد. فالآية لا تتحدث عن خزن الماء، وإنما عن استعماله الآن.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: لام التوكيد، قد: للتحقيق.

﴿صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: أيْ: الماء (المطر) صرفناه: من التصريف والتغيير، بينهم: بلاد فيها مطر خفيف وبلاد فيها مطر غزير، وبلاد تشكو من الجفاف والجدب، وبلاد أو أرض خصبة غنَّاء، ورغم ذلك تبقى كمية الماء ثابتة لا تتغير. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: اللام لام التعليل، يذكروا: تلك النعمة فالذين أصابهم المطر الغزير وأخصبت أرضهم؛ ليذكروا نعمة الله عليهم فيشكروه ويحمدوه.

وأما الّذين مُنع عنهم المطر فيذَّكَّرون ربهم ويتضرعون إليه ويدعونه أن يُنزل عليهم الغيث (صلاة الاستسقاء) ويبادروا بالتوبة والرجوع إليه ويصبروا على هذه المحنة والبلاء.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: أيْ: لا هؤلاء شكروا ولا هؤلاء صبروا وتضرعوا إلىٰ الله ورجعوا إلىٰ ربهم. إلا: أداة حصر، كفوراً: صيغة مبالغة كثيرو الكفر.

فأبىٰ أكثر النّاس: أيْ: هناك القليل الّذين تذكَّروا وشكروا وصبروا والكثير منهم جحدوا بنعمة الله تعالىٰ، ونسبوا المطر إلىٰ غير الله تعالىٰ وغيرهم لم يصبروا علىٰ الابتلاء ولم يدعوا ربهم.

[٥١] ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾:

﴿وَلَوۡ﴾: شرطية.

﴿شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا﴾: اللام: للتوكيد، بعثنا: وأرسلنا. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنىٰ بعثنا وأرسلنا والفرق بينهما. ﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ﴾.

﴿نَّذِيرٗا﴾: ليبلغ ويُعلم ويحذّر كلّ جماعة أو كلّ فرد في تلك القرية. نذيراً من الإنذار وهو الإعلام والتحذير والتخويف.

والسؤال هنا: كيف نجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر:٢٤]، وهذه الآية؟

نقول: آية الفرقان جاءت بخصوص رسول الله ﷺ؛ أي: لو شئنا لبعثنا في كل قرية التي حولك نذيراً كي نخفف عليك من أعباء الرسالة، ولكن بعثناك إلىٰ جميع القرىٰ؛ لعظم كرامتك ونشأتك وأجرك وأرسلناك مبشراً ونذيراً لكافة القرىٰ.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: بما أن الله بعثك إلىٰ كافة القرىٰ فلا تركن إليهم ولا تتبع أهواءَهم واستقم كما أُمرت كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠].

﴿وَجَٰهِدْهُم﴾: ابذل قصارىٰ جهدك وطاقتك في إبلاغهم ما أُنزل إليهم من ربهم.

﴿بِهِۦ﴾: بالقرآن.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: جهاداً بكل الوسائل الحجج والبراهين، والسلطان والجهاد وغيره إذا احتاج الأمر، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

[٥٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٧).

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: مرج البحرين: قيل خلّىٰ بينهما (كما قال الزهري والزجاج)، أو أرسلهما، والتّفسير العلمي للمرج هو الذهاب والإياب لحركة الأمواج الّتي تحدث مع حركة المد والجزر في البحر. مرج أمواج البحر العذب وأمواج البحر المالح.

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: هذا: الهاء: للتنبيه وذا: اسم إشارة تشير إلىٰ ماء البحر العذب الفرات وهو الماء العذب الحلو. (وقد يكون من ماء الأنهار العذبة).

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: ملح: كثير الملوحة أجاج: المر الطعم. وهو ماء البحر أي: المالح والمرُّ الطعم معاً.

مرج المياه الحلوة العذبة مع المياه المالحة (شديدة الملوحة والمرارة).

أيْ: مـــرج أمواج البحر العذب بالالتقاء بأمـــواج البحر المالح الأجاج من دون أن يختلط ماؤهما كما يظن البعض خطأ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: لأنّه ســبحانه جعل بين الماءين برزخاً: حاجزاً بحيث لا يختلط ماؤهما، ولو نظرنا من أعلىٰ إلىٰ التقاء الماءين لوجدنا أن هناك حاجزاً كأنه برزخ بين الماءين.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: وأضـــاف إلىٰ البرزخ حجراً محجوراً لا يدخل في ذلك المكان شيء ولا يخرج منه شيءٌ.

الحجر: يعني: منع الخروج منه.

محجوراً: يعني: منع الدخول إليه أو فيه.

فما هو الحجر المحجور؟

عنـــد التقاء مياه النهر بمياه البحر تتشـــكل منطقة ثالثة ليســـت لها خاصية تركيـــب ماء البحر. الملح الأجاج ولا خاصية تركيب مياه البحر العذب الســـائغ شـــرابه (أو ماء النهر) وتســـمَّىٰ منطقة المصب هذه المنطقة الثالثة لها خاصيتها الطبيعية والكيماوية، ولها أنواع من الرسوبيات تختلف عن ماء النهر الحلو وماء البحر المالح، وتعيش فيها كائنات حية خاصة بها لو دخلت إلىٰ ماء النهر تموت أو ماء البحر تموت.

وهـــذه آية من الآيات الكونية، والتي تدل علـــىٰ عظمة الخالق ووحدانيته. ارجع إلىٰ ســـورة فاطر آية (١٢) لمزيد من البيان والمقارنة، وسورة الرحمن آية (١٩-٢٠).

[٥٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح.

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: خلقه الله من الماء ماء الذكر كما قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٥-٧] يعني: المني الحامل للحيوانات المنوية، وماء المرأة الأنثىٰ الحامل للبويضة، وقد يعني الماء الداخل في تركيب جسم الإنسان الّذي يعادل حوالي (٧٠٪) من وزنه، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، أو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور:٤٥]، وقد تعني: كلا المعنيين.

بشراً: أي: الأنس مشتقة من البشارة حسن الهيئة وبشرة الجلد الخاصة بالإنسان.

سُمِّي البشر بشراً: لظهورهم علىٰ الأرض.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾: ثم قسم البشر قسمين نسباً وصهراً ذكوراً وإناثاً، نسباً يأتي عن طريق القرابة عن طريق الدم.

صهراً من المصاهرة تأتي عن طريق تزويج الإناث؛ أي: عن الزواج، فحين يتزوج رجل من بنت رجل آخر يسمَّىٰ الرجل المتزوج صهراً، وقدم النسب علىٰ الصهر، أو النسب علىٰ المصاهرة؛ لأن قرابة النسب أقرب من قرابة المصاهرة، فالرجل أقرب إلىٰ أبيه وأخيه من قرابته لأهل زوجته.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: علىٰ الخلق والجعل والتصريف والإحياء والبعث وعلىٰ كلّ شيء قدير صيغة مبالغة كثير القدرة لا يعجزه شيئاً في السّموات ولا في الأرض.

[٥٥] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾:

رغم كلّ هذه الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق ووحدانيته وأنه الإله الحق الّذي يستحق وحده العبودية والحمد والشكر يشركون به.

﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾: آلهتهم وأصنامهم يعبدون، ولم يقل: وعبدوا بصيغة المضارع الّتي تدل على الاستمرار والتجديد والتكرار، أيْ: يشركون بعبادتهم.

﴿مِن دُونِ ﴾: من غير الله.

﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾: ما: النافية، لا: تفيد توكيد النّفي أيْ: لا تنفعهم إن عبدوها ولا تضرهم إن لم يعبدوها، وتكرار (لا) يفيد التوكيد، وفصل النفع عن الضر أو كليهما معاً.

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾: كان: تشمل الماضي والحاضر والمستقبل. على: تفيد العلو والمشقة. والظهير: المعين أو المساعد. ظهراً: مشتقة من الظهر؛ أي: عظام الفقار؛ فقد كانوا في الزّمن الماضي يحملون الأحمال على الظهور قبل اختراع آلات الحمل، وإذا أراد أحدهم معاونة الآخر يقول له: أعطني ظهرك يعني: احمل عني أو ساعدني.

والكافر: يراد به الجنس أيْ: كلّ كافر، فكل كافر هو معين للشيطان أو معين لكافر آخر على معصية ربه وعبادتهم للأصنام أكبر معصية لله.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

سجدة

سورة الفرقان [الآيات ٥٦ - ٦٧]

[٥٦] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾:

﴿وَمَآ﴾: النافية. والواو: استئنافية.

﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: ولم يقل: بعثناك. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مُبَشِّرٗا﴾: من البشارة. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَنَذِيرٗا﴾: من الإنذار وهي الإعلام المقرون بالتحذير والتخويف.

وكل إنذار إعلام، وليس كلّ إعلام إنذاراً.

والإنذار يتعدَّىٰ إلىٰ مفعولين مثل فأنذرتكم ناراً تلظىٰ.

والإنذار يكون للكفار خاصة، وقد يكون للمؤمنين أيضاً كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس:١١].

والإنذار يكون للأمور المنهيِّ عنها (السيئة والقبيحة).

والإنذار إحسان من المنذر للمنذَر؛ لكي يأخذ استعداده، فلا يُفاجأ بالأمر المحذَّر منه أو لكي يغيِّر عمله ويتوب إلىٰ الله.

والرسول ﷺ كان مبشراً ونذيراً لكافة النّاس جميعاً.

[٥٧] ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾:

﴿قُلۡ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿مَآ﴾: النافية.

﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ والإنذار والدعوة إلى الله والقرآن والإيمان.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من: للتوكيد واستغراقية؛ أيِّ أجر مهما كان نوعه ومقداره مال أو غير المال. ولم يقل: من مال؛ لأن الأجر أعم من المال، والأجر يعني: الثواب. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام:٩٠] نجد أن آية الفرقان أشد توكيداً للنفي على أخذ الأجر من آية الأنعام. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٠) لمزيد من البيان.

ولم يسأل أيُّ رسول قومَه الأجر أو المال على الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة، والكل قال: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩].

والأجر لا يمكن أن يقدِّره إلا الله سبحانه وحده.

وأبعد من ذلك لم يقبل رسول الله ﷺ الصدقة.

﴿إِلَّا مَن﴾: إلا: أداة حصر، من: ابتدائية استغراقية.

﴿شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: شاء أن: للتوكيد والتعليل؛ أيْ: من أراد أن يتقرَّب إلى الله بالإنفاق في سبيله بالتطوع والعمل الصّالح ومساعدة الآخرين وغيره فليفعل ولا أمنعه.

ولنقارن هذه الآية: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مع الآية (٩٠) من سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قوله تعالى: من أجر أوكد وأقوى من قوله: عليه أجراً؛ لوجود (من) الّتي تدل على الاستغراق والتوكيد.

ويستعمل (من) في سياق الدعوة والتبليغ، كما في آية الفرقان (٥٧) بينما

آية الأنعام لم تكن في سياق الدعوة والتبليغ، وإنما جاءت في سياق تعداد النعم على الرّسل.

ما: كثيراً ما تنفي الحال والاستمرار والاستقبال وفيها توكيد مقارنة بـ لا: تنفي كلّ الأزمنة فهي مطلقة.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾

المناسبة: بعد ذكر موقف الّذين لا يرجون لقاء الله تعالى والمكذبين بالبعث والحساب والطلب من رسوله الإبلاغ والإنذار من دون أيِّ أجر يأمره بأن يتوكل عليه في الأمور كلها، فيقول تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: التوكل يعني: تفويض الأمر لله تعالى أيْ: ردُّه إليه راجياً عونه وتيسيره وتوفيقه بعد اتخاذ الأسباب المطلوبة شرعاً وعقلاً، فهو سبحانه الكافي لمن توكل عليه والموكول إليه تدبير كلّ شيء.

على: تفيد العلو.

الحي الّذي لا يموت: الحي واجب الوجود الباقي الدائم من أزل الأزل إلى أبد الأبد.

والأزل هو دوام الوجود في الماضي.

والأبد هو دوام الوجود في المستقبل.

وكما قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: التسبيح هو تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته وأفعاله وصفاته وأسمائه. ارجع إلى سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان، وسورة الإسراء آية (١).

فسبحانه هو الكامل في ذاته وأفعاله وصفاته وأسمائه.

بحمده: الباء: للإلصاق والتوكيد، أيْ: بالثناء عليه وشكره.

أيْ: تسبيح مصاحب للحمد والحمد أعم من الشكر.

كأن تقول: سبحانه الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: الباء: للتوكيد والإلصاق؛ أيْ: لا يحتاج سبحانه وتعالىٰ أن يخبره أحدٌ عن ذنوب عباده الآخرين، وهو سبحانه غني أيضاً عن أن يخبره أحدٌ من عباده بما يفعله الآخرون؛ لأنّه سبحانه يعلم بواطن الأمور وخفاياها، ويعلم ظواهرها ولا تخفىٰ عليه خافية أيْ: سبحانه لا يحتاج أن يخبركم عن ذنوب عباده، ولا يحتاج منكم أن تخبروه عن ذنوب عباده؛ لأنّه خبير بها.

[٥٩] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التعظيم، أي: الله ربكم الذي:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: في ستة أيام. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة البقرة آية (٢٢، ٢٩) للبيان، وسورة فصلت آية (١٠-١٢).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث اختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السّماء، ولذلك لم يَصِرْ هذا الغلاف الغازي من الأرض بالكامل، وليس من السّماء بالكامل وظل طبقة فاصلة بين السّماء والأرض.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ثم تفيد التباين بالمرتبة بين الاستواء علىٰ

العرش وخلق السّموات والأرض، فالاستواء على العرش أكبر وأعظم من خلق السّموات والأرض.

استوى على العرش ارجع إلى الآية (٣) من سورة يونس، وسورة هود آية (٧) للبيان.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: من الرّحمة الّتي هي السمة والصفة العامة الّتي تمثل كثيراً من صفاته أو ينطوي فيها كثير من صفاته؛ لأنّه سبحانه كله رحمة، وشريعته رحمة، ونعمه رحمة، وقرآنه رحمة، وكل ما يفعله سبحانه رحمة، وعمّت رحمته العالمين. فهو الرحمن الرحيم. ارجع إلى سورة الحمد آية (٣) للبيان.

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾: أيْ: إذا أردت أن تسأل عن خلق السّموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والاستواء على العرش، فلا تسأل إلا الله (الرحمن) لأنّه وحده هو يعلم كيف خلق السّموات والأرض، ولم يُطلع على ذلك أحداً سبحانه، كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٥١].

أو إذا كان يهمك معرفة خلق السّموات والأرض وما بينهما والاستواء على العرش، فاسأل به خبيراً، أيْ: من هو خبير بذاته عالم بقدرته وعظمته، أيْ: لا يعلم الله إلا الله سبحانه وتعالى، وقد تعود على رسول الله ﷺ أو تعود على أولي العلم أو تعود على علماء الكون والفضاء، أو أيِّ خبير، كلٌّ في اختصاصه، سواء كانت علوم الدِّين أو علوم الدّنيا.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية بمعنى حين أو حين تقول لهم.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: قيل، من هو القائل؟ مبني للمجهول قد يكون رسول الله ﷺ، أو غيره من المؤمنين.

لهم: لكفار قريش أو غيرهم من الّذين لا يؤمنون بالله سبحانه.

﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: وحده، أيْ: لا تشركوا به شيئاً والسجود يعني: الطاعة والخضوع ويعني: الصّلاة والشكر.

﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: ما: استفهامية، فهم يستفهمون عن حقيقته؛ لأنَّهم لم يكونوا يعرفون له هذا الاسم.

فهم إما حقيقة لا يعرفون من هو الرحمن.

أو أنهم كانوا ينكرون أن يكون لله اسمٌ هو الرحمن.

أو قالوا مستكبرين: وما الرحمن؟!

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري واستبعاد والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿لِمَا﴾: ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: أيْ: من أنت حتىٰ تأمرنا أن نسجد للرحمن أو كيف يأتي الأمر منك.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: النفور هو الابتعاد عن الشّيء بكُره؛ أيْ: زادهم الأمر بالسجود بُعداً واستنكاراً وإعراضاً عن السجود، وعن الإيمان، وعن رسول الله ﷺ، والقرآن.

[٦١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الملك.

﴿جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (١٦) وسورة البروج آية (١) للبيان.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾: الشّمس. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٥) للبيان المفصل.

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: كوكباً منيراً بالليل يُضيء بواسطة الأشعة المنعكسة على سطحه من أشعة الشّمس، فهو غير مضيء بذاته كما هو الحال في الشّمس والنجوم. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) للبيان.

والبروج والشّمس والقمر آيات من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته تعالى، وأنه الإله الحق واجب الوجود الّذي يجب أن يطاع ويُعبد.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: هو تفيد التوكيد والحصر. الذي: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: بعد أن خلقهما جعلهما خلفة يخلف أحدهما الآخر، أيْ: يتعاقبان يعقب الليل النهار ويعقب النهار الليل. وهذا يشير إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشّمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان. ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: فمن أراد أن يتذكر ويشكر في الليل كان له ذلك، ومن أراد أن يتذكر ويشكر في النهار كان له ذلك. ويذكر: يدخل في معناه الصّلاة والعبادات الأخرى والذكر العادي التسبيح والتكبير والتهليل.

يذّكر: فيها مبالغة في التذكر، ويعني: تذكر قلبي عميق يهز النفس ويوقظها من سباتها، وتذكر باللسان.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شكوراً صيغة مبالغة من الشكر أيْ: كثير الشكر، وليس مرة واحدة كما هو الحال في شكر أو يشكر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنى الشكر.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾:

بعد أن بيَّن الله سبحانه حال المشركين وإعراضهم عن السجود وإنكارهم للسجود للرحمن، ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يذكر بالمقابل صفات عباد الرحمن الّذين اختاروا طاعة الله وعبوديته بأنفسهم فنالوا درجة الشرف بأن أطلق عليهم سبحانه أنهم عباد الرحمن ووصفهم بـ(١٢) صفة.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾: عباد: جمع عابد، وعبيد: جمع عبد، إضافة الرحمن إلى العباد للتشريف والتكريم، وهؤلاء أعلى درجة من غيرهم من العباد أمثال عبادي، عبيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) لمعرفة الفرق بين عباد، عبادي، عبيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول فيه معنى المدح والتشريف وتكرار الّذين سبع مرات لتدل على أنهم ليسوا صنفاً واحداً أيْ: عباد الرحمن منهم من يمتاز بهذه الصفة أو تلك الصفة، ولا يعني أنهم يملكون الصفات كلها.

﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: يمشون برفق ولِينٍ، أيْ: تواضع لله وسكينة من دون تكبُّر ولا تجبُّر ولا تضعُّف، وليس يعني خنوعاً وذلاً.

انتبه إلى الفرق بين كلمتي الهُون: الذل والعار، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:١٧]، بينما الهون: هو الوقار والتواضع والتؤدة.

وهناك فرق بين المشي على الأرض والسير:

المشي: هو مجرد الحركة بهدف أو غير هدف، والمشي يكون ولو خطوة واحدة.

السير: يكون إلى جهة معينة وهدف محدد بغرض الدراسة أو التجارة أو العبرة أو الهجرة، ويكون لمسافات أطول.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾: وإذا: ظرفية زمانية تعني: حتمية الحدوث.

خاطبهم الجاهلون: جمع جاهل، والجاهل: ناقص العلم والمعرفة، والجهل في الاصطلاح: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، أو يعني: عدم المعرفة والاعتقاد بما لا يتفق مع الحقيقة، والجهل المركب كما قال علي: لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وليس أرض خصبة للعلم والتعلم والاعتبار والنظر.

قالوا سلاماً: سلام المتاركة لا سلام الأمان أو التحية، أو تعني قولاً يسلمون فيه من الإثم بالقول السيِّئ مثل سبٍّ وشتم الجاهل.

سلاماً: لا يصدر منهم إلا الكلام الطيب.

ويعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً.

أيْ: يدفع بالتي هي أحسن يقابل السيئة بالحسنة.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿يَبِيتُونَ﴾: من البيتوتة: تعني بالليل والبيتوتة لا يشترط فيها كلّ الليل، وقد يكون جزءاً من الليل وسواء نام أو لم ينم، وجاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار والاستمرار. والبيتوتة هنا لا تعني النوم والاستراحة، وإنما تعني القيام لرب العالمين والتبتل إليه تبتيلاً.

﴿لِرَبِّهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾: أيْ: يصلون لربهم فمنهم القائم على قدميه ومنهم الساجد على وجهه. سجداً: السجود الظاهري بخشوع أو بدون خشوع. وفي

هذه الآية تعريض بأولئك الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [الفرقان:٦٠] السابقة؛ أي: إذا فريق منهم أعرضوا عن السجود للرحمن فهناك فريق آخر أو عباد يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

وقدَّم السجود على القيام: للمبالغة في كثرة السجود، أو لأن العبد يكون أقرب إلى الله سبحانه في حالة السجود.

يعني: إحياء جزء من الليل بالصلاة والذكر والدعاء.

[٦٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح وتكرار الّذين يفيد التوكيد.

﴿يَقُولُونَ﴾: أيْ: يدعون ربهم بشكل متكرر ومستمر، يقولون بصيغة المضارع لتدل على التجدُّد والتكرار، وليس مرة واحدة وانتهى الأمر.

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا﴾: يدعون ربنا اصرف عنا: أيْ: أبعد عنا أو جنِّبنا.

﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: النّار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: كان ملازماً دائماً لا ينفك أو يخفف أو يُوقف مستمراً، وغراماً مشتقة من الغرام والحب والعشق، أيْ: كمن لا يفارق محبوبته أو من الغريم الّذي يلازم المدين ليأخذ منه دَيْنَه، والغرام في اللغة يعني: أشد العذاب، أيْ: أنَّ عذابها أشد العذاب.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾:

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿سَآءَتْ﴾: من أفعال الذم؛ أيْ: قبُحت. أو بئس المستقر والمقام، سواء أكان دائماً أم مؤقتاً.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾: هـو المكان المؤقت غير الدائم لغير الخالدين في جهنم لمن يطهرون من ذنوبهم، ثم يخرجون منها.

﴿وَمُقَامًا﴾: المقام الدائم للخالدين في جهنم أبداً، أي: المستقر الدائم.

أو المستقر: بمعنى المكان للراحة والاستراحة. المكان المؤقت.

ومقاماً: بمعنى المكان للإقامة الدائمة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتوكيد.

﴿إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾: الإسراف هو الإنفاق في حِلٍّ، أيْ: ما ينبغي ومجاوزة الحدِّ في الإنفاق. والتبذير هو الإسراف في غير حِلٍّ، أو ما لا ينبغي (في المعاصي)، أو الإسراف مجاوزة الحد في النفقة.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: التقتير هو التضييق في النفقة إما لتقصير عما لا بد مه، أو منع حق الله. والأفضل التوسط في الإنفاق.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾: القوام الوسط. الاعتدال. وسطاً بين الإسراف والتقتير والقوام ما يقوم به الشّيء، والحياة تقوم على الاعتدال: أي: الوسطية.

انتبه إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: وكانوا بين ذلك؛ لأن كان تعود على الإنفاق (أيْ: كان إنفاقهم) بين ذلك بين الإسراف والتقتير.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّو۟ا بِٱللَّغْوِ
مَرُّو۟ا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُو۟ا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّو۟ا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُو۟ا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ترتيبها ٢٦ آياتها ٢٢٧

سورة الفرقان [الآيات ٦٨ - ٧٧]

[٦٨] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتوكيد.

﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: أيْ: لا يشركون بالله شيئاً الشرك الخفي، ولا يقصد به الشرك العادي، وإلا كيف يدعوهم عباد الرحمن مهما كان، أيْ: هم من الموحِّدين المخلصين.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أيْ: لا يقتلون عمداً النفس الّتي حرم الله إلا: أداة حصر.

بالحق: بالقصاص، أيْ: بالقسط والعدل، وبما فرض الله من القصاص من القاتل عمداً أو قتل المرتد عن دينه بعد أن يُستتاب، ويمر بكل المراحل المطلوبة. ارجع إلىٰ كتب الفقه للشروط والأحكام.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: لأن الزنىٰ فاحشة وساء سبيلاً، وليبقىٰ المجتمع المؤمن علىٰ طهر، وخال من الأمراض المُعدية أو السارية، وتكرار لا: تفيد توكيد النفي، ويدعون، ويقتلون، ويزنون: جاءت بنون التوكيد لزيادة التوكيد، ولكن الملاحظ عدم تكرار الذين، ولم يقل والذين لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق والذين لا يزنون (حذف الذين) كي يجعل الثلاثة خصال كأنها خصلة واحدة،

ولوحظ اقتران آيات قتل النفس التي حرم الله مع آيات الزنى في سورة الفرقان والإسراء والممتحنة، قد يكون الاقتران إشارة إلى أن الزنى قد ينتج عن الحمل؛ فتلجأ المرأة إلى محاولة الاجهاض؛ لقتل الجنين وتغطية جريمة الزنى أو حتى بعد الولادة أحياناً.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: من: للعاقل (تشمل المفرد أو المثنى أو الجمع)، وشرطية، يفعل ذلك: الشرك أو القتل أو الزنى واحداً من الثلاثة.

﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: أيْ: عقاباً أو يلقى جزاء آثامه، وقد وضح ذلك بقوله: يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهاناً.

[٦٩] ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾:

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: قيل: ضعفين أو أضعافاً مضاعفة لا يعلمها إلا الله.

﴿وَيَخْلُدْ﴾: من الخلود هو الاستمرار والبقاء في العذاب يبدأ من زمن دخوله فيها إلى ما لا نهاية.

﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾: ذليلاً مستحقراً. مهاناً: اسم مفعول من فعل أهان.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَن تَابَ﴾: من الشرك والقتل والزنى، والتوبة تعني: عدم العودة إلى

الذّنب والنـــدم على فعله وإرجـــاع الحقوق إلى أصحابهـــا والإكثار من العمل الصّالح والنوافل.

﴿وَءَامَنَ﴾: بمـــا أنزل الله تعالى وما أمر به الرّســـول ونهى عنه ومصدقاً باليوم الآخر، وآمن بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: الفروض والنوافل والباقيات الصالحات مقابل ما فرَّط به.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة.

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾: وهـــذا مـــن أعظم كرمه وجـــوده ورحمته وإحسانه الّذي لا يتصوره العقل.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿غَفُورًا﴾: صيغة مبالغة كثير المغفرة وهي الســـتر وترك العقوبة والإثابة على الحســـنات، ولو كثرت ذنوب العبد أو عظمت فإنه يغفر الذنوب جميعاً إلا الكفر والشرك.

﴿رَّحِيمًا﴾: بعدم تعجيـــل العقوبة لهم أو العـــذاب. رحيماً بالمؤمنين في الدّنيا والآخرة.

رحمته صفة ثابتة لذاته

[٧١] ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾:

﴿وَمَن﴾: شـــرطية ابتدائية، أيْ: من تاب من غير هؤلاء المذنبين تاب من دون ارتكاب إثم.

﴿تَابَ﴾: توبة إنابة (من دون ارتكاب ذنب أو إثم).

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أيْ: أكثر من الأعمال الصّالحة والنوافل والذكر وقراءة القرآن، والإنفاق في سبيل الله وصلة الرحم وغيرها من الأعمال الصّالحة.

﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: متاباً: مبالغة في التّوبة، أيْ: يتوب إلىٰ الله توبة نصوحاً أو يرجع إلىٰ الله مرجعاً مرضياً أو مرجع صدق، أيْ: يكرمه بدخول الجنة.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتوكيد.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: الزور في الأصل تحسين الباطل، والزور الميل عن الصدق والحق، لا يشهدون بالكذب والباطل، أيْ: شهادة الزور.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: اللغو كلّ كلام لا فائدة فيه. ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة المؤمنون.

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: جمع كريم من فعل كرم معرضين عن مجالسة أهل اللغو مبتعدين عنه، ولم يخوصوا فيه أو يستمعوا إليه. مكرِمين أنفسهم بالغنىٰ عن الاستماع إلىٰ اللغو والخوض فيه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرار الّذين يفيد المدح والتوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾: تُليت أو قُرئت عليهم آيات ربهم، أي: القرآن الكريم أو تلَوْها بأنفسهم. استمعوا إليها بآذان واعية يفهمون ما يُتلىٰ عليهم وما هو واجبهم، وكيف يطبّقونها في حياتهم اليومية.

﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: الخرُّ هو الكبُّ والسقوط من دون تفكير وفَهم. انتبه: النّفي هنا ليس للخرور، وإنما للصمم والعمىٰ، أيْ: لا يحاولون التولي والإعراض وعدم الإصغاء إليها، بل يقبلون عليها ويكبون عليها بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم حرصاً علىٰ سماعها بآذان مُصغية وعيون راعية وأفئدة واعية.

[٧٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتعظيم، هذه المرة الثامنة الّتي يتكرر فيها كلمة الذين.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٩) من سورة إبراهيم لمعرفة معنىٰ هب.

الهبة: عطية تفضل وتكرم من الله تعالىٰ وليست عطية استحقاق.

﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا﴾: من: ابتدائية. الأزواج جمع زوج والزوج يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، أيْ: زوجات أو أزواج. فالدعاء بدأ بالأزواج، ثم الذرية؛ لأن الذرية لا تأتي إلا بعد الزواج.

والدعاء جاء بصيغة الدعاء الجماعي، وليس بصيغة الدعاء الفردي لم يقل: رب هب لي؛ لأنّه أفضل وأكثر استجابة.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: قرة لها معنيين:

١ - السكينة والثبات.

٢ - السرور.

مشتقة من القُرِّ: شدة البرودة. والعين الباردة تدل على السرور والعين الساخنة تدل على الحزن والألم (البكاء) والقرُّ يعني: السكون والثبات والهدوء.

أعين: جمع عين الّتي نبصر بها، وعيون جمع عين، وتعني: عيون الماء وعيون الجنة، أعين تعني هنا أعين خاصة، ولا تشمل كلّ الأعين؛ لأنّها فقط أعين المتقين.

أيْ: هب لنا زوجات صالحات وأولاداً ذوي خلق وأدب ودين.

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: هنا أفرد ولم يجمع، ولم يقل: أئمة لأنّهم في حكم الإمام الواحد.

لأنهم يتبعون منهجاً واحداً هو المنهج الرباني الّذي من المفروض أن لا تتحكم فيه الأهواء الفردية والبدع. فالإمام يمثل الأئمة والأئمة تمثل الإمام.

وإماماً: تعني: قدوة صحيحة في الخير والعلم والدِّين. وإمام مشتقة من أم أيْ: قصد، أيْ: نقتدي بالمتقين ويقتدي المتقون بنا.

[٧٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وتشير إلىٰ عباد الرحمن الّذين تقدَّمت صفاتهم وإلىٰ علو منزلتهم.

﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾: يجزون من الجزاء والجزاء يعني: الأجر علىٰ العمل.

الغرفة: قيل: الجنة، والغرفة اسم جنس وتعني: كلّ بناء مرتفع عال ولا تعني غرفة واحدة، بل غرفاً كثيرة كقوله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]، والغرفات تعني: القصور أو المنازل العالية في الجنة.

﴿بِمَا﴾: الباء البدلية أو السببية، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿صَبَرُوا۟﴾: بدل صبرهم والصبر أنواع. ارجع إلىٰ الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران. والآية (١٢٧) من سورة النحل لبيان مفصل في معنىٰ الصبر.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾: فيها تعود علىٰ الغرف.

﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾: من الله سبحانه، ومن الملائكة، ومن بعضهم بعضاً.

تحية وسلاماً: سلاماً: جاء نكرة ليشمل كلّ أنواع السّلام، سلام تحية كالقول السّلام عليكم، وسلاماً من الآفات والأمراض، وكل مكروه وسلام الأمن والاستقرار.

[٧٦] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾:

﴿ خَٰلِدِينَ ﴾: من الخلود والخلود هو استمرار البقاء من وقت معين (هو دخولهم تلك الغرف).

﴿فِيهَا﴾: تعود على الغرف.

﴿حَسُنَتْ﴾: من أفعال المدح، حسنت في نعيمها ومنظرها وطعامها وشرابها ولبسها وفرشها.

﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾: المستقر: المكان المؤقت للراحة.

والمقام: المكان الدائم للإقامة الدائمة والاستقرار بلا انقطاع، أيْ: لكلا الأمرين.

[٧٧] ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾:

﴿ قُلْ﴾: يا محمّد للكافرين والمؤمنين الخطاب عام.

﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾: ما: لها عدة احتمالات قد تكون نافية أو استفهامية.

١ - ما النافية: يعبأ بكم ربي: لا يبالي بكم أو لا يهتم بكم لولا دعاؤكم.

٢ - وما قد تكون استفهامية: للتهويل، تهويل الدعاء والعبادة.

﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود، وجود الدعاء.

﴿دُعَآؤُكُمْ﴾: عبادتكم أو دعاؤكم في الشدائد والمحن، لولا أنكم تتضرعون إليه وتدعونه أو تعبدونه ما عَبِئَ بكم، ولكنه سبحانه يعبأ بعبادتكم وبدعائكم. ولو لم يكن يعبأ بكم لما خلقكم وأرسل إليكم رسله وكتبه وملائكته،

وهو يعبأ بكم لمصلحتكم ولأجلكم وليس لمصلحته ولذاته؛ لأن عبادتكم لا تزيد ولا تنقص في ملكه شيئاً.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿كَذَّبْتُمْ﴾: الخطاب قد يكون للذين كفروا من أهل مكة الّذين كذبوا رسول الله ﷺ، وغيرهم من الكفار الّذين كذبوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر

أو قد يكون للمؤمنين، وكذبتم تعني: لم تعبدوا الله كما أمركم وتخلصوا له، أو تعني أشركتم في عبادتكم ومجيء الإنذار بصيغة المخاطب يدل على الشدة في الإنذار والوعيد.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد والتراخي يعني: يوم القيامة.

﴿يَكُونُ لِزَامًا﴾: أيْ: يكون العذاب لزاماً عليكم، أو ثابتاً حقاً لكم لا يفارقكم، أو واقع بكم لا محالةَ، ولن ينجوَ منكم أحدٌ.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

نصف الحزب ٣٧

سورة الشّعراء [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٢٦)، وترتيبها في النزول (٤٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، تشير إلى الآيات في هذه السّورة أو الآيات الّتي وردت في السّور الّتي نزلت قبل هذه السّورة أو آيات القرآن بشكل عام والآية لها بداية ولها نهاية، وتتكون منها سور القرآن، ولا ننسى أيضاً أنّ كلمة آيات قد تعني أيضاً الآيات الكونية أو المعجزات الّتي تثبت صدق نبوة الرّسل.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: القرآن وسُمِّي كتاباً؛ لأنّه مكتوب في السّطور، ويُسمَّى قرآناً؛ لأنّه يقرأ. والكتاب يعني: الجمع والضم الجمع الحسي للحروف والكلمات في السطور والقراءة أو التلاوة الجمع الصوتي لحروف وكلمات القرآن في الصدور والقراءة والكتابة ضرورية لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل على مر العصور. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح، لكلّ فرد أنّه من عند الله والمبين لكلّ شيء يحتاجه هذا الإنسان في الأرض من الهداية والوقاية للوصول إلى الغاية من خلقه وخلافته.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿لَعَلَّكَ﴾: لعلَّ للتعليل، والكاف للخطاب والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: اسم فاعل قاتل أو مهلك نفسك من شدة الحرص على إيمانهم وتلهفاً على نجاتهم؛ باخع أصل هذه الكلمة من البخاع، وهو وريد دم قريب من عظام الفقرات في الرّقبة، وباخع: اسم فاعل بخع: أي ذبح؛ أيْ: أنت حريص على إيمانهم وقاتل نفسك كمن يذبح نفسه حتّى يصل الذبح إلى البخاع، أيْ: إلى فقرات عظام الرقبة وكما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

﴿أَلَّا﴾ أن ولا: أن مصدرية تعليلية، ولا النّافية.

﴿يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: لعدم إيمانهم وتصديقهم برسالتك، أيْ: لا تكلف نفسك فوق طاقتها فإنما عليك البلاغ.

[٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك.

﴿نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾: نشأ: من المشيئة هي ابتداء العزم على الفعل. والمشيئة مُلزمة ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أي: واجبة؛ أي: واقعة، ولا تتغير، وتختلف عن الإرادة؛ ارجع إلى سورة الحج آية (١٤) لمزيد من البيان. آية من السماء مثل صاعقة أو صيحة أو نار أو ريح مدمرة ترغمهم على الإيمان

بالقسر والإكراه، وإذا تأملنا الآية نجد الفعلين (نشأ، ننزل) بصيغة المضارع، بينما (فظلت) بصيغة الماضي؛ أي: كيف عطف الماضي على المضارع عطف مغاير يدل على أن الآية قد نزلت وخضعت لها أعناق المشركين، وفي هذا تهويل وتهديد لكي يرجعوا إلى رشدهم.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ خاضعين: جمع خاضع (اسم فاعل) من الفعل خضع من الخضوع وهو اللين والانقياد ويكون في البدن؛ أي: يظهر على البدن، فليس المهم هو خضوع العنق، بل خضوع صاحب العنق (أيْ: قلبه) وخص الأعناق بدلاً من الذوات والأنفس لأن من تلوي عنقه تقطع عنه الهواء، فيختنق ويموت بأقل من عدة دقائق (٣-٥ دقائق) وفي هذا تهديد شديد لكل عاصٍ، ويدل على عظمة وقدرة الخالق العزيز الجبار. وأصل الكلام فظلت أعناقهم لها خاضعة، وقال تعالى خاضعين؛ أي: وصف الأعناق بالخضوع الذي هو صفة العقلاء فهو يريد الأعناق أن تخضع ومن ورائها أصحاب الأعناق أن يخضعوا.

والمعنى: أنت لا تستطيع أن تكره النّاس أو تجبرهم وربك يستطيع، ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك فهو ترك لهم أن يختاروا لعل قلوبهم وأعناقهم تخضع باليقين والإرادة والمحبة وكما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: من ابتدائية، ذكر أي علم كالآية التي تذكرهم بما ينفعهم أو يضرهم.

﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾: من ابتدائية، محدث ولم يقل جديد؛ المحدث: لم يكن معروفاً من قبل، أو إيجاد شيئاً لم يكن، والجديد: فيه معنى الاستمرار للقديم؛ أي: حدث له تغير أو تجديد بأمر أو نهي أو تكليف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، عنه: تعود إلى الذكر.

﴿كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ معرضين: جمع معرض اسم فاعل من أعرض: أي: ابتعد عن ولم يتقبل ذلك أو يبالي به أو يهتم به، معرضين: جملة اسمية تدل على الثّبوت، أي: الإعراض صفة أو سمة ثابتة لهم مستمرة وقديمة. ولنقارن ما جاء في هذه الآية مع ما جاء في الآية (٢) من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

ففي سورة الشّعراء قال: ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ ولم يقل: من ربهم كما في سورة الأنبياء؛ لأن المخاطب في سورة الأنبياء كفار مكة الّذين إذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن فجاء ليذكرهم بأن الرحمن رغم كونه الرحمن فلا تغرنّكم رحمته، فإنه قادر على يقهر أعناقكم فتظلوا له خاضعين، وأيضاً آية الأنبياء سبقها قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ فيها تهديد ووعيد، فناسبها ذكر (من ربهم)؛ لأنه سبحانه رب العالمين، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣]، وآية الشعراء سبقها قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ ولم يشأ سبحانه؛ لأنه (الرحمن).

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

فقد: الفاء للتوكيد وقد للتحقيق والتوكيد أيضاً.

﴿كَذَّبُوا﴾: بآيات ربهم والرّسول وبما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، سيأتيهم: السّين للاستقبال القريب، فسيأتيهم وهم في الدّنيا.

﴿أَنبَٰٓؤُا﴾: جمع نبأ وهو الخبر العظيم المهم.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الّذي، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ سيعلمون عن قريب عاقبة تكذيبهم واستهزائهم بالله وآياته، أيْ: بالقرآن ورسوله وعبر عن الاستهزاء بصيغة المضارع الّذي يدل على التّجدد والتّكرار واستمرار استهزائهم. بينما في الآية السابقة (٥) ﴿كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ معرضين: يدل على استمرار ورسوخ إعراضهم وأنه أمر قديم.

وإذا قارنا هذه الآية (٦) من سورة الشّعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مع الآية (٥) من سورة الأنعام: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، سوف: أبعد في الاستقبال من السّين أيْ: تدل على التّراخي في الزّمن سوف يأتيهم العذاب في الآخرة، والسّين للاستقبال القريب سوف يأتيهم العقاب أو العذاب في الدّنيا، إذن هم مروا بثلاث مراحل مرحلة الإعراض، ثمّ التّكذيب، ثمّ الاستهزاء.

وسيأتيهم عاقبة تكذيبهم (قريباً أيْ: في الدّنيا) وسوف يأتيهم وعاقبة استهزائهم في الآخرة أيْ: في الدّنيا والآخرة في كلاهما.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري، والواو في كلمة أولم تدل على شدة

إعراضهم وإنكارهم، ولم يقل: ألم يـروا أيْ: هم يرون ما تنبت الأرض من كلّ الأزواج والثّمرات والزّرع، ومع ذلك ينكرون قدرة الخالق ووحدانيته. أولم يروا تدل على شيء مرئي ورغم ذلك ينكرونه.

﴿يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾: رؤية بصرية أو عقلية فكرية وقلبية يروا إلى الأرض.

يروا تعود على المكذبين بالآيات وما أنزل إليهم من ربهم وبرسوله وغيرهم من الناس ومنهم العلماء.

﴿كَمْ﴾: خبرية تفيد الكثير.

﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: بصيغة الجمع أيْ: للتّعظيم. ولكونهم يشـاركون في عملية الإنبات الإخراج، وتشمل عملية الحرث والبذر والسقاية وغيرها، والنبات يضم الزرع والشجر؛ أي: ماله ساق أو غير ساق.

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: الـزّوج الصّنف والزّوج يعني: الذّكر والأنثى. وقد أحصى العلماء (٣٩١،٠٠٠) سلالة نباتية.

كريم: البالغ في الجودة وكثير النّفع وفيه البركة، أيْ: أصروا واستمروا في إعراضهم وتكذيبهم، ولم ينظروا إلى عجائـب نباتات الأرض الدّاعية للإيمان والوحدانية. وفي الآية إشـارة إلى أن الله سـبحانه خلق كل شـيء في زوجين ليبقى متفرداً بالوحدانية وحده. وإذا قارنا هذه الآية (من كل زوج كريم) مع الآية (٥) من سـورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أي: الحسن والبهجة؛ الحُسـن: أي يدخل البهجة والسـرور على النفوس لما فيه من الزينة

كالزهور وألوان النباتات؛ ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٥)، وآية (٦٣)، وسورة فصلت آية (٣٩)، والأنعام آية (٩٩) للبيان.

[٨] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ للتوكيد، في آية الإنبات ﴿أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿لَآيَةً﴾: اللام لام التّوكيد، آية: لكفار مكة دلالة واضحة أو آية كونية تدل علىٰ قدرة الله وعظمة الخالق ووحدانيته، ومع ذلك لم يعتبروا أو يتعظوا أو يؤمنوا.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو حالية تفيد التّوكيد، (توكيد النّفي بما).

كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: استمروا في كفرهم وتكذيبهم، وهناك القليل من آمن منهم.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: إنّ للتوكيد، ربك: الخالق والمدبر والمربي.

﴿لَهُوَ﴾: اللام للتوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: القوي الّذي يَقهر ولا يُقهر ويَغلب ولا يُغلب والممتنع له العزة جميعاً، القادر علىٰ قهر وجبر خلقه علىٰ ما أراده، ولكنه لم يفعل؛ لأنّه هو الرحيم.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: يؤخِّر عنهم العذاب لعلهم يتوبون، ولا يعذبهم وأنت فيهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

ثمّ يذكرُ الله سبحانه لرسوله ما حدث للرسل الّذين سبقوه، مثل موسىٰ وإبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب.

[١٠] ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾: إذ ظرف زماني، أيْ: واذكر يا محمّد حين نادىٰ ربك موسىٰ، ناداه سبحانه من جانب الطّور الأيمن في البقعة المباركة. ارجع إلىٰ سورة القصص الآية (٢٩ ـ ٣٠).

﴿أَنِ﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ائتِ: من الإتيان: وهو المجيء إلىٰ القوم الظّالمين: المشركين والظّالمين لأنفسهم والظّالمين لغيرهم، الّذين أصبح الظّلم صفة ثابتة لهم.. قوم فرعون.

[١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾:

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ﴾: ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون الأب أم الابن.

﴿أَلَا﴾ أداة استفتاح وتنبيه وحضٍّ واستفهام، فيها معنىٰ الإنكار والعجب في إفراطهم في الظّلم والكفر.

﴿يَتَّقُونَ﴾: يطيعون أوامر الله ويجتنبوا نواهيه، ويجتنبوا سخطه وغضبه وناره. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾: نجد أن فرعون هو المبعوث إليه أولاً وملئه أو قومه هم تبع له؛ ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (٢٤)، وآية (٣٣) لبيان معنىٰ الملأ.

[١٢] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾: قال موسىٰ: رب إنّي للتوكيد، أخاف: من الخوف وهو غمٌّ في النفس ناتج عن توقُّع الضّرر المشكوك في وقوعه، الخوف الّذي سببه تكذيب قوم فرعون الّذي يؤدِّي إلىٰ ضيق في الصّدر وعدم انطلاق اللسان، كما سنرىٰ في الآية القادمة.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿يُكَذِّبُونِ﴾: لا يصدِّقون أيَّ شيء مما أقوله لهم وأصلها أن يكذبونني: حذفت منها النّون والياء لتدل علىٰ سرعة تكذيبهم له أيْ: مجرد إخبارهم سيكذبونه وحذف الياء؛ لأنّ هناك من النّاس سيصدِّقونه ويؤمنون به مثل السّحرة وغيرهم، فلن يكذبه الكلّ،ولو يكذبه الكلّ لقال: يكذبوني.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾:

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾: قُرئت بالضّم وقُرئت بالفتح، ويضيق صدري بتكذيبهم إياي، والضّيق همٌّ وغمٌّ عارض يصيب الإنسان لأسباب مختلفة.

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾: بسبب الخوف والضّيق، وفي سورة طه آية (٢٧) بين أن هناك عقدة من لسانه، وسئل الله سبحانه فقال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، وأحياناً الخوف والضيق قد يؤدِّي إلى إفراز بعض الهرمونات مثل أبينفرين ونور أبينفرين الّتي تؤدِّي بالتّالي إلى عدم القدرة على التّفكير والحيرة والتوتر وارتفاع الضغط مع العلم أن موسى عليه السلام كان عنده عقدة في لسانه كما بين ذلك في سورة طه الآية (٢٧-٢٨): ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، أرسل جبريل إلى أخي هارون يبلغه ليكون لي ردءاً يصدقني سورة القصص الآية (٣٤) أيْ: معيناً أو وزيراً فهو أفصح مني لساناً إنّي أخاف أن يكذِّبون، وفي سورة طه آية (٢٩) قال موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾، فكيف نجمع بين الآيتين؟ أي: أرسل إلى هارون أخي ليكون وزيراً لي أشدد به أزري وأشركه في أمري.

[١٤] ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾:

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾: اللام لام الاختصاص، هم تعود إلى قوم فرعون.

عليَّ: تفيد العلو والمشقة، ذنب: جرم عظيم نكرة للتهويل، لم يبيِّن ما هو الذّنب في هذه الآية، وقد بيَّنه في سورة القصص الآية (٣٣)، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾، فقد قتل موسى رجلاً حين كان بمصر قبل ذهابه إلى مدين. ارجع إلى سورة القصص آية (١٥) للبيان.

﴿فَأَخَافُ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾: بالقصاص مني.. أن مصدرية تفيد التّعليل. ويقتلون ولم يقل: أن يقتلونني؛ لأن القتل قد يعني العذاب بالسجن وغيره من أنواع العذاب، وقد يصل إلى حدِّ القتل.

[١٥] ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾:

﴿قَالَ كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أي: اطمئن ولا تخف أن يقتلوك أو يضيق صدرك أو لا ينطلق لسانك.

﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اذهبا أنت وأخوك بآياتنا (العصا واليد) إلى فرعون وملئه.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾: إنا معكم: للتعظيم بالرّعاية والحماية والعون والنّصر معكم مستمعون: لما يقول فرعون وملئه، ولما تقولانه،وما يقال لكم.

مستمعون: جمع تعظيم من فعل استمع وتنزّه سمعه عن سمع البشر.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾: فرعون: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. ادخلا عليه بصيغة المثنى من الإتيان: المجيء بسهولة.

﴿فَقُولَا﴾: بصيغة المثنى.

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾: بصيغة المفرد ولم يقل: إنا رسولا ربك بالتّثنية كما ورد في سورة طه الآية (٤٧) وهي قوله: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾؛ لأن كلمة رسول في اللغة يمكن تأتي للمفرد والمثنى والجمع ومصدر حسب ما يقتضيه السياق، ولأنّ رسالة موسى وهارون رسالة واحدة، وكان موسى عليه السلام رسولاً نبياً، أمّا هارون فكان نبياً فكلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسول، أمّا من حيث الاصطفاء فالكلّ اختارهم الله سبحانه، والكلّ أرسلوا إلى أقوامهم بأمر من الله سبحانه ولمعرفة الفرق بين الرّسول والنّبي. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٤).

[١٧] ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾: أيْ: أنا وأخي هارون. والمخاطب هو فرعون، أرسل معنا: أيْ: خلِّ سبيل بني إسرائيل.

﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: دعهم يخرجون إلىٰ الأرض المقدسة، قيل: هذه كانت مهمة موسىٰ الأساسية هي إنقاذ بني إسرائيل من العبودية وتحريرهم من فرعون والهجرة بهم إلىٰ الأرض المقدسة، أمّا هداية فرعون وقومه ودعوته إلىٰ التّوحيد فهي مهمة ثانية. ولنعلم أن هناك من بني إسرائيل من ترك مصر سابقاً وهاجر إلىٰ فلسطين وبقي الكثير منهم.

[١٨] ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾:

﴿قَالَ أَلَمْ﴾: قال فرعون: ألم: استفهامية استفهام تقريري تدل علىٰ شيء غير مرئي وتنكره. وقوله ألم نربك فينا: تدل علىٰ أن فرعون هذا هو ابن فرعون (رمسيس الثاني)؛ أي: هو منفتاح (فرعون الخروج) كما تدل الأدلة أو قد يكون القائل الأب رمسيس الثاني وابنه حاضر.

﴿نُرَبِّكَ فِينَا﴾: من التّربية بعد أن التقطه آل فرعون ونشأ وتربّىٰ في بيت فرعون.

﴿وَلِيدًا﴾: صبياً صغيراً، الوليد: المرحلة بعد الولادة.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: عشت معنا وأقمت معنا سنين من عمرك (١٨)

سـنة كما قال ابن عبّاس أو غير ذلك، وقيل: كان موسىٰ يُدعىٰ ابن فرعون لجهل النّاس.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾: أيْ: قتلت ذلك القبطـي ففرعون الابن أصبح عالماً بما فعله موسىٰ قبل خروجه إلىٰ مدين.

﴿ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾: للتوكيد، فَعْلَتك وجاء بهـا بصيغة التّعظيم والتّهويل بفتح الفاء، ولم يقل: فِعلتك بكسر الفاء الّتي تدل المرة الواحدة، ومن دون تهويل.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: الجاحدين المنكريـن (الكفر في اللغة هو السّـتر) لنعمتنا عليك بالتّربية أو الكافرين بألوهية فرعون أو من الكافرين بقتلك القبطي؛ لأنّه ما كان يحل لك قتله فأصبحت من الكافرين.

❖ ❖ ❖

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

سورة الشّعراء الآيات [٢٠ - ٣٩]

[٢٠] ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى لفرعون.

﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: فعلتها إذاً؛ إذاً: حرف جزاء وجواب، والأصل في الجملة إذا فعلتها أنا من الضالين، والسؤال: لماذا تأخرت إذاً عن الفعل (فعلتها)؟ لكي تدل على سرعة الإقرار بما فعل، وقوة توكله على الله سبحانه، وعدم خوفه من فرعون وأنه أخطأ، ولم يقل: فعلتها وأنا من الكافرين، نفى موسى عن نفسه الكفر بكلّ أنواعه.

الضّالين: عن الصواب، أو المخطئين: أيْ: قتل بغير تعمُّد. النّاسين فالضلال هنا يعني النسيان والجاهلين: (من الجهل بعواقب الأمور)، أيْ: لم أظن أنّ الوكز سيقتله، وألبس نفسه صفة الضّلال وليس الضّلال في الدّين وإنما الخطأ وعدم الحذر. وموسى عليه السلام قتل القبطي قبل النبوة، وربما كان لا يدري جزاء عقوبة القتل.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾: الفرار هو: الهرب المصحوب بالخوف والذّعر، ومن دون اللجوء إلى التستر كالفرار من أرض المعركة، أما الهروب: فقد يسبقه تفكير وتخطيط ومحاولة التستر كالهروب من السّجن.

﴿لَمَّا﴾ ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿خِفْتُكُمْ﴾: من الخوف، خفت على نفسي من القتل بعد أن قتلت القبطي خطأً.

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، فوهب أو الهبة عطاء تفضل من الله سبحانه، وليس عطاء استحقاق، وليس خاضعاً لقانون أو أسباب حتّى ولو توافرت الأسباب في ذاتها قد تكون هبة مالاً أو غير مال، وتشمل النّبوة والعلم والولد وغيرها...

﴿حُكْمًا﴾: النّبوة أو العلم والفقه في الدّين وأحكام التّوراة.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: من أنبيائه المرسلين. جمع مرسل، أيْ: من الأنبياء والرّسل.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: تلك: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى النّعمة الّتي ربيتني وليداً، وذكر بعض المفسرين أنّ هناك همزة استفهام محذوفة تفيد الإقرار والإنكار، وتقديرها: أتلك نعمة تمنها علي بالتربية وأنت قد استعبدت بني إسرائيل قومي وذبحت أبناءَهم واستحييت نساءَهم.

﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أنْ مصدرية تفيد التّعليل، عبدت بني إسرائيل: اتخذتم عبيداً فأيُّ نعمة تلك أو أتلك نعمة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

يسأل فرعون موسى بعد أن قال موسى وهارون إنا رسول رب العالمين.

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: ما: ولم يقل ومن رب العالمين، ما: تستعمل لغير

العاقل، وتستعمل لصفات العقلاء، وتأتي للاستفهام الحقيقي، والتفخيم والتعظيم الّذي قلت: إنّك رسوله، ما حقيقته.

[٢٤] ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾:

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾: قال موسىٰ: خالق ومالك وحاكم السّموات والأرض وما بينهما.

ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٥٩) للبيان.

﴿إِن كُنتُم﴾: تفيد الشّك أو الاحتمال.

﴿مُّوقِنِينَ﴾: جمع موقن، واليقين: هو العلم بالحق أي: العلم الثابت الّذي لا يتغيَّر أيْ: ليس هناك غيره، أيْ: إن كنتم ترجون الهداية وتعلمون الحق فعليكم أن تؤمنوا بربٍّ (أيْ: بخالق) السّموات والأرض وما بينهما وتعبدوه وتوحِّدوه.

[٢٥] ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾:

قال فرعون لمن حوله: ألا أداة حضٍّ وحثٍّ جاءت بمعنىٰ الاستنكار والتعجُّب، أيْ: ألا تعجبون من قول موسىٰ أن هناك رباً هو رب السّموات الأرض وما بينهما، فسارع موسىٰ إلىٰ شرح وبيان من رب السّموات والأرض وما بينهما. وأُريد بهذا الاستفهام المنفي بـ(ألا) إثارة نفوسهم أيضاً، ونفي الاستماع لما قاله موسىٰ عليه السلام رغم أنهم سمعوه؛ أي: لا تستمعوا إليه.

[٢٦] ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾:

قال موسىٰ: ربكم ورب آبائكم الأولين: أي: خالقكم وخالق آبائكم

الأولين أو ربكم ورب آبائكم الأولين، رب الأمم والأقوام الخالية الّتي جاءت قبلكم، وهذا تخصيص أو ذكر الخاص بعد ذكر العام (عطف الخاص على العام) العام رب السّموات والأرض وما بينهما، والخاص ربكم ورب آبائكم الأولين.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾:

لم يعد عند فرعون حُجَّة يجادل بها موسى وشَعَر بأنّه خسر الجدال أو استاء من موسى فاتّهم موسى بالجنون.

﴿قَالَ﴾: فرعون لمن حوله.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾: يبدو أنّ فرعون أخطأ بهذه اللفظة أو أنطقه الله بالحق، فقال: رسولكم، أي: اعترف فرعون بموسى بكونه رسولاً. أو قال ذلك سخرية من موسى بأنه رسول مجنون.

﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام لام التّوكيد، مجنون: مخبول، فقد عقله. أيْ: لا يعلم أو يدرك ما يقوله.

[٢٨] ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال موسى محاولاً للمرة الثالثة أن يهدي فرعون أو يصف له من هو رب العالمين.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: رب المشرق والمغرب أيْ: خالق المشرق والمغرب، وهذا يدل على كروية الأرض، ويأتي بالشّمس من المشرق

ويجعلها تغيب، ولكل بقعة على الأرض لها مشرق ولها مغرب، وفي سورة الرحمن آية (١٧) قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾.

وفي سورة المعارج آية (٤٠) قال تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

ارجع إلى سورة الرحمن للبيان.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: جاء بها رداً على قول فرعون إنّه لمجنون، أيْ: أنا لست مجنوناً. إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: من عقل الشّيء عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه: أيْ: لو فكرتم لأدركتم الحقيقة أن لله سبحانه هو الإله الحق واجب الوجود الّذي يستحق، ويجب أن يُعبد ويطاع وليس فرعونَ.

[٢٩] ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾:

لم يعد فرعون قادراً على تحدِّي موسى بأي قول أو حُجَّة فلجأ إلى التهديد واستعمال القوة بالقهر والتّعذيب، فهدَّد موسى بالسّجن والعذاب، فقال فرعون:

﴿لَئِنِ﴾: اللام لام التّوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿ٱتَّخَذْتَ﴾: يا موسى إلهاً غيري أيْ: عبدت أو دعوت إلهاً غيري.

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ﴾: اللام لام التّأكيد، والنّون في أجعلنك لزيادة التّوكيد.

﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾: من ابتدائية، المسجونين: جمع سجين أيْ: تلقى في السّجن، والسّجن: هو الحبس.

[٣٠] ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسىٰ لفرعون.

﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتعجب، لو شرطية، والواو للتوكيد.

﴿جِئْتُكَ﴾: أيْ: أتسجنني أو تلقي بي في السّجن إذا جئتك.

﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: أيْ: دليل أو آيــة أو حُجَّة أو برهان علىٰ صدق دعواي أنّي رسول من رب العالمين والباء للإلصاق، والشّيء هو أقل القليل وشيء هنا نكرة للتهويل. والشّيء كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء كان حسياً أو معنوياً.

بشــيء مبين: واضح لكلّ فرد، ولا يحتاج إلىٰ من يبينه أو يوضِّحه فهو بيِّن بذاته علىٰ صدق ما أقول..

[٣١] ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

استجاب فرعون لطلب موسىٰ بإرادة الله تعالىٰ ليقيم عليه الحُجَّة فقد كان باســتطاعة فرعون الرّفض وإلقاء القبض علىٰ موسىٰ وإلقائه في السّجن مباشرة وانتهت القصة.

﴿فَأْتِ بِهِ﴾: أحضره. قال فرعون لموسىٰ: أحضر ذلك الشّيء.

﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: إن شــرطية تفيد الشّــك أيْ: إنّك قادر علىٰ ذلك، من الصّادقين: أيْ: أظنك من الكاذبين أو أشك أنّك صادق.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾: الفاء للتعقيب، ألقىٰ طرح عصاه علىٰ الأرض.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، إذا الفجائية.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: الثّعبان هو ذكر الحيات، حية عظيمة ضخمة مخيفة، مبين: ظاهر للعيان، وليس من نوع السّحر وملامحه وشكله لا تدعو إلى الشّك أنّه ثعبان مُرعب، وجاء ذكر الثعبان مرتين في القرآن وكلاهما أمام فرعون، ولم يأتي ذكر جان مع فرعون أو ملئه ربما لأن حركات الحية وهي تهتز كالجان ليست مخيفة أو مثيرة كما هي الحال في الثعبان المبين، ولم يقل: كأنها جان (حية سريعة الحركة والخفاء)، ولا حية تسعى؛ ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة الأعراف لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين الحية والثّعبان والجان؛ كان هذا الموقف قبل المجيء بالسحرة يوم الزينة وأمام فرعون، ولم يذكر الخوف أو يعقب كما في سورة طه آية (٢٠)، والقصص آية (٣١)، والنمل آية (١٠).

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرج يده بقوة وسرعة من جيبه فإذا هي بيضاء تشع من غير سوء، أيْ: أدخل يده في جيبه، ثمّ أخرجها ولم يُبن أنّه أدخلها؛ لأنّه مفهوم من السّياق فكيف يخرجها من دون إدخال.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للمباشرة، إذا فجائية.

﴿بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾: أيْ: بيضاء من غير سوء ليس فيها مرضاً أو عيباً كالبرص وغيره من الأمراض الجلدية تبرق كالبرق لها شعاع كشعاع الشّمس.

[٣٤] ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: فرعون.

﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾: الملأ هم أشراف القوم وسادتهم وممثلوهم والملأ مشتقة من كونهم يملؤون عيون النّاس أيْ: من كثرة رؤية النّاس لهم أصبحوا كأنّهم يملؤون عيون النّاس فسُمُّوا بالملأ. وفي الزّمن الحاضر هم ممثلو الشّعب ومن يختارهم الشّعب للبرلمان أو مجلس الشّعب. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لمعرفة الفرق بين الملأُ والملأِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى موسى.

﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: اللام للتوكيد، ساحر: اتُّهم موسى بالسّحر، وفي الآية (٢٧) بالمجنون، ساحر: أيْ: يأتي بالسّحر لأوّل مرة، عليم: صيغة مبالغة عليم في صنع السّحر أو علم السّحر، وفي سورة الأعراف آية (١٠٩) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ولم يذكر اسم فرعون؛ لأن الملأ هم أتباع فرعون.

وفي الآية (٣٧) من سورة الشّعراء قال: سحار عليم، سحار: صيغة مبالغة لساحر، أيْ: من أصبحت حرفته ومهنته السّحر يأتي بالسّحر بكل فنونه وفي كلّ مرة وأصبح يُعلم السّحر لغيره.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾:

قال فرعون مهيجاً الملأ حوله ومثيراً لهم ضد موسىٰ ويتهم موسىٰ أنّه يريد السّيطرة والاستيلاء علىٰ أرضهم وطرد أهلها منها بواسطة سحره.

﴿بِسِحْرِهِۦ﴾: الباء للإلصاق، باء السّببية أيْ: بسبب سحره، واتهموا موسىٰ بالسحر؛ لأنه جاء بأمر خارق للعادة، أو قد أثر في أنفسهم، وفي سورة الأعراف آية (١١٠): ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ حذف كلمة سحره؛ لأن هذا كلام الملأ من قوم فرعون، وأما كلام فرعون فقد قال بسحره ليحرضهم ضد موسىٰ، وقد قال فرعون في سورة طه آية (٥٧): ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾.

﴿فَمَاذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، ماذا استفهامية أشد استفهاماً من (ما).

﴿تَأْمُرُونَ﴾: فعله أو ماذا نفعل، وهل هذا إله الّذي لا يعرف ماذا يفعل، ويستثير النّاس ويسألهم ماذا تأمرون، ويخاف من ساحر أن يخرج قومه من أرضهم.

[٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخِّر أمر موسىٰ وهارون، من الإرجاء: وهو التّأخير، انتظر قليلاً.

﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾: من البعث هو الإرسال بتحريض وإثارة والبعث هو أشد من الإرسال، ابعث رسلك أو جنودك إلىٰ المدن المختلفة، حاشرين: من الحشر هو السّوق والجمع، أيْ: يجمعوا ويسوقوا إليك كلّ ساحر، وفي سورة

الأعراف الآية (١١١) قالوا: أرسل في المدائن حاشرين، بدلاً من ابعث ولمعرفة الفرق بين البعث والإرسال. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

وكيف نفسر ذلك: قسم من الملأ قالوا: ابعث. وقسم قالوا: أرسل. ولا تعارض بين الآيتين.

[٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾: يأتوك: يُحضروا إليك، بكلّ: الباء للتوكيد، كلّ سحار: أيْ: لا يتركوا أحد من السّحار إلا أتو به، وسحار وليس ساحر، السّحار: الخبير بعلم السّحر والسّحر حرفته أو قادر على أن يُعلم السّحر لغيره، فهم يطلبون إحضار السّحار العظام لعلهم يُطمئِنوا قلب فرعون فهم يريدون له النّصر على موسى، وكلمة سحار تناسب كلمة ابعث، وأما أرسل جاءت في سياق الملأ من قوم فرعون، وناسبها ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٢].

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾:

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ﴾: جيء بالسّحرة للاجتماع الموعود في يوم الموعود (المحدد) الّذي اختاره موسى وهو يوم الزّينة وفي وقت الضّحى، وفي مكان سوىً يستطيع الوصول إليه كل النّاس.

وورد ذلك في سورة طه الآية (٥٩): ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

﴿لِمِيقَاتِ﴾: الميقات يقصد به الزّمان والمكان، لميقات: اللام لام التّوقيت لدخول الزّمن أو لام الانتهاء. ومن المفسرين من قال اللام لام التعليل؛ أي:

لأجل ذلك اليوم، والدلالة على عظمته، ولم يقل ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما ورد في سورة الواقعة آية (٥٠) إلى تدل عموم الغايات.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾:

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: أيْ: أخذ فرعون وجنوده وملؤه يحثون النّاس ويدعوهم للحضور والاجتماع ومشاهدة عمل السّحرة، وما سيحدث لموسى، ولمن ستكون الغلبة.

﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾: هل استفهام، أنتم: للتوكيد، مجتمعون: أيْ: يجب حضوركم جميعاً والالتقاء معاً. والاجتماع في المكان المحدد.

مجتمعون: جمع مجتمع، ومجتمعون: تعني في مكان واحد أو تحت سقف واحد.

❖ ❖ ❖

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

سورة الشّعراء الآيات: [٤٠ - ٦٠]

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾:

﴿لَعَلَّنَا﴾: لعلَّ للتعليل أو لكي.

﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: نتبع سحرة فرعون أيْ: ننظر كيف يتغلب سحرة فرعون على موسى أو نتبع السّحرة على طريقتهم أو ملتهم إن كانوا هم الغالبين ولا نتبع موسى وأخاه على ما جاؤوا به.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: هم للتوكيد، الغالبين: أيْ: كان النّاس يشكون في تغلب السّحرة على موسى أو غير واثقين بالسّحرة.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين متضمن معنى الشّرط.

﴿جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: من دون تأخير لدعوة فرعون وملئه لهم.

﴿قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ﴾: قال السّحرة لفرعون قبل الشّروع في السّحر.

﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: الهمزة همزة استفهام، لنا لأجراً: اللام للتوكيد، أيْ: هم غير واثقين أنّ لهم أجراً.

﴿إِن كُنَّا﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك.

﴿ نَحْنُ ﴾: تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿الْغَالِبِينَ﴾: يسألون فرعون: ألنا أجراً؛ لأنّهم كانوا لا يأخذون على السّحر أجراً أو كانوا يأخذوا شيئاً قليلاً، أيْ: أَئِنَّ لنا جائزة إن كنا نحن الغالبين.

لا بُدَّ من مقارنة هذه الآية ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ وقولهم في الآية (١١٣) من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾: إنّ لنا لأجراً في الأعراف فيها حتمية أيْ: (واثقين) حتماً إنّ لنا أجراً فهي غير استفهامية، أَئِنَّ لنا لأجراً في الشّعراء تدل على الشّك والظّن وهي استفهامية.

قسم من السّحرة قال: أَئِنَّ لنا لأجراً وقسم آخر قال: إن لنا لأجراً....

[٤٢] ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾:

﴿ قَالَ نَعَمْ﴾: قال فرعون: نعم لكم أجراً.

﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾: تدل على التّوكيد.

﴿إِذًا ﴾: حرف جواب وجزاء، أي: ما بعدها مشروط حصوله بحصول ما قبلها، أي: لكي تكونوا من المقربين يجب أن تغلبوا وتدل على قوة الوعد وتوكيده.

﴿ لَمِنَ ﴾: اللام للتوكيد، ولم يقل: إنّكم من المقربين، بل أكَّد لهم؛ مما يدل على حرص فرعون على التّغلب على موسى وقهره، وكأنه يقول: اغلبوه ولكم ما تريدون، ويريد أن يشجعهم ويغريهم لكي لا يدَّخروا وُسعاً في هذه المعركة مع موسى.

[٤٣] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾:

في سورة الأعراف الآية (١١٥) ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾.

وفي سورة طه الآية (٦٥) ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾.

وفي سورة الشّعراء الآية (٤٣) ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

من قراءة هذه الآيات معاً تبدو أنّ رغبة السّحرة في أن يلقي موسىٰ عصاه أولاً وهم يريدون أن يلقوا بعد ذلك، وبعد أن بدت الحيرة والتردُّد بينهم، وحين سألوا موسىٰ ألهمه الله سبحانه أن يقول لهم: ألقوا أنتم أولاً حتّىٰ تلقفْ عصاه ما يؤفكون، وهذا ما حدث ألقوا أولاً، ثمّ ألقىٰ موسىٰ بعد ذلك.

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾:

﴿ فَأَلْقَوْا۟ ﴾: الفاء تدل علىٰ المباشرة، ألقوا: طرحوا علىٰ الأرض.

﴿ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾: أدوات سحرهم حبال مطلية بالزّئبق أو العصي المحشوة بالزّئبق (داخلها الزّئبق) فحين تقع عليه أشعة الشّمس ترىٰ الأعين الحبال والعصي أنها تتحرك وتملأ السّاحة.

وعند إلقائها ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ الباء باء القسم أقسموا بعزة فرعون أي: قوته الّتي لا تُقهر ولا تُغلب، وهي عزة كاذبة باطلة عزة بالإثم وهي عزة تقهر وتغلب وكان ذلك ظنهم الخاطئ، ولربما أخذتهم العزةُ بالإثم، حين قالوا ذلك.

﴿ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾: إنا للتوكيد، واللام لزيادة التّوكيد، الغالبون: أيْ: علىٰ موسىٰ. يحاولون بثّ روح الشّجاعة في أنفسهم.

[٤٥] ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾:

﴿ فَأَلْقَىٰ ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، والمباشرة، ألقىٰ: طرح موسىٰ عصاه الّتي كانت في يمينه، وكانت عصا ليست من جنس العُصي، قال في هذه الآية: فألقىٰ عصاه، وفي طه قال: ألق ما في يمينك (ولم يذكر ما هي).

﴿ فَإِذَا ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، وإذا ظرف زماني للفجاءة.

﴿ هِيَ تَلْقَفُ ﴾: العصا تحوَّلت إلىٰ حية حقيقة راحت تبتلع كل ما ألقاه سحرة فرعون وجاءت تلقفُ بالضّم الّتي تدل علىٰ اللقف كان يحدث آنذاك وتلقف تعني: تبتلع وتلتهم بسرعة وبقوة، وقد تأتي تلقفْ بالسّكون الّتي تدل علىٰ أن الأمر لم يقع بعد، وإنما سيقع في المستقبل.

﴿ مَا ﴾: اسم موصول بمعنىٰ الذي وهي أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿ يَأْفِكُونَ ﴾: من الإفك وهو الكذب وقلب الحقائق والسّحر هو كذب وقلب للحقائق. ارجع إلىٰ سورة طه آية (٥٨) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾:

أي: خرُّوا لله ساجدين حين رأوا ما جاء به موسىٰ ليس سحراً، بل حقيقة وأنّهم علىٰ باطل، خرُّوا علىٰ وجوههم سجداً لله قبل أن يعلنوا إسلامهم وإيمانهم، وبعد أن خرُّوا أعلنوا إيمانهم.

والأمر الطّبيعي أن يعلنوا إيمانهم أولاً، ثمّ يخروا سجداً لله وهم فعلوا العكس من شدة دهشتهم وتأثرهم بما حدث، حيث وصل نور الإيمان إلىٰ قلوبهم قبل أن يصل إلىٰ ألسنتهم.

[٤٧] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٢١) سورة الأعراف للبيان.

[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾:

قدَّم موسىٰ علىٰ هارون؛ لأنّهم قالوا سابقاً: آمنا برب العالمين ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ارجع إلىٰ الآية (١٢٢) سورة الأعراف للمقارنة.

[٤٩] ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

المناسبة: لما رأىٰ فرعون تغلب موسىٰ علىٰ السّحرة لجأ مرة أخرىٰ إلىٰ التّهديد والوعيد وإلىٰ عزته الكاذبة الخاطئة.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: أيْ: صدقتم بموسىٰ واللام في لـه لام الاختصاص ويعني: الاتباع أي: اتبعتم موسىٰ، بينما لو قال: آمنتم بـه، أيْ: إيمان اعتقاد، فالضمير يرجع إلىٰ رب العالمين، وهناك من قال يرجع إلىٰ موسىٰ عليه السلام؛ لأن الإيمان بموسىٰ عليه السلام يعني إيمان بالله تعالىٰ؛ أي: إيمان بالله.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أن: تعني المستقبل وتفيد التّعليل، حيث كان يظن في نفسه أنّه هو الحاكم المطاع ولا أحد يستطيع أن يفعل أي شيء من دون إذنه.

﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أي: اسمح لكم.

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: إنّه للتوكيد، واللام في كلمة لكبيركم لزيادة التّوكيد، وكبيركم أي: موسىٰ الّذي علمكم السّحر أي: فعلتم ذلك بالتواطؤ مع موسىٰ مع العلم أنّ موسىٰ عليه السلام لم يجلس مع أو يرىٰ ساحراً.

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة سوف ترون مباشرة ما سأفعل

بكم، واللام في كلمة لسوف لزيادة التّوكيد، وسوف هنا لا تدل على التّرتيب والتّراخي، وإنما تفيد التّوكيد، أي: الأمر كائن لا محالة تفيد في زيادة التّهديد والوعيد، وتستعمل في سياق القتل والانتقام فهي تدل على الموت والهلاك.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: اللام للتوكيد والنّون لزيادة التّوكيد في لأقطعن، أي: قطع اليد اليمنى والرّجل اليسرى أو قطع اليد اليسرى والرّجل اليمنى، وهذا من أشد وأسوأ فنون التّعذيب الّتي ابتدعها فرعون، والموتُ أفضل من ذلك.

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: واللام والنّون للتوكيد، الصّلب بعد القطع والتّعذيب، أجمعين: تفيد التّوكيد. ارجع إلى الآية (١٢٤) من سورة الأعراف لمعرفة الفرق بين هذه الآية وآية الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: السّحرة بعد أن سمعوا تهديد ووعيد فرعون لهم بالقطع والصّلب.

﴿لَا ضَيْرَ﴾: لا: النافية للجنس؛ أي: لا ضير علينا.. أو لا ضرر علينا، أو لا نبالي إن قتلتنا أو قطعتنا أو صلبتنا، ضير: مصدر لفعل ضاره أو أضر به الأمر.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: منقلبون: من الانقلاب وهو الرّجوع، ولكن ليس إلى الحالة الّتي كانوا عليها من قبل، وإنما إلى مصير جديد مختلف فهم انقلبوا مؤمنين، وكانوا قبل مجيئهم كفرة، وقالوا: ﴿إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ في سورة الأعراف آية (١٢٥)، ولكن في الشعراء أضافوا لا ضير؛ لأن الوعيد والتهديد كان أشد في

الشعراء فقالوا لا ضير، وفي سورة الزخرف آية (١٤) ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ هذا دعاء السفر.

ارجع إلىٰ سورة التّوبة آية (٩٥) لمعرفة الفرق بين الرجوع والانقلاب.

[٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: إنا للتوكيد، نطمع: الطمع: الأمل الّذي يمكن حصوله وربما بسهولة بينما الأمل يستعمل في الأمر المستبعد حصوله، وأمّا الرّجاء فهو بين الأمل والطّمع. الرّاجي يخاف أن لا يحصل مأموله.

﴿أَن﴾: مصدرية تعليلية.

﴿يَغْفِرَ لَنَا﴾: الغفر هو السّتر ومحو الذّنب والإثابة علىٰ العمل الصّالح.

﴿خَطَٰيَٰنَآ﴾: ذنوبنا وسيئاتنا.

﴿أَن كُنَّآ﴾: أن تعليلية.

﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أوّل المؤمنين من قومنا أو أوّل المؤمنين بموسىٰ.

[٥٢] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: من الوحي والوحي لغة: هو إعلام بخفاء، وشرعاً: إعلام من الله تعالىٰ إلىٰ رسول من رسله بمنهج أو خبر أو تكليف. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ﴾: أن: مصدرية تعليلية.

﴿أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾: الإسراء هو السّير ليلاً، وتعني في المستقبل (فيها متسع من الوقت). مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ أي: تعني في تلك الليلة المحددة. ارجع إلىٰ سورة الدخان آية (٢٣) للبيان.

عبادي: أي: الّذين آمنوا من بني إسرائيل وهناك فرق بين عبيد وعبادي وعباد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) وسورة الفرقان آية (٦٣) للبيان.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: إنّكم للتوكيد، متبعون: أي: سيتبعكم فرعون وجنوده، قيل: كان خروجهم من مصر بعد (٤٣٠) سنة، وقيل: كان عددهم حوالي (٦٠٠،٠٠٠) ستمئة ألف، كما قال السيوطي في الدر المنثور، وابن جرير، ولنعلم أن ليس كل بني إسرائيل خرجوا مع موسى فهناك من بقي مثل العاملين في قصور فرعون والخدم والحرس وغيرهم ممن أرادوا البقاء.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾:

﴿فَأَرْسَلَ﴾: الفاء للمباشرة أي: حين علم فرعون بنية موسى للخروج، ببني إسرائيل من أرض مصر.

أرسل ﴿فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ﴾: جمع مدينة وهي أعظم من القرية.

﴿حَاشِرِينَ﴾: أي: لا تتركوا بني إسرائيل يخرجوا من ديارهم أو يهاجروا، أو للحثِّ على التّطوع للتصدي لبني إسرائيل حين خروجهم ومنعهم من الخروج حيث كان عدد بني إسرائيل يزيد على (٦٠٠,٠٠٠) فلا بُدَّ من حشر (جمع) أكبر عدد من الجنود لمقاومة المهاجرين.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾ إنّ واللام في كلمة لشرذمة تفيدان التوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه أولاء، تعني: بني إسرائيل وتفيد التّحقير.

﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: شرذمة: عصابة أو طائفة، جماعة مشتقة من ثوب شراذم، أي: ثوب تقطع وبلي، عصابة بالية هالكة.

ولــو نظرنا إلىٰ ترتيب الجماعات من القلــة إلىٰ الكثرة فهي كما يلي: نفر، رهط، شرذمة، قبيلة، عُصبة، طائفة، ثلة، فوج، فرقة، حزب، زمرة، جيل كما جاء في فقه اللغة للثعالبي.

﴿قَلِيلُونَ﴾: العــدد مقارنة بعدد جنده، أو يريد أن يقلل من شــأنهم ويقوي عزيمة جنده، ويبثَّ فيهم الشجاعة للتصدِّي لهم.

[٥٥]: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾:

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: إن واللام في لغائظون تفيدان التّوكيد.

﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص لنا خاصة.

﴿لَغَائِظُونَ﴾ جمع غائظ: اسم فاعل من غاظ، والغيظ: هو الغم أو الهيجان الّــذي فيه غضب وحقد كامــن في نفس العاجز عن الانتقام أو التّشــفي. وقيل: هاجر عدد من بني إسرائيل إلىٰ أرض فلسطين قبل خروج موسىٰ من مصر، وكان هؤلاء مصدر إزعاج لفرعون وجنوده.

غائظون: جملة اسمية تفيد الثّبوت، أيْ: غائظون لنا دائماً وباستمرار.

ارجع إلىٰ سورة التّوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

[٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾:

﴿وَإِنَّا﴾ إنا واللام في لجميع تفيدان التّوكيد.

﴿حَاذِرُونَ﴾: جمع حاذر: اســم فاعل مــن فعل حذر. في حالة اســتعداد للتصدي لهم إذا خرجوا من دون أمرنا أو حذرون من دون ألف، والحذر: التّيقظ والاستعداد، والتأهب، وقيل: حاذرون: أولي أو أصحاب أسلحة، وقيل: الحَاذر: المستعد والحذر: المتيقظ.

[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾:

أيْ: لم ينفعهم حذرهم واستعدادهم.

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾: الفاء تدل على المباشرة، أخرجناهم: أيْ: فرعون وملأه وجنوده.

﴿مِّن جَنَّٰتٍ ﴾: بساتين وحدائق على جانبي النّيل.

﴿وَعُيُونٍ ﴾: أنهار وينابيع الماء.

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾:

﴿وَكُنُوزٍ ﴾: جمع كنوز والكنز ما يدفن تحت الأرض أو التراب من ذهب أو فضة أو المال واللؤلؤ وغيرها. أيْ: كنوز الذّهب والفضة وغيرها الّتي يخفونها تحت الأرض.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾: المنازل والقصور الواسعة ورغد العيش والتّرف.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ ﴾: أيْ: مثل ذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾: أيْ: مثل ما أورثنا آل فرعون، أورثنا بني إسرائيل جنات وعيون وكنوز ومقام كريم أيْ: من الخيرات، والأموال والعقار والمساكن، كيف أورثها الله سبحانه بني إسرائيل؟ هناك عدة تفسيرات هي:

أولاً: من تبقى من بني إسرائيل في مصر (ليس كل بني إسرائيل خرجوا مع موسى) بعد خروج فرعون وملأه وجنوده للحاق بموسى وبني إسرائيل ورث من تبقى من بني إسرائيل فرعون وملئه وجنوده بعد أن أغرقوا.

ثانياً: هناك من قال: إن بني إسرائيل عادوا إلى مصر في زمن سليمان

وورثوا الديار والكنوز والمقام الكريم، وفي سورة الدخان آية (٢٨) قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: بني إسرائيل، ولكن حذف ذكر بني إسرائيل، وقال: قوماً آخرين؛ لأنه سبحانه ذكر بني إسرائيل في الآية (٣٠) من سورة الدخان فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

[٦٠] ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾:

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، أتبعوهم: أيْ: لحقوا بهم، أيْ: فأتبع فرعون وجنوده بني إسرائيل حين خرجوا من مصر.

﴿مُّشْرِقِينَ﴾: وقت شروق الشّمس، أيْ: حين طلعت.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

سورة الشّعراء الآيات [٦١ - ٨٣]

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: الجمعان: جمع بني إسرائيل وجمع فرعون رأىٰ بعضهما بعضاً وهذا يدل علىٰ تقاربهما في المكان.

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: من بني إسرائيل.

﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: إنا واللام في لمدركون للتوكيد، مدركون: لأنّهم شعروا أنّ البحر من أمامهم وجنود فرعون من خلفهم، فلا منفذ ولا مهرب فأصابهم الذّعر والهلع.

مدركون: جمع مُدرك من أدرك، أيْ: لحق به، وكان ذلك عند شروق الشّمس.

[٦٢] ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسىٰ.

﴿كَلَّآ﴾: كلا لن يدركونا، ولن يلحقوا بنا.

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾: لماذا لم يقل إن معنا ربنا وقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ خص نفسه بالمعية فقط دون غيره من بني إسرائيل؛ لأن نجاتهم وهم في هذه الحالة من الغرق ومن الهلاك علىٰ يدي فرعون وجنوده لا يتم أو يحصل إلا بمعجزة خارقة لا تقع إلا علىٰ يدي رسول، وإنه كليم الله تعالىٰ؛ إنّ معي ربي

بالرعاية والحفظ والهداية، أو لكونهم أتباعه فهو يمثلهم وهم يمثلوه؛ أي: هو منهم، وقد يكون حذف الياء من سيهدين؛ لأن الهداية لا تخص موسى وحده (أي: النجاة ومجاوزة البحر) بل تعني: وهو ومن معه من بني اسرائيل فهي شاملة، ولو قال سيهديني؛ أي: هداية خاصة به وحده؛ أي: ينجو هو وربما لا ينجو غيره.

سيهدين: أيْ: يدلني على طريق النّجاة والسّين للاستقبال القريب قريباً حالاً سيهدين.

[٦٣] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾:

﴿ فَأَوْحَيْنَآ ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أيْ: أوحينا بسرعة إلى موسى بعد أن قال: إنّ معي ربي سيهدين، فأوحينا. ارجع إلى الآية (١٦٣) من سورة النّساء لبيان معنى أوحينا والوحي هو إعلام بخفاء أيْ: أمرناه.

﴿أَنِ ﴾: تفسيرية أو مصدرية تفيد التّعليل.

﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: فضرب. فانفلق: انحصر الماء على الجانبين، أي: انشق البحر حتّى بدا قاع البحر يابساً، فكان كلّ فرق كل جزء كلّ جانب كالطّود: أي: الجبل العظيم؛ أي: الطود أعظم من الجبل، والطور: أقل من الجبل طولاً وارتفاعاً، وكأن الماء تجمَّد، ولم يبيِّن الله سبحانه إلى كم فلقة انفلق: ومن المفسرين من يقول: إنّه انفلق اثنتي عشرة فلقة بعدد الأسباط بحيث يعبر كلّ سبط من طريق للسرعة، وبعد عبورهم البحر ووصولهم إلى الجانب الآخر.

أراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر مرة أخرى ليعود إلى طبيعته كي

يسد الطّريق في وجه فرعون وجنوده، فنهاه الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدّخان: ٢٤]، كي يحاول فرعون وجنوده العبور وعندها يُطبق البحر عليه وعلىٰ جنوده.

ارجع إلىٰ سورة الدخان آية (٢٤) لبيان التفصيل.

[٦٤] ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾:

﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾: من الزّلف: وهو القربة يقال: أزلفه أيْ: قربه وأزلفنا: أيْ: قربنا.

ثَم: بفتح الثاء وليس بضم الثاء (ثُم): ثَم اسم يشار به إلىٰ المكان البعيد وتعني: هنالك في ذلك المكان، وأما ثُم: بضم الثاء فهي المستعملة دائماً وتشير إلىٰ التّرتيب والتّراخي في الزّمن أو التباين في الصفات وغيرها...

﴿ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾: فرعون وجنوده؛ أي: وقرَّبنا فرعون وجنوده من موسىٰ وقومه حتّىٰ دخلوا علىٰ إثرهم مداخلهم في البحر ظانين أنّهم أصبحوا قاب قوسين من موسىٰ وقومه.

[٦٥] ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾:

﴿ وَأَنجَيْنَا ﴾: ولم يقل: ونجينا، أنجينا تعني بسرعة وبقدرة عظيمة لا يقدر عليها إلا الواحد القهار،ولم يدم طويلاً وقت النجاة، ولو قال: ونجينا: لكان يعني وقت النّجاة دام زمناً طويلاً.

﴿ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾: ومن: اسم موصول تعني الواحد أو الاثنين أو أكثر، ومن معه: تعني القلة مقارنة بالقول والذين معه التي تعني الكثرة.

معه: أيْ: ومن معه من بني إسرائيل.

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾: للتوكيد.

أيْ: كلّ من كان مع موسىٰ ولم يغرق منهم أحد أو يهلك منهم أحد في عملية النّجاة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل علىٰ التّراخي، وإنما علىٰ تباين ما حدث لموسىٰ وبني إسرائيل من النّجاة من الغرق وما حدث لفرعون وجنوده ولم ينجُ أحدٌ.

﴿أَغْرَقْنَا﴾: فرعون وجنوده.

إذن هناك ثلاث خطوات تمت: الإزلاف، ثمَّ نجاة موسىٰ ومن معه، ثمَّ إغراق فرعونَ وجنودِه.

﴿الْآخَرِينَ﴾: ذكرها مرتين للتوكيد (وتعني: فرعون وجنوده).

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: للتوكيد، في ظرفية، ذلك اسم إشارة واللام للبعد تشير إلىٰ نجاة موسىٰ ومن معه وإغراق فرعون وجنوده.

﴿لَآيَةً﴾: اللام للتوكيد، آية: معجزة خارقة للعادة وعبرة تدل علىٰ عظمة الله تعالىٰ وقدرته ووحدانيته وتوجب الإيمان به، وتدل علىٰ صدق رسالة موسىٰ عليه السلام؛ لأية: لموسىٰ ولقومه ولكل مؤمن ومن يقرأ كتاب الله تعالىٰ.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: ما النّافية، كان أكثر قوم فرعون مؤمنين، وأمّا الأقلية أمثال امرأة فرعون والمؤمن من آل فرعون وغيرهم فقد آمنوا، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ ولم يقل: وما كانوا مؤمنين؛ أي: الكل، وإنما أكثرهم، وأكثر تعني: العدد الكبير منهم، وهذا يدل علىٰ عدل الله تعالىٰ وقسطه.

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٩) من نفس السّورة للبيان.

[٦٩] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: اقرأ علىٰ قومك يا محمّد نبأ إبراهيم (الخبر الهام العظيم) الّذي فعله إبراهيم عليه السلام في قومه.

وما يلفت الانتباه جاء بذكر إبراهيم عليه السلام بعد ذكر موسىٰ عليه السلام مع أنّ إبراهيم سبق موسىٰ في التّرتيب الزّمني، فالمسألة ليست مسألة زمن فقط وإنما حكمة وعبرة، فموسىٰ أرسل إلىٰ فرعون الطّاغية الّذي قال للملأ: أنا ربكم الأعلىٰ، وهذا قمة الكفر والشّرك، وإبراهيم أرسل إلىٰ قوم يعبدون الأصنام فهؤلاء أقل سفاهة وضلالاً وجهلاً من قوم فرعون، فهؤلاء كانوا يظنون أنّ هذه الأصنام تقربهم عند الله زلفىٰ أو تشفع لهم بينما قوم فرعون يعبدون الآلهة ويعبدون فرعون نفسه، فلذلك كان نبأ موسىٰ أهم من نبأ إبراهيم بالنّسبة للدعوة إلىٰ التّوحيد والتّحدي.

[٧٠] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية للمضي بمعنىٰ حين قال لأبيه.

﴿لِأَبِيهِ﴾: آزر. وقيل: آزر: هو تارح فقد قيل: إن لوالد إبراهيم عليه السلام اسمين تارح وآزر، كما روىٰ الطبري في جامع البيان مثل إسرائيل هو يعقوب، وقال كثير من المفسرين: إن أبا إبراهيم اسمه بالسريانية تارح، وبغير السريانية اسمه آزر. وأبيه قيل: كان عمّه. ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من سورة الأنعام للبيان المفصل، لأبيه: اللام لام الاختصاص، وقدم أبيه علىٰ قومه؛ لأنّ الأب أو العم هم أقرب النّاس إليه والدّعوة عادة تبدأ بالأقرب فالأقرب.

﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: رجال ونساء. وقيل: القوم هم الرجال فقط.

﴿مَا﴾: أداة استفهام للسؤال عن ذات غير العاقل، وقد تستعمل لصفات العقلاء وللسؤال عن حقيقة الشّيء وعادة يبدأ الاستفهام بـ ما، ثمّ يتطور إلىٰ ماذا، وماذا تستعمل للاستفهام عن الأمور الّتي هي أشد استفهاماً وإنكاراً أو توبيخاً من (ما) فهي أبلغ وأوكد في الاستفهام من ما، كما ورد في سورة الصافات آية (٨٥) وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ فهو عليه السلام يعلم ما يعبدون، وهذا ليس استفهاماً حقيقياً، وإنما هو استفهام إنكاري للتوبيخ يدل علىٰ ذلك ما جاء في الآية (٨٦) من سورة الصافات، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: إبراهيم عليه السلام يعلم ما يعبدون فهو يريد أن يظهر لهم بطلان عبادتهم، ويعبدون من العبادة: وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به أو نهىٰ عنه، وجاء بصيغة المضارع للدلالة علىٰ التّجدد والاستمرار لعبادتهم تلك الأصنام.

ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣)، وسورة الأنبياء آية (١٠٦) لمزيد من البيان في معنىٰ العبادة.

[٧١] ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: نعبد أصناماً جواباً للسؤال السابق في الآية (٧٠) ما تعبدون، وكان يكفي القول قالوا أصناماً وقولهم نعبد يدل علىٰ توكيد عبادتهم والافتخار بها.

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: قوم إبراهيم عليه السلام.

﴿نَعْبُدُ﴾: العبادة هي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به أو نهىٰ عنه.

﴿أَصْنَامًا﴾: الأصنام هي تماثيل تجسد كائناً حياً سواء كان إنساناً أو حيواناً تصنع من الحجارة أو الخشب أو الذهب أو الحديد ـ وقيل: الصنم هو ما كان له جسم أو صورة يُعبد من دون الله، ومن النّاحية الشرعية لا فرق بين الصنم والوثن. والوثن أعم من الصنم فكل صنم وثن.

ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (١٧) لمزيد من لبيان.

﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾: قائمين علىٰ عبادتها ليلاً ونهاراً، عاكفين: من عكف: وعكف علىٰ الشّيء أقبل عليه مُواظباً، والاعتكاف فيه معنىٰ الاحتباس، وبدأ إبراهيم عليه السلام يجادلهم ويحاول إظهار بطلان عبادتهم لها.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام.

﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾: هل استفهام إنكاري وتوبيخ، أقوىٰ من الهمزة في الاستفهام، كما لو قال: أيسمعونكم. والنّون في يسمعونكم للتوكيد ولم يقل يسمعوكم.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿تَدْعُونَ﴾: أيْ: حين تعبدونها أو تدعونها: تطلبون منها النّفع والعون.

[٧٣] ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو التّخيير.

﴿يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾: هل ينفعونكم إن عبدتموهم أو يضرونكم إذا كفرتم بها ولم تعبدوها، والنّون في ينفعونكم أو يضرون للتوكيد علىٰ عدم النّفع وعدم الضّر، والجواب واضح لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرون فهي حجارة أو ما

شابه، ولذلك أجابوا على سؤاله بجواب آخر يلقون فيه الذّنب على آبائهم وأنّهم يقلدون آباءَهم.

وانتبه: إلى قوله: ينفعونكم أو يضرون ولم يقل: ينفعوكم أو يضرونكم، فقد أطلق الضّر وخص النّفع، فقال: ينفعونكم أنتم، أو يضرون، أيْ: أنتم أو غيركم أو مهما كان، أيْ: لا يضرونكم ولا يضرون عدوكم، فلماذا تعبدونها، فالإنسان يخشى الضّر على نفسه، ولكنه يريد الضّر لعدوه، ولذلك أطلق كلمة الضّر.

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، وجدنا آباءنا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: مثل ذلك يفعلون.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: ولم يقل: يعملون؛ لأنّ يفعلون تخص العاقل وغير العاقل، أمّا يعملون فهي تخص العاقل فقط؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور:٤١].

(العمل يخص ذوي العقول..)، إذن هم لم يفكروا أو يعقلوا ونسبوا الأمر إلى آبائهم فالمسألة مسألة فساد في العقل والعقيدة معاً. وهذا يذكرنا بقول قريش حين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢].

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لقومه.

﴿أَفَرَأَيْتُم﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، والفاء للتوكيد، رأيتم رؤية قلبية فكرية، أيْ: أخبروني عن حال ما تعبدون.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الّذي وتشير إلى غير العاقل، أي: الأصنام.

﴿كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: كنتم تعني هنا: وجدتم (في الماضي وما زلتم) تعبدون.

[٧٦] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾:

﴿أَنتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: أيْ: أجدادكم الغابرون؛ لأن الجد في القرآن قد تعني الأب؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٣) للبيان.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أيْ: ما تعبدون من الآلهة كلها عدوٌّ لي.

﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾: انتبه إلىٰ قوله: فإنّهم (بصيغة الجمع) وعدوٌّ لي (بصيغة المفرد) ولم يقل: أعداء لي؛ لأنّ عداوتهم أو (عداوة كلّ الآلهة) تمثل عداوة واحدة هي الشّرك بالله. فلذلك قال: عدو لي.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: الخالق والمدبر والرازق والحاكم.

العالمين: جمع عالم، ومنها عالم الإنس والجن والملائكة، وباقي العوالم ومنها النبات والحيوان والجماد.

[٧٨] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم يعود إلىٰ الرب، ونلاحظ جاءت كلمة الرب في سياق الهداية؛ لأنه سبحانه هو الهادي والمربي والمرشد، وفي سياق العبادة نلاحظ مجيء اسم الله سبحانه بدلاً من الرب.

﴿خَلَقَنِى﴾: من نطفة، ثمّ من علقة، ثمّ من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة، أو

خلقني من طين، والخلق من العدم أو من شيء أو بعض الشّيء، والخلق يعني التّقدير.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء للتوكيد، هو: يدل على الحصر والتّوكيد.

﴿يَهْدِينِ﴾: إلى الدّين أو كلّ ما يُصلح لي دنياي وآخرتي أو خير الدّنيا والآخرة وإلى النّجاة من النّار. والفوز بالجنة.

انتبه إلى قوله: الّذي خلقني: ولم يقل: الّذي هو خلقني؛ لأنّ عملية الخلق لا يشاركه فيها أحد الكلّ يعلم أنّ الخالق هو الله حتّى الكافر ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ [لقمان:٢٥]، فلا حاجة لاستعمال هو، أمّا في مسألة الهداية فقد يشارك فيها آخرون، ولكي يبيِّن أنّ الله وحده هو الهادي لا غيره استعمل هو.

كذلك استعمل هو في الآيتين (٧٩) و(٨٠) ولم يستعمل هو في الآية (٨١) وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

فقال إبراهيم:

[٧٩] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾:

جاء بضمير الفصل (هو) للحصر والتوكيد؛ لأن الإطعام والسقي والشفاء قد يشارك بها الإنسان؛ أي: أن الله هو وحده الشافي والمطعم والساقي.

وقال إبراهيم:

[٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾:

استعمل في هذه الآيات الثّلاث: ضمير الفصل هو ليدل على التّوكيد والحصر، أنه هو سبحانه وحده الهادي والمطعم والشّافي، واستعمل هو حتّى

لا يظن أحد أنّه الهادي أو المطعم أو الشّافي؛ لأنّ هناك من قد يدَّعي القدرة على الإطعام والهداية والشّفاء.

وقال إبراهيم:

[٨١] ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾:

لم يأت بضمير الفصل (هو) في هذه الآية؛ لأنّه سبحانه وحده الّذي يحيي ويميت، ولا يشاركه أحد في هذه الخاصة أو يدعي أنّه يحيي ويميت، وفي هذه الآية عطف الإحياء (يحيين) على الموت (يميتني) بحرف ثمّ الّتي تدل على التّراخي في الزّمن، بينما في الآية (٨٠) عطف الشفاء (يشفين) على المرض (مرضت) باستعمال الفاء الّتي تدل على المباشرة والسرعة؛ لأن الشّفاء يعقب المرض بلا زمان فاصل. بينما الآية (٧٩) عطف الإسقاء (يسقين) على الإطعام (يطعمني) باستعمال الواو الّتي هي لمطلق الجمع وتقديم الطّعام على الشراب جائز.

وانتبه إلى قوله: وإذا مرضت فهو يشفين: نسب إبراهيم المرض إلى نفسه تأدباً مع الله سبحانه رغم أنّ الله سبحانه هو الّذي يُمرض ويشفي والحقيقة أنّ كثيراً من الأمراض بسبب التّفريط في الطّعام والشّراب وعدم الوقاية واتباع الوصايا الصّحية لمنع انتشار العدوى، واستعمل إذا الشّرطية الّتي تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

وزيادة الياء في يميتني تدل أو تفيد التخصص (الموت ينتهي بالبعث) والإمامة: تكون من فعل الله تعالى ومن فعل غيره بينما يحين بحذف الياء تدل على فعل الله وحده – لا يشاركه أحد فيه وفيه معنى الاستمرار.

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾:

﴿ وَٱلَّذِىٓ ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم لله تعالىٰ.

﴿أَطْمَعُ﴾: الطمع: الأمل الممكن حصوله.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: خطيئتي: هو صغائر الذنوب يوم الحساب، يغفر لي خطيئتي: يسترها ويمحوها. انظر كيف جاءت خمس آيات تعدد بعض نعم الله تعالىٰ الآية (٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢)، ثلاثة منها جاء فيها الضمير (هو) للتوكيد والحصر، وأما الآية (٧٨)، والآية (٨٢) لم يذكر فيها ضمير الفصل (هو)؛ لأن الموت والحياة والغفران خاصة بالله وحده.

وهذا هو إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وخليل الرّحمن يدعو ويقول: أطمع وهذا هو أدب الأنبياء، فمهما قدَّم الإنسان من الأعمال الصّالحة فهو دون ما يستحق الله من العبادة، وإذا قيل: ما نوع الخطيئة الّتي يتحدَّث عنها إبراهيم عليه السلام فهناك من قال: إنّها حين أخطأ وقال لقوله: إنّي سقيم أو حين قال: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله أنّ سارة أخته وليست زوجته، والله أعلم. هذا ما قاله مجاهد، وروىٰ البخاري عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

[٨٣] ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾:

﴿ رَبِّ ﴾: نداء يدل علىٰ القرب، حذف ياء النّداء الّتي تدل علىٰ البعد.

﴿هَبْ لِى﴾: الهبة عطاء من دون مقابل، لمن يستحق أو لا يستحق.

وكأنّــه يقول: هب لي ربي فأنا لا أســتحق ذلك. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السّورة لبيان معنىٰ الهبة.

﴿حُكْمًا﴾: قيل: النّبوة أو المعرفة بأحكام الله تعالىٰ وحدوده وشرعه.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: البــاء للإلصاق، الصّالحيــن: وهذا مظهر آخر من مظاهر تواضــع إبراهيم الأوّل قال: أطمع والثّانــي ألحقني بالصّالحين أيْ: بالقدوة الصّالحة من الأنبياء والرّســل وفقني للأعمــال الصّالحة حتّىٰ أكون في زمرة الصّالحين.

مع العلــم أن خليــل الرّحمن من أولي العــزم من الرّســل، وانظر كيف اســتوهب ربه الحكم أولاً، ثمّ طلب الإلحــاق بالصّالحين؛ لأن الحكم كما قلنا العلم بالأحكام والفقه فــي الدِّين والعلم بالحق مقدَّم علــىٰ العمل حتّىٰ يكون العمل الصّالح وفقاً أو حسب المنهج الرباني، والعلم مقدَّم علىٰ الصلاح.

❖ ❖ ❖

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

الحزب ٣٨

سورة الشّعراء الآيات [٨٤ - ١١١]

[٨٤] ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾:

﴿وَٱجْعَل لِّى﴾: الجعل: التّصيير، لي: اللام لام الاختصاص والاستحقاق لي خاصة.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: اللسان سبب الذّكر، فاللسان مجاز عن الذّكر، أي: اجعل لي ذكراً مقبولاً حسناً جميلاً ـ أو ثناء أو سمعة حسنة.

في ظرفية، الآخرين: الأجيال القادمة الّتي تأتي من بعد.

مثال على ذلك حين نقول في التشهد الأخير: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ويجب أن نميز بين قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾، كما في هذه الآية بكسر الخاء، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ كما في الآية (٦٦) من نفس السورة. الآخِرين: بكسر الخاء الذين يأتون بعدهم بزمن طويل بعد أجيال، وأما الآخَرين: بفتح الخاء الذين يعاصروهم أو يعيشوا معهم.

[٨٥] ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿وَرِثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: الجنة تُورث أو تُدخل بفضل من الله تعالىٰ ورحمته، والعمل والطّاعة والتّقوىٰ لتؤهل العبد لنيل هذه الرّحمة. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٩)، وسورة الزخرف آية (٧١-٧٢) للبيان.

[٨٦] ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾:

لأبي: أيْ: عمي وهو الأرجح. ويعني: آزر، وهناك من المفسرين من قال هو اسم والده. ارجع إلىٰ الآية (٧٠) من نفس السورة، والآية (٧٤) من سورة الأنعام للبيان المفصل.

دعا هذا قبل أن يتبيَّن له أنّه عدو لله، وبعد أن تبين له ذلك تبرأ منه.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾: إنّه للتوكيد، كان من الضّالين: أي: المشركين؛ لأنّه كان يعبد الأصنام أو التماثيل.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: لا النّافية، تخزني: أيْ: لا تفضحني ولا تذلني يوم البعث لما حدث مني من تقصير أو خطأ.

[٨٨] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾: يوم القيامة يوم الحساب لا ينفع المال للدفع كفدية من العذاب ولو افتدىٰ بملء الأرض ذهباً ومثله معه.

﴿وَلَا بَنُونَ﴾: ولا ينفع المرء أولاده: للشفاعة له ولا دفع العذاب عنه، أو إعطائه حسنة واحدة، أو تحمل سيئة عنه.

وتكرار لا يفيد توكيد النّفي ونفي كل واحدة لا هذه ولا تلك ولا كلاهما.

وقدم المال على البنين: لأن الكل يملك المال؛ أي: قدم الأعم على الأقل.

[٨٩] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أيْ: خال من الشّرك والنّفاق والشّك، بقلب الباء للإلصاق والملازمة.

في هذه الآية من سورة الشّعراء قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وفي الآية (٨٤) من سورة الصّافات قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الفرق بينهما بكلمة أتى وجاء، وجاء تعني المجيء بمشقة وصعوبة وتعني الوصول، أتى تعني القدوم بسهولة ولم يصل إلى المكان المرجو بعد.

فهو استعمل أتى؛ لأنّ الآية تتحدث عن المستقبل، أتى في المستقبل فلا زال في الأمر متسع، بينما استعمل جاء؛ لأنّ الآية تتحدث عن إلقاء إبراهيم في النّار والموت جاء الآن؛ لأنّه ظن أنه سيموت بعد إلقائه، فالموقف أشد وأصعب في سورة الصّافات.

[٩٠] ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أزلفت قربت وأدنيت بحيث يرونها وهم في الموقف، تقرب منهم قبل أن يدخلوها ليطمئنوا بها ويُهوِّن عليهم من شدة الموقف ويفرحوا بها وأنها سهلة الوصول، وفي آية أخرى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١] في هذه الآية أزلفت الجنة أي: الجنة تأتيهم وتقرب منهم أكثر فأكثر، وفي

سورة الزّمر الآية (٧٣) ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ أيْ: هؤلاء يساقون إلى الجنة بعد أن يروها، وحين يصلوا إليها يجدوا أبوابها قد فتحت لهم ترحيباً.

في سورة الشّعراء: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أيْ: تقرب إليهم.

في سورة ق: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أيْ: تقرب إليهم أكثر فأكثر.

وفي سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يساقون إليها ليدخلوها زمراً زمراً.

[٩١] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾:

بعد ذكر الجنة يذكر الجحيم، وهذا يسمى فن المقابلة في بديع اللغة.

البروز: هو الظهور.

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾: جعلت الجحيم بارزة ظاهرة للغاوين والجحيم اسم من أسماء النّار من جحم جحوماً؛ أي: أشعل النار إشعالاً؛ أي: التّأجيج فلا تخمد أبداً، والتي لا يمكن السيطرة عليها. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل في النار وأسمائها ودرجاتها.

﴿لِلْغَاوِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، الغاوين: جمع غاوٍ؛ أيْ: ضال فقد يغوي نفسه، وقد يغوي الآخر. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٤٢) للبيان.

[٩٢] ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾:

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ﴾: قيل لهم: اللام لام الاختصاص وتعني: الغاوين.

أين: للاستفهام التّوبيخي والتّبكيت (أين: استفهام مجازي).

﴿مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: أين هذه الآلهة أو الأصنام الّتي كنتم تعبدونها في الدّنيا، أين هي لتشفع لكم أو تنفعكم؟

[٩٣] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾:

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتّبكيت.

﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾: النّون للتوكيد، هل ينصرونكم من العذاب، أي: يدفعون عنكم أو يمنعونكم من العذاب.

﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾: لأنفسهم أو للتقسيم، أي: هم لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرونكم.

[٩٤] ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾:

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾: الفاء للتوكيد، الكبكبة: هي الإلقاء على الوجه المرة بعد الأخرى على وزن فعللة الدّالة على التّكرار، أي: كلما قام كب على وجهه مرة أخرى، فيها: في النّار.

﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾: هم والغاوون، أي: الّذين أغووهم وأضلوهم، أي: التّابعون والرّؤساء (المتبوعين) أو الأصنام وعبادها، الغاوون. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٤٢) يدخلوها معاً حتّى لا يظن كلا الطّرفين أنّ أحدهما أفضل من الآخر أو يستطيع أحدهما أن ينقذ الآخر.

[٩٥] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾:

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾: كفرة الجن والإنس، أتباع إبليس كبكبوا فيها أيضاً.

﴿أَجْمَعُونَ ﴾: للتوكيد.

[٩٦] ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾:

أيْ: ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ [غافر:٤٧]، أو ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ﴾ [البقرة:١٦٦]، أو ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ [الأعراف:٣٩]، فالله سبحانه يجعل الأصنام تنطق وتكلم عبدتها أو الكفرة يتخاصمون مع بعضهم بعضاً.

﴿وَهُمْ ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَخْتَصِمُونَ ﴾: الخصام: هو الجدال بشدة والمعاداة.

كما سنرىٰ في الآيات التالية يحاول كل طرف أن يتهم الطرف الآخر بكونه السبب فيما يحدث له من العذاب. وفي سورة غافر آية (٤٧) قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ والحجاج يحدث أولاً أو يحدث قبل الخصام.

[٩٧] ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾:

﴿ تَٱللَّهِ ﴾: تاء القسم وهي أقوىٰ أدوات القسم.

﴿إِن ﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿كُنَّا ﴾: في الدّنيا.

﴿لَفِى ﴾: اللام للتوكيد، في ظرفية، الدّنيا.

﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: ابتعاد عن المنهج والصراط المستقيم ونسيان وظلمات

الجهـــل، مبين: ضلال واضح وبيِّن لكلّ فـــرد، وضلال واضح بين لا يحتاج إلىٰ دليل أو برهان أو حُجَّة؛ فهم يحلفون بالله ويعجبون من كونهم كانوا منغمســين في الضلال، ووصفوه بالمبين ويعترفون بضلالهم.

[٩٨] ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية.

﴿نُسَوِّيكُمْ﴾: من التّســوية نجعلكم سواء برب العالمين سبحانه في العبادة والطّاعة والحب والصدقات والدعاء.

﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الباء للإلصـــاق، أي: نعبدكم كما نعبد رب العالمين رب الملائكة والثّقلين الجن والإنس.

[٩٩] ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿وَمَآ﴾: النّافية.

﴿أَضَلَّنَآ﴾: أبعدنا عن طريق الحق والصّواب والهداية (الصراط المستقيم).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المشـــركون: دعاة الشّـــرك والظّلم أو الكفرة. والمجرمون: المذنبون، والجرم: أصله القطع، والمجرم: من قطع كل الصِّلات مع الله تعالىٰ.

المجرمون: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، أي: الإجرام أصبح صفة ثابتة عندهم. ارجع إلىٰ سورة الأنفال آية (٨) لمزيد من البيان.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾:

﴿فَمَا لَنَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية.

﴿شَٰفِعِينَ﴾: جاءت بصيغة الجمع، وتدل على كثرة الشافعين من الإنس والأنبياء حتى الملائكة، ولكن لا يوجد من يشفع لهم برغم كثرة الشّفعاء، والشّفاعة في الآخرة تتطلب أمرين الإذن من الله تعالى، أي: إلا لمن أذن له والطّلب الثّاني لمن ارتضى؛ أي: للشافع والمشفوع له. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥١) لمعنى الشفاعة.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾:

﴿صَدِيقٍ﴾: جاءت بصيغة المفرد، وكلمة صديق قد تأتي في اللغة للمفرد والمثنى والجمع، وهذه الآية تدل على قلة الأصدقاء أو الصديق، وأصعب من ذلك العثور على الصديق الحميم يستحق أن يضحي من أجلنا أو يشفع لنا أو يدفع عنا العذاب.

حميم: من حم الأمر: أي: حار في صداقته يفدي صديقه بالروح والمال تفوق القريب. والحميم تعني: القريب. أي: صديق ودود من الّذين كنا نظنهم أصدقاء حميمين، جاء بصيغة المفرد لقلة العثور على الأصدقاء هناك، وقدم الشافعين على الصديق الحميم للضرورة والاحتياج أو للكثرة، وإذا كان الصّديق الحميم لا ينفع فما بالك بالصّديق العادي.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَلَوْ﴾: الفاء للتوكيد، لو: شرطية بمعنى التّمني.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿كَرَّةً﴾: رجعة أو عودة إلى الدّنيا.

﴿فَنَكُونَ﴾: الفاء السّببية.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من ابتدائية، المؤمنين: وجواب هذا التّمني جاء في سورة الأنعام الآية (٢٨) ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السّورة، والآية هنا تعني ما حدث لقوم إبراهيم بسبب تكذيبهم إبراهيم واستمرارهم على الشّرك، وما سيحدث لهم من الكبكبة في جهنم ومخاصمة. آية: عبرة لمشركي مكة وغيرهم.

[١٠٤]: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السّورة.

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

بعد أن ذكر الله طرفاً من قصة موسى وطرفاً من قصة إبراهيم أتبعه بذكر طرفاً من قصة أبي البشر نوح عليه السلام، ثمّ تلاها بذكر طرف من خبر هود وصالح ولوط وشعيب ليبيِّن سبحانه لرسوله ﷺ ما حدث للرسل السّابقين من قبله، وما حدث لأقوامهم ليكون عبرة وعظة ودروساً للمؤمنين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ﴾: القوم سموا قوماً؛ لأنّهم يقومون بمعظم أو أغلب الأمور

وهـم الرّجال غالباً، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ﴾ بدلاً من كذب قوم نوح المرسلين؛ لأنّ كلمة قوم يمكن أن تذكر أو تؤنث. كذبت: تدل علىٰ الكثرة؛ كثرة الأقوام الذين كذبوا رسلهم.

﴿نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: هم كذبوا رسولهم نوحاً عليه السلام، ولكن قال المرسلين: قيل: لأنّ الرّسول يمثل الرّسل والرّسل يمثلون الرّسول؛ لأنّ رسالتهم واحدة، إذن جعل الله سبحانه تكذيب رسول واحد كتكذيب جميع الرّسل.

والرّسل يعتبرون رسول واحد؛ لأنّهم جميعاً يدعون إلىٰ نفس المبدأ وهو مبدأ التّوحيد، فقوم نوح لو جاءهم كذلك بعد نوح عيسىٰ ومحمّد عليهم السلام لكذبوهم كما كذبوا نوح عليه السلام، أو قيل: المرسلين: جاء بصيغة الجمع تعظيماً لنوح أو الرّسول، أو مجاز مرسل من قبيل إطلاق الكلّ وإرادة البعض.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: إذ ظرف زماني، أي: واذكر إذ قال، أو واذكر حين قال لهم أخوهم نوح.

﴿أَخُوهُمْ﴾: أخوهم لأنّه كان من القوم فهم يعرفون أصله ونشأته وليس غريباً عنهم، أو أخوهم في النّسب فالأخوة (٣) أنواع: إخوة في الدّين وهي الأقوىٰ، وأخوة في النّسب أو الدّم، وإخوة في القبيلة، أي: واحد منهم.

﴿نُوحٌ أَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ علىٰ عدم التّقوىٰ والتّعجب، ألا: أداة حثٍّ وتنبيه وحضٍّ، وتحمل معنىٰ الأمر.

﴿تَتَّقُونَ﴾: ربكم تأتمروا بأوامره وتجتنبوا نواهيه، هذه الموعظة جاءت على لسان كلّ الرّسل قالها كلّ رسول إلى أمته أوّل ما بُعث أو أرسل إليهم.

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: إنّي للتوكيد، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: رسول من الله، أمين: على إبلاغكم بكل ما أرسلت به إليكم من دون زيادة أو نقصان.

[١٠٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

كرَّر أمر التّقوى مرة ثانية بعد أن حثَّهم على التّقوى في الآية (١٠٦) فقال: ألا تتقون.

كرَّر التّقوى للتوكيد على أهمية التّقوى، وليدل على طول الزمن في التبليغ أو طول الدعوة، وكرر الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩) خمس مرات مع خمس رسل: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، فكل من هؤلاء الرسل قالوا لأقوامهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهناك فرق بين التّقوى والطّاعة، الطّاعة: الانقياد لمطلوب الشّارع بما أمر به واجباً كان أم مستحباً، والتّقوى كف النّفس عما نهى عنه الشّارع حراماً كان أم مكروهاً، والتقوى: خصلة، أو جزء من الطاعة؛ فالطاعة أعم.

ارجع إلى سورة المائدة آية (٢) لمزيد من البيان في معنى التّقوى.

وقدَّم التّقوىٰ علىٰ الطّاعة: لأنّها الأصعب فالطّاعة تؤدِّي إلىٰ منع العقوبة. والتّقوىٰ لا تطلق إلا علىٰ من يستحق الثّواب (الكليات) اللغات.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: ولم يقل: وأطيعوني. أطيعون فقط بما جئتكم به من ربكم. ولا تشمل طاعته الذّاتية، أي: لا يسألهم أن يطيعوه في كل شيء، أما وأطيعوني فتشمل كل أمر صغير وكبير.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ﴾: ما النّافية، أسألكم عليه من أجر، من استغراقية تستغرق أيَّ أجر علىٰ تبليغ الرّسالة.

﴿أَجْرٍ﴾: الأجر: يكون مقابل العمل والأجر ثواب علىٰ عمل ويستعمل في النّفع دون الضّرر.

﴿إِنْ﴾: إن: نافية، وإن أقوىٰ في النّفي من ما. أي:ما أجري إلا علىٰ الله.

﴿أَجْرِيَ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: رب الملائكة والإنس والجن، رب السّموات ورب الأرض وما بينهما، ومن الجدير بالذّكر أنّ كلّ الرّسل قالوا هذه المقولة، وهي: وما أسألكم عليه من أجر لأقوامهم إلا إبراهيم وموسىٰ؛ لأنّ إبراهيم دعا أباه (آزر أو عمّه) فكيف يطلب من أبيه أو عمه الّذي رباه أجراً وكذلك موسىٰ الّذي رباه فرعون في بيته، فكيف يطلب منه أجراً، وأجره كبير لذلك لا يطلبه إلا من الله تعالىٰ، ومهما دفعوا له فهو قليل.

ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٥٧) لمزيد من البيان.

[١١٠] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾:

كرَّر الأمر بتقوىٰ الله وطاعته لطول مكثه فيهم (٩٥٠ سنةً) وعدم استجابتهم له وبدلاً من أن يقولوا: سمعنا وأطعنا قالوا:

[١١١] ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾:

أي: كيف نتبعك أو نصدقك وما نراك إلا بشراً وما نراك اتبعك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [هود:٢٧].

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: قوم نوح الكفرة.

﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، نؤمن لك: أي: نصدقك ولم يقولوا: نؤمن بك هذا هو الإيمان الحقيقـــي العقائدي. لك: اللام الاختصاص. أنؤمن لك: أي: أنســـتجيب لك، ولا تعني الإيمـــان الحقيقي؛ كقوله تعالىٰ علىٰ لسان فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ [طه:٧١].

﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾: جمع أرذل وهو الرّديء السّيِّئ؛ أي: الفقراء أو الأقل جاهاً ومالاً، وما يؤيد معنىٰ الأرذلون الفقراء بادي الرّأي والّذين لا حرفة لهم ولا عمل، قوله بعد ذلك ما علمي بما يعملون (الآية ١١٢) القادمة.

❖ ❖ ❖

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن
مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

سورة الشّعراء الآيات [١١٢ - ١٣٦]

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾ نوح رداً على قومه: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون.

﴿وَمَا﴾: ما النّافية. إضافة الواو للتوكيد بعدم علمه بما كانوا يعملون.

﴿عِلْمِي بِمَا﴾: الباء للإلصاق والتّوكيد، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تضم الأقوال والأفعال، لا أعلم ما يعملون من الحِرف أو الأعمال اليدوية البسيطة البدائية، أو كيف يكسبون لقمة عيشهم أو لا أعلم ما يفعلون في حياتهم أو معيشتهم، لم أكلف إلا تبليغهم بعبادة الله وحده.

[١١٣] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾:

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾: إن النّافية بمعنى ما، حسابهم: أي: جزاؤهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: لو شرطية، تشعرون لو عندكم حواس وبصر وبصيرة ما قلتم أنّهم أراذلكم، ولكنكم قوم تجهلون.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

هذا جوابه بالرّفض لطلبهم أن يطرد الّذين آمنوا الّذين وصفوهم بالأراذل وبادي الرّأي طلبوا ذلك لتكبرهم لكي يستمعوا إليه.

[١١٥] ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية أقوىٰ نفياً من ما.

﴿أَنَا﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: من الإنذار: وهو الإعلام والتّحذير والتّخويف، مبين: نذير لكلّ فرد منكم، وإنذاري بين واضح لا يخفىٰ علىٰ أحد، ولا يحتاج إلىٰ من يوضحه أو يبيِّنه.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الشّعراء: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، مع الآية (٩) من سورة الأحقاف ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، نجد أنّ التّوكيد أشد في آية الشّعراء من آية الأحقاف، وذلك لئن آية الشّعراء جاءت في سياق دعوة نوح قومه إلىٰ التّقوىٰ وتوحيد الله تعالىٰ، وفي مرحلة التّحدي بعد أن قالوا له: لئن لم تنتهِ يا نوح لتكوننَّ من المرجومين، وأمّا آية الأحقاف فجاءت في سياق الرّسول ﷺ ومقام الدّعوة الهادئة، ولم يكن هناك تحدٍّ.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الّذين كفروا.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾: يا نوح لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الشّك والاحتمال، تنتهِ: تكف عن دعوتنا لترك آلهتنا وعن دعوتنا لعبادة الله وحده وطاعته.

﴿لَتَكُونَنَّ﴾: لتكونن: اللام للتوكيد والنّون لزيادة التّوكيد.

﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾: من ابتدائية، المرجومين: الرّجم له معنيان القتل بالرّجم بالحجارة، أو اللعن والسّب والشّتم.

ولم يقولوا: لنرجمنك، أي: لوحدك وإنما من المرجومين، أي: أنت ومن اتبعك، فهذه الآية فيها تهديد لنوح، ومن اتبعه وليس له وحده.

[١١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ﴾: نوح رب إنّ: تفيد التّوكيد.

﴿قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾: أصروا واستمروا على تكذيبي ولم يسمعوا قولي أو دعائي، كذبون: أصبحت صفة التّكذيب عندهم ثابتة، قال: كذبون ولم يقل: كذبوني: لم يكذِّبه كلّ فرد هناك من آمن له. وما آمن معه إلا قليل، ولذلك قال: كذبون ولم يقل: كذبوني الّتي تعني الكل كذّبه. وقوله عليه السلام: إن قومي، ولم يقل: إن القومَ: تدل على مدى عطفه وشفقته على قومه رغم أنهم كذبوه.

[١١٨] ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: الفاء تدل على التّوكيد، افتح بيني وبينهم فتحاً: الفتح هو الحكم، أي: احكم بيني وبين قومي حكماً يُبيِّن الحق أو اقضِ بيني وبينهم بالحق، والفتح هو النّصر من دون قتال أو سلاح والفتح نوعان: فتح حسي مثل ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ [يوسف:٦٥] أو فتح معنوي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

﴿فَتْحًا﴾ للتوكيد.

﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من كيدهم مثل الرّجم أو القتل أو المكر.

[١١٩] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة بعد أن دعا وقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، أنجيناه: أيْ: بسرعة وقوة، ولم يقل: نجيناه الّتي تدل على بطء النّجاة واستغراقه وقتاً طويلاً.

﴿وَمَن مَّعَهُ﴾: تدل على قلة الّذين نجوا معه، ولو قال: وأنجيناه والّذين معه لدلت على الكثرة.

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: في ظرفية، الفلك المشحون: الفلك تطلق على المفرد والجمع، والفلك: السّفن والفلك يجوز فيها التّذكير أو التّأنيث كقول: الفلك المشحون أو فأنجيناه وأصحاب السّفينة، الفلك المشحون: الفلك المملوء بالنّاس والحيوانات، ولم يعد هناك مكانٌ خالٍ، واختلف في عدد الّذين نجوا معه، وقيل: كانوا أقل من (٨٠)، وقيل: لا يتجاوز الثلاثين.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على التّرتيب والتّراخي، وإنما على تباين المنزلة بين النّاجين والباقين.

﴿أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾: أغرقنا من بعد نجاة نوح ومن معه، من بقي من قومه، الباقين: الكافرين الّذين لم يركبوا معه في الفلك، الباقين على كفرهم الباقين في مكانهم.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السّورة، الآية هنا نجاة نوح ومن آمن معه وصدقه، وإغراق جميع من بقي من قومه.

﴿لَآيَةً﴾: معجزة، تدعو إلىٰ العبرة والتّأمل للوصول إلىٰ الحق وهي قدرة الله سبحانه وعظمته ووحدانيّته، وأنّه هو الإله الحق واجب الوجود المستحق العبادة، ولكن من سيعتبر بعد غرق الباقين، قيل: هي آية لكلّ الأمم الّتي تأتي من بعدهم وتقرأ قصة نوح.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أيْ: قوم نوح، أو مشركو مكة، كان: تستعمل لكلّ الأزمنة.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٩) من نفس السّورة.

وهكذا لاحظنا، وسنلاحظ تكرار بعض الآيات في مطلع كلّ قصة من قصص الأنبياء، وفي ختام كلّ قصة فقد يسأل سائل: ما سبب ذلك أو ما فائدته، للإعلام أنّ رسالتهم واحدة وهي ألا تتقون الله أولاً.

وثانياً: تكرار الحث والدّعوة إلىٰ طاعة الله تعالىٰ والمواظبة عليها، وتجنب ما نهىٰ عنه، وتوحيد الإلوهية والرّبوبية، الصّفات والأسماء.

وثالثاً: التأكيد أن من يكذِّب أحدهم فقد كذب الكلّ والواجب هو الإيمان بالرّسل جميعاً.

ورابعاً: أنّ الكلّ أمناء علىٰ رسالة الله، ولم يسألْ أحدُهم أجراً علىٰ تبليغ الرّسالة.

وخامساً: أنّهم جاؤوا منذرين لأممهم وإن اختلفت رسالاتهم.

وسادساً: التّذكير بنعم الله والتّحذير من مخالفة أوامر الله تعالىٰ، وفي التّكرار وعظ وتذكير وطرق الأذان والقلوب والعقول بها المرة بعد المرة وسماع

الآيات نفسها لعلَّ بعض الأنفس تصحو من سباتها وبعض القلوب الغلف تنفجر أو تتصدع أو تهبط من خشية الله تعالىٰ.

ثمّ أخبرنا الله تعالىٰ بالنّتيجة رغم تلك الآيات ما كان أكثرهم مؤمنين، ولا زال ربك هو العزيز الرّحيم سبحانه وتعالىٰ.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: أيْ: كذبت. ارجع إلىٰ الآية (١٠٥) من نفس السورة. قبيلة عاد، وعاد هو في الأصل اسم أبي القبيلة، ويعبر عن اسم القبيلة باسم الأب وأنَّث ولم يقل: كذب عاد المرسلين وقال: كذبت، يقصد بها قبيلة عاد، وكانوا يسكنون الأحقاف قرب حضرموت قرب اليمن في جبال رملية، وكانوا أولي بأس شديد وذوي رخاء ونعيم بسبب كثرة أموالهم،وهم من بقايا قوم نوح لقوله: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]. الذين هاجروا من مكة إلىٰ جنوب جزيرة العرب وسكنوا حضرموت.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: بصيغة الجمع بدلاً من المرسل وهو هود. ارجع إلىٰ الآية (١٠٥) للبيان.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: وذكر أو وذكر حين.

﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾: أي: أخوهم هود؛ أي: هو واحد منهم ليس غريباً عنهم يعرفونه ويعرفهم أخوهم في القبيلة وقال أخوهم؛ ليرقق قلوبهم ويسمعوا إليه ولا يكذبوه.

ارجع إلىٰ الآية (١٠٦) من نفس السّورة لمزيد من البيان.

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

رجع إلىٰ الآية (١٠٧) من نفس السّورة.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٠٨) من نفس السّورة.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

قالها نـــوح، وقالها غيره من الأنبياء إلا إبراهيم وموســـىٰ. ارجع إلىٰ الآية (١٠٩) من نفس السّورة.

هـــو لا ينفي عدم أخذ الأجر وليس تكبراً ولقلـــة قيمته، وإنما طمعاً في أن يأخـــذ أجره من الله، ومهما أعطوه من الأجر فلن يكون كافياً لما يقدمه إليهم من الدعوة إلىٰ الله والهداية وبالتالي النجاة والفوز بالجنة.

[١٢٨] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾:

﴿أَتَبْنُونَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ والإنكار والتّعجب علىٰ هذا التّكبر والعلو في الأرض. أتبنون: من البناء أو العمارة والتشييد.

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾: الباء للإلصاق والرّيع هو المكان المرتفع من الأرض، ويعني: ارتفاع البناء، أو الارتفاع في كل شـــيء؛ أي: أتبنون بكل مكان مرتفع آية، والآية: شيء عجيب.

﴿آيَةً﴾: قصور شـــامخة عالية مشيدة في غاية الإبداع والجمال والاتساع تدل علىٰ الفن المعمـــاري، وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من حيث التقدم والتطور في العمران والمفاخر.

﴿تَعْبَثُونَ﴾: من العبث: وهو ما لا فائدة فيه أصلاً في الدنيا ولا في الآخرة، ولا غاية ولا قيمة أو نفع؛ أي: المقاصد التي يبغيها قوم عاد مقاصد غير سامية حيث تشيدون هذه القصور العالية ولا تسكنونها طويلاً، فقط للتفاخر، وتريدون أن تصدوا غيركم عن سبيل الله.

والمباهاة بينكم فهذه الآية: البناء بكلّ ريع تدل على العلو في الأرض واتخاذ المصانع، آية تدل على إرادتهم الخلود والبقاء في الأرض وآية البطش تدل على الظّلم والقوة والغلبة.

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾:

﴿مَصَانِعَ﴾: قيل: هي الحصون أو القلاع المنيعة، وقيل: حياض للمياه والبرك والأحواض لتجميع المياه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعلَّ للتعليل والكاف للخطاب.

﴿تَخْلُدُونَ﴾: راجين أو آملين البقاء أحياءً والخلود والإقامة أعواماً طويلةً على وجه الأرض.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿بَطَشْتُم﴾: بالخلق، والبطش: الضّرب أو الأخذ بالعنف والشّدة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، وربما القتل وتدل على الغلبة فقد أعطاهم الله القوة في الجسم.

﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: بطشتم للتوكيد، جبارين: من دون رحمة أو شفقة، جبارين جمع جبار وهو الّذي يضرب ويقتل بغير حقٍّ أو المتسلط الظّالم،

والمتعالي على الآخرين، والظلم كأنهـــم يمثلون القوة العظمى في ذلك الزمن. وجبارين تعني: لا تلين أو ترق قلوبهم بعد البطش بالآخرين؛ أي: قلوبهم خالية من أي رحمة.

[١٣١] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

فهـــذه الأمور الثلاثة: البطش، واتخاذ المصانـــع، والبناء بكل ريع آية تدل على أنهم يريدون العلو في الأرض والفســـاد، ولذلك قال لهم: فاتقوا الله كفُّوا عمـــا نهاكم عنه، مثل البطش والتّكبر، وارجعوا إلى خالقكم واعبدوه وحده خير لكم، وكرَّر أمر التّقوى والطّاعة لله وللرسول لأنّهم لم يستجيبوا له.

[١٣٢] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾:

﴿وَٱتَّقُواْ﴾: أطيعوا الّذي أمدَّكم وانتهوا عما نهى.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿أَمَدَّكُم﴾: مـــن المدِّ، وهو الزّيادة في العطاء، ومن خصوصيات القرآن أن يستعمل الفعل (مدَّ) في سياق الخير و(أمدَّ) في سياق الشر.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الّذي.

﴿تَعۡلَمُونَ﴾: تعرفونه جيداً، ولـــم يحدد ما أنعم الله عليهم؛ لأنّه لا يُعد ولا يحصى وتركه لهم أن يعدوه ويحصوه، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]. أمدكم بالصحة والمال والســـمع والبصر والشـــمس والقمر والقوة والغلبة وغيرها، نِعم لا تحصى ولا تُعد.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾:

ثمّ بيَّن بعض المدِّ والعطاء.

﴿بِأَنْعَٰمٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة والأنعام ثمانية أزواج من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الغنم اثنين ومن المعز اثنين.

﴿وَبَنِينَ﴾: الذّكور كثرة الذّكور.

[١٣٤] ﴿وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾:

الجنات: أي: البساتين الخضراء والعيون جمع عين، منابع المياه والأنهار.

وعين جمعها أيضاً أعين، أي: الّتي نبصر بها.

[١٣٥] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿إِنِّيٓ﴾: للتأكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إن كفرتم بالله وأشركتم به وجحدتم نعمه عليكم.

يوم عظيم: هو يوم القيامة، وهكذا استعمل هود أسلوب التّرغيب والتّرهيب ودعاهم إلى الإيمان وترك الشّرك وذكرهم بأنعم الله عليهم.

[١٣٦] ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: الّذين كفروا واستكبروا من قوم عاد، قالوا لهود.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾: أيْ: يستوي عندنا وعظك أو عدمه.

﴿أَوَعَظْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّسوية، والوعظ هو النّصح بالطّاعة

والعمل والصّلاح والإرشاد إلى الخير بما يلين القلوب ويتضمن التّحذير والأمر والنّهي بأسلوب التّرغيب والتّرهيب والوعظ بالتزام الخير والبعد عن الشّر.

أيْ: سواء وعظت الآن أم لم تعظ أو وعظت في المستقبل أو لم تعظ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:٥٣].

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام. أم (المتصلة) للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ﴾: نافية.

﴿تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾: أم لم تعظنا لا يهمنا، ثمّ بيّنوا سبب عدم إيمانهم.. إن هذا إلا خلق الأولين. الواعظين: جمع واعظ.

❖ ❖ ❖

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

سورة الشّعراء الآيات [١٣٧ - ١٥٩]

[١٣٧] ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾ نافية بمعنىٰ ما.

﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة تفيد القرب والهاء للتنبيه.

﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلا: أداة حصر، خُلق: أيْ: عادتهم وشأنهم هكذا كانوا يعيشون ويعبدون آلهتهم، ويعتقدون ليس هناك بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، أيْ: ما جاءت به يا هود هو خُلُقُ الأولين، أيْ: عادة من سبقك من الرّسل وما تقوم به ليس أمراً جديداً.

وتفسير ثانٍ: إن هذا الّذي نحن عليه هو خُلُق الأولين، ملة الأجداد ونحن علىٰ آثارهم مقتدون، فنحن سنستمر علىٰ ذلك، وما نحن لك بمؤمنين.

وتفسير ثالث: لمن قرأ خُلُقُ الأولين: خَلْق الأولين: بمعنىٰ: الاختلاق والكذب؛ أي: ما جئتنا به إلا من اختلاق الأولين وكذبهم.

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

ردّاً علىٰ قوله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا ما نحن بمعذبين فليس هناك بعث وحساب وعذاب.

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: الباء للإلصاق معذبين في الآخرة. يقولونها بكل توكيد وثقة وكأنهم أعطوا العهد من الله بعدم عذابهم.

[١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب للترتيب والتّعقيب، كذبوا هود ولم يؤمنوا ويصدقوا بما جاءهم به.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾: الفاء للتّعقيب والمباشرة بسبب تكذيبهم وإعراضهم، وكان إهلاكهم بالرّيح الصّرصر العاتية، كما ورد في سورة الحاقة آية (٦ ـ ٨).

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: إنّ واللام للتوكيد، لآية: لعبرة وموعظة لهؤلاء المكذبين من قريش وغيرهم من النّاس؛ لكي يتوبوا إلىٰ ربهم ويستغفروه، وينجوا من العذاب أليم.

ورغم هذه الآيات ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وما كان أكثر قوم هود ولا غيرهم مؤمنين.

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: اللام في لهو للتوكيد.

﴿رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الّذي لا يُغلب ولا يقهر والمنتقم من كل جبار متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والممتنع لا يضره أحد من خلقه.

﴿الرَّحِيمُ﴾: لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، ثمّ اهتدىٰ، الرّحيم لا يعجل لهم العذاب؛ لعلهم يتوبون ولا يصرون علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون.

[١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾:

تتوالى قصص الأولين على رسول الله ﷺ، فبعد قصة موسى وإبراهيم ونوح وعاد، تأتي قصة صالح مع قومه ثمود.

﴿ثَمُودُ﴾: كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر على طريق مكة بين الشّام والمدينة شمال الحجاز تعرف اليوم بمدائن صالح، وقبيلة ثمود من بقايا قوم عاد الّذين عادوا إلى مكة بعد هلاك الكافرين منهم، ثمّ تكاثروا وهاجروا إلى شمال الحجاز ونبيهم صالح عليه السلام وهو من العرب.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ أيْ: نبيهم صالح. ارجع إلى الآية (١٠٥) من نفس السّورة للبيان.

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٦) السّابقة.

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧) السّابقة.

[١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨) السّابقة.

[١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٩) السّابقة.

[١٤٦] ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾:

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾: الهمزة استفهام إنكاري وتوبيخي، أيْ: لا يعقل أن تتركوا إلى الأبد.

﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾: أيْ: في هذا المكان المليء بالنّعم والخيرات.

﴿ءَامِنِينَ﴾: مطمئنين غير خائفين، من الله سبحانه، وأنتم على شرككم وكفركم وجحدكم للمنعم،ولا تتوبون إليه ولا تستغفرونه ولا تشكرونه.

ثمّ فسر هذا النّعيم بقوله:

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة، وشبه مزارعهم بالجنات لكثرة خيراتها وثمارها وأشجارها.

أي: بساتين وحدائق ومنابع المياه والأنهار والآبار التي تسمى العيون، وليس الأعين؛ لأن الأعين: جمع عين، وتعني: الأعين التي نبصر بها، وكذلك عين تجمع على عيون، وتعني: عيون الماء، وهذا يسمَّى تفصيلاً بعد إجمال.

ارجع إلى الآية (١٣٤) للبيان.

[١٤٨] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾:

﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: الطلع: الثمر، هضيم: أيْ: ناضج كالرّطب عذق التّمر والنّخيل من الزّروع وخص النّخيل بالذّكر؛ لأنّه من أهم الثّمار الّتي كانوا يعيشون عليها، ومنهم من فسر طلعها هضيم، يعني: طلع النّخلة ناعم لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾:

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: من النّحت أصلها البُراية يقال: نحته، أيْ: براه والنّحت يشبه الحفر.

﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾: من بعضية، أيْ: من بعض الجبال بيوتاً.

وفي سورة الأعراف الآية (٧٤) قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي:

كأنهم ينحتون كل الجبال بيوتاً حين كان النحت على أشده في بداية النّهضة، أو الحركة العمرانية كما قال تعالى: ﴿تَنَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف:٧٤]، الكل يبني وينحت، ثمّ بعد تلك المرحلة قلَّ النّحت فقال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، وحدث تقدم في مجال الزراعة كما قال تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٧-١٤٨] وكذلك كنتم ﴿تَنَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف:٧٤]، مما يدل على حالة الازدهار والنمو والتقدم في النواحي الحياتية في بداية حضارتهم التي ما زال آثارها قائماً إلى اليوم.

﴿بُيُوتًا﴾: المنازل أو الدّور. ارجع إلى سورة النّور آية (٢٧) للبيان.

﴿فَٰرِهِينَ﴾: بطِرين فرحين بنحتها ومغرورين متكبرين، وفارهين جمع فاره: وهو النشيط الأشر (لسان العرب)، وأصبحت صفة الفَرَهِ ثابتةً لهم، ولا تزال مدائن صالح تشهد لهم بذلك النشاط في البنيان والعمران.

[١٥٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

يؤكد ويُعيد تذكيرهم بتقوى الله وطاعته وشكره على تلك النعم. ارجع إلى الآية (١٠٨) من نفس السّورة.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

لا: النّاهية.

المسرف المتجاوز الحدِّ بالظّلم أو ارتكاب المعاصي والكبائر. أمثال التسعة رهط الّذين وصفهم في الآية التالية (١٥٢) بالمفسدين.

والإسراف: أن تتجاوز ما أحله الله فتدخل فيه الحرام، أو لا تقف عند حدود الحلال وتتعداها إلى الدخول في حدود الحرام لكي تكسبه، والإسراف

يشمل الكسب، أو الإنفاق في الحرام، وكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩].

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول يفيد الذمَّ.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالقتل والسّرقة وقطع الطّريق وانتهاك المحارم؛ لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لبيان معنى: الفساد.

يفسدون: صيغة المضارع الّتي تدل على تكرار فسادهم واستمراره ولم ينقطع أو يتوقف.

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: للتوكيد؛ لأن يفسدون تعني: لا يصلحون. ولا يصلحون: لا يقومون بأي إصلاح، الإصلاح: لغة ضد الفساد والإصلاح يشمل العقيدة التوحيد ونبذ الشّرك وإصلاح السّلوك، والبعد عما حرم الله تعالى، وعدم الإسراف. ولا يصلحون: تدل على تجدد وتكرار هذا الفساد الذي هو دأبهم.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الّذين كفروا من قومه لصالح.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿أَنْتَ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: من ابتدائية، جمع مُسحَّر، وهي صيغة مبالغة تدل على أنك يا صالح سُحرت عدة مرات، وليس مرة واحدة (مسحور) مغلوب على عقلك، ولا يُسمع لقولك ولا يؤبه لنصحك، فمن الأقوام مَنْ وصفوا نبيهم إما

هو نفسه ساحر أو مسحور أو من المسـحَّرين؛ لكي يصدوا غيرهم من تصديقه والاستجابه له.

[١٥٤] ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾:

﴿مَآ أَنتَ﴾: مـا النّافية، أنت للتوكيد وحصراً، وإذا قارنا (ما أنت) في قصة صالح، والآية (١٨٦) في قصة شعيب وهي قوله: (وما أنت) بزيادة الواو العاطفة نجد (ما أنت) في قصة صالح قد سـبقها (إنما أنت من المسحرين) فجاءت (ما أنت) بدل من (إنما أنت من المسـحرين)، أما في قصة شعيب الواو عاطفة؛ أي: بالإضافة إلى كونهم وصفوه من المسـحرين سألوه بأن يأتي لهم بآية أو معجزة، بينما قوم صالح لم يطلبوا ذلك وكانوا أقل عناداً وعتواً.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فمـا الّذي جعلك أفضل منا أو أعطـاك صفة النّبوة لتكون رسولاً إلينا.

﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾: إن كنت تدَّعي النّبوَّة فائْـتِ لنا بآية معجزة تدل على صدق نبوَّتك أو دليل قاطع.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك،أيْ: نشك أنك من الصادقين.

﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: الصادقيـن على صحة نبوَّتـك أو الصّادقين بما جئتنا به، أيْ: من المستبعد أن تكون قادراً على الإتيان بآية.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾:

وبعد أن سـألهم: ما نـوع الآية الّتـي يريدونها قالوا لـه أن تخرج لنا من هذه الصّخرة الصّماء ناقة عشـراء تمخض، وقبـل أن يأتي بها أخذ عليهم العهد ليتقوا الله ويطيعوه.

ثمّ دعا صالح ربه فاستجاب له فتحركت تلك الصّخرة وتصدعت عن تلك

الناقة؛ لتكون آية على نبوَّة صالح، وبعد أن شاهدوا ذلك بأم أعينهم طلب منهم أن يتركوها تشرب وترعى في يوم لوحدها،وفي اليوم التّالي يكون لشرب أنعامهم ومواشيهم ولا تشاركهم النّاقة، أيْ: يوم للناقة ويوم لمواشيهم.

﴿لَهَا شِرْبٌ﴾: لها نصيب من الماء أو حظ من السّقي.

﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: فلا تشارك النّاقة في الشرب، وإذا كان يومها شربت من الماء ما تشاء.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: النّاهية.

﴿تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: المس هو أخف حالات اللمس: مجرد اللمس، بسوء: الباء للإلصاق، بأيِّ سوء مهما كان، الباء باء التّعليل، سوء نكرة أيِّ سوء، والسّوء أعم من العقر،ويشمل كل أنواع السّوء.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: فيأخذكم: الفاء: تدل على الترتيب والمباشرة، ويأخذكم من الأخذ؛ أي: بشدة، وعنف، ويعني: العقاب. فيحل عليكم عذاب يوم عظيم إذا اعتديتم عليها أو عقرتموها أو منعتموها، ففي الآية تهديد ووعيد. عذاب يوم عظيم: عظيم قد ترجع إلى اليوم أو إلى العذاب أو كلاهما. وفي الآية (٧٣) من سورة الأعراف قال تعالى: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي الآية (٦٤) من سورة هود: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾؛ نحن نعلم أن العذاب العظيم هو أشد وأفظع من العذاب الأليم، ففي آية الأعراف هددهم بالعذاب الأليم، وكان ذلك في بداية العصيان والتحدي لإيقاع الأذى بالناقة، وفي آية الشعراء هددهم بالعذاب العظيم بعد أن تمادوا بالعصيان والتحدي، وفي آية هود هددهم بالعذاب القريب بعد أن عقروا الناقة.

[١٥٧] ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾:

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، عقروها: من العقر وهو الجرح أو قطع عضو من أعضائها، عقروها: ذبحوهـا، فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيـام، ذلك وعد غير مكـذوب بصيغة الجمع والّذي عقرهـا هو قدار بن سالف، كما تشـير الروايات، ولكن الّذين اشتركوا في مؤامرة العقر تسعة رهط، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمـل:٤٨]، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٧٧].

﴿ فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾: حين رأوا العذب وندموا حين لا ينفع الندم ـ فهو ندم الخائفين من العذاب أن يحل بهم ـ وليس ندم التائبين. وأنه قد جاء أمر ربك.

[١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾: فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨) من نفس السّورة.

وما كان أكثرهم: أيْ: ما كان أكثر قوم صالح مؤمنين.

[١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٩) من نفس السّورة للبيان.

❖ ❖ ❖

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

ربع الحزب ٣٨

سورة الشّعراء الآيات [١٦٠ - ١٨٣]

[١٦٠] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥٠) من نفس السّورة للبيان.

[١٦١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٦) للبيان.

ولوط قيل: هو لوط بن هارون بن آزر، ولوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام. واسم لوط باللغة يعني: المصلح.

[١٦٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧) للبيان.

[١٦٣] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨) للبيان.

[١٦٤] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

ارجع إلى الآية (١٠٩) للبيان.

[١٦٥] ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾: كناية عن الفاحشة، وهي وطء الرّجال (عمل قوم لوط)، أتأتون: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ والإنكار، وفي سورة الأعراف آية (٨٠) قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

الذكران: جمع ذكــر؛ أي: الذّكور. والفرق بين الذّكور والذّكران: الذّكران تدل على القلة والذكور تدل على الكثرة والذكران تشــمل الشــباب والشــيوخ والأطفال، كقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:٤٩].

﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مــن النّاس، من بنــي آدم: إذ كانوا يعملون الفاحشــة مع الغربــاء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة، حيث كانت مســألة أو خصلة انفردوا بها دون العالم كله لم يمارسها في عالمهم أو زمانهم كله إلا هم فقط.

وفي آية أخرى قال: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠].

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾:

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾: تتركــون فروج نســائكم وترغبــون في أدبار الرّجال، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾: خلــق لكم ربكم من أزواجكم: فيهــا إبهام مراعاة للأدب الرباني. من فروجهنَّ بالنّكاح الشّــرعي. من: للبيان، أو للتبعيض، وفيه إشــارة على قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة:٢٢٢].

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: جمع عادٍ متجاوز حدَّ الحلال إلى حدِّ الحرام بالفاحشة وهي (عمل قوم لوط)، أيْ: قوم تجاوزتم الحدود الشّرعية الفطرية إلى حدود ما حرَّم اللــه تعالى، عادون: أيْ: أصبحت صيغة التّجاوز ومخالفة شــرع الله ثابتة عندكم ومستمرة.

[١٦٧] ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: قوم لوط.

﴿لَئِن لَّمْ﴾: لئن: مركبة من اللام وإن، اللام لام التّوكيد، إن الشّرطية تفيد الشّك أو الاحتمال، لم حرف نفي.

﴿تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾: تكفَّ عن نهينا ووعظنا وتحذيرنا.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: من المطرودين من قريتنا، أنت ومن اتبعك، الكل مطرودون من قريتنا، واللام في لتكونن، والنون: لزيادة التوكيد على طرده من قريتهم. بينما قال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، بينما قال قوم لوط للوط عليه السلام: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾؛ لأن لوط عليه السلام هاجر إليهم وليس منهم، وليس له نصير أو عشيرة، وإخراجه أمر سهل بدلاً من قتله.

[١٦٨] ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط.

﴿إِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿لِعَمَلِكُم﴾: الفاحشة، اللام للتوكيد والاختصاص.

﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: جمع القالي اسم فاعل، القلى: أشد البغض مع النفور، القالين: المبغضين أشد البعض، لعَمَلِكم، أيْ: أكرهه وأكره من يعمله، مبالغة في إنكاره عليهم، أيْ: هذا الفعل موجب للبغض الشديد والكره.

[١٦٩] ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾:

لما رأى لوط إصرار قومه على فعل هذه الفاحشة، لم يجد له مخرجاً إلا اللجوء إلى الله تعالى يطلب منه النّجاة ولأهله.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من ابتدائية، ما اسم موصول بمعنى الّذي يعملون أو مصدرية من عملهم الفاحشة والمنكر، يعملون: تضم الأقوال والأفعال.

ويعملون تشير إلى استمرار عملهم الفاحشة، ولم ينقطع.

[١٧٠] ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب، نجيناه: ببطء.

﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: ابنتاه.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد.

[١٧١] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عَجُوزًا﴾: أي: امرأته الّتي كانت غير مصدقة لرسالة لوط وراضية عن عمل القوم للفحشاء، وقيل: كانت تنقل الأخبار إلى قوم لوط وتساعدهم.

﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: في ظرفية زمانية ومكانية، الغابرين: الباقين في العذاب أو الهالكين، يقال:غبرت في عذاب الله، أيْ: بقيت.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري العددي.

﴿دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: من التّدمير يعني: الهلاك التام والإبادة من دون سابق إنذار لهم.

ويشمل الدّمار الكل الصّغير والكبير والذّكر والأنثى والبنيان والشّجر والحيوان وكل شيء، الآخرين: أيْ: من قوم لوط. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لبيان معنى الدمار.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾:

بعد أن جعل عاليها سافلها وائتفكت: انقلبت بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾: وأمطرنا: نسب المطر إليه سبحانه للدلالة على هول المطر

ولم يسبق له مثيل، ومن خصائص القرآن أن يستعمل كلمة المطر للدلالة على المطر الذي يحمل العذاب والهلاك والدمار والفيضانات، ويستعمل كلمة الغيث التي تدل على الخير والنفع؛ أمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود، سجيل طين: متحجِّر. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لبيان المعنى العلمي للمطر.

﴿مَّطَرًا﴾: للتوكيد.

﴿فَسَآءَ﴾: من أفعال الذّم؛ أي: بئس مشتقة من ساءه الأمر؛ أي: أحزنه.

﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: المنذرين بالهلاك والمنذرين اسم للجنس. أي: قوم لوط.

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾ للتوكيد، واللام في لآية للتوكيد، أيْ: ما حدث لقوم لوط آية وعبرة ودلالة على إهلاك وتدمير لكل من يعمل تلك الفاحشة في الدّنيا والعقاب الأشد هو في الآخرة.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السّورة.

[١٧٦] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾: وقيل: أصحاب لَيْكَة عباد الأيكة، والأيكة: شجر كثيف ناعم ملتف على نفسه، وقيل: كانوا قرب مدين.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: كذبوا شعيباً. ارجع إلى الآية (١٠٥) للبيان.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

لم يقل: أخوهم شعيباً؛ لأنّ شعيباً لم يكن يعرفهم، وكان غريباً عنهم أرسله الله

سبحانه إليهم وإلى مدين من قبل. وحين يذكر قوم مدين يقول: أخاهم شعيباً. ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السّورة للبيان.

[١٧٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧).

[١٧٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨).

[١٨٠] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٩).

[١٨١] ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾:

﴿أَوْفُوا﴾: أتموا.

﴿الْكَيْلَ﴾: الشّيء الّذي يكال به؛ أي: المكيال والكيل. مثل الطّعام (الحب أو الشّعير أو القمح أو الرز....) وكَالَ: المُعطي. اكتال: الآخذ.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: لا: النّاهية، المخسرين: جمع مخسر من فعل أخسر، تكونوا من المخسرين: أي: المنقصين للكيل حين البيع، والمخسر هو الّذي يكون السّبب أو يتسبب في خسارة الآخر.

ففي هذه الآية أمر بإتمام الكيل، وهذا هو الواجب، ونهى عن التّطفيف: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ارجع إلى سورة المطففين الآية (١-٣).

وأما إذا أراد أن يزيد في الكيل للمشتري تكرماً منه فلا مانع فقد أحسن في فعله.

[١٨٢] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾:

وزنوا حوائجكم بالقسطاس: بالميزان المستقيم العادل السّوي؛ أي: بأعدل الموازين. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٣٥) لمزيد من البيان.

[١٨٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا النّاهية.

﴿تَبْخَسُوا﴾: من البخس، النّقص بأيِّ نوع سواء كان بالغصب أو الظلم أو التلاعب والغش أو التسلط أو البغي والطّغيان أو الرّشوة؛ أي: لا تنقصوهم ظلماً، وأما الفرق بين البخس والنقصان؛ النقصان: يكون بالظلم وغير الظلم، وأما البخس: لا يكون إلا بالظلم.

﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أيْ: حقوقهم أو سلعهم أو موادهم.

﴿وَلَا﴾: لا النّاهية تكرارها للتوكيد وفصل البخس عن العثو في الأرض.

﴿تَعْثَوْا﴾: من عثا؛ أي: أفسد. العثو: هو أشد الفساد، فهم كانوا متمادين في الفساد في الأرض أي: لا تفسدوا في الأرض كل هذا الفساد، ولا يعني الفساد القليل مسموح به، وإنما انتهوا عن الفساد بكل أشكاله.

﴿مُفْسِدِينَ﴾: للتوكيد. قوله تعالى: لا تعثوا: لا تفسدوا في الأرض. مفسدين؛ أي: بقصد أو نية أو بدون قصد أو بنية.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

سورة الشّعراء الآيات [١٨٤ - ٢٠٦]

[١٨٤] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أطيعوا أوامر الّذي خلقكم أي: الله العزيز الحكيم وكفوا عما نهاكم عنه. الذي: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر ويفيد التوحيد.

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الّذي خلقكم وخلق الجبلة الأولى: أوائل الأولين أوائل الخلق ذوي الجبلة، أي: الخلقة الطّبيعية القوية كقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾ [الأعراف:٦٩]، كانوا كأنهم الجبال القوية لشدتهم مثل: قوم عاد الذين قالوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت:١٥].

الجبلة: الأمة أو الجماعة من الخلق مشتقة من الجبل ففيه صفات القوة والفخامة، أو اتقوا الّذي خلقكم والجبلة الأولين السّابقين الأولين الّذي جبلوا على العناد والتّكذيب لرسلهم أو كانوا كالجبال في قوتهم وشدتهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ﴾ [يس:٦٢].

[١٨٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥٣) من نفس السّورة.

[١٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

﴿وَمَآ أَنتَ﴾: الواو: واو العطف (تعاطف النعوت)؛ أيْ: ما أنت إلا بشر

مثلنا وما أنت إلا من المسحرين، وإن نظنك لمن الكاذبين. ارجع إلى الآية (١٥٤) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين (ما أنت) (وما أنت).

أي: ما أنت إلا بشر مثلنا سُحر مرات عديدة، وكاذب.

﴿أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: أنت: للتوكيد، إلا: للحصر، بشر مثلنا: ليس عندك شيء يميزك علينا.

﴿وَإِن﴾: الواو للتوكيد، إن: تعليلية.

﴿نَّظُنُّكَ﴾: من الظن: وهو الاحتمال الراجح.

﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: اللام للتوكيد، من ابتدائية، الكاذبين: فيما تدعونا إليه من الإصلاح وتستمر في ذلك ولا تتوقف، والكاذبين: جمع كاذب، وتدل على أن صفة الكذب ثابتة عندك مخاطبين شعيب، وفي سورة الأعراف آية (٦٦) قال قوم عاد لهود: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ إضافة اللام (لنظنك) مما دل على أن تكذيب قوم عاد أشد من تكذيب أصحاب الأيكة لشعيب.

[١٨٧] ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

إن كنت صادقاً فادعوا الله أن يسقط علينا كسفاً من السّماء: مفردها كِسْفة مثل قطع وقطعة، أي: قطعاً من العذاب من عذاب السّماء مثل البرق أو النّار أو ريحاً عاتية فهم لا يصدقون أن شعيباً مرسل من ربه.

﴿كِسَفًا﴾: بفتح السّين قطعاً عديدة، أما كِسْفاً: بسكون السّين، أي: قطعة واحدة كبيرة أو قطعة واحدة مهما كان حجمها. وقد تبين من الأبحاث الفلكية

أن هناك (٢٠٠-٤٠٠) مادة، أو أشياء تسقط على الأرض كل عام، وهناك أكثر من (١٧٠ مليون) قطعة من حطام الكواكب وغيرها تحاول اختراق الطبقات المحيطة بالأرض، وكثير من الأجسام أقل (١ ملم) وهناك (٣٠،٠٠٠) أكبر من الطابة، وحوالي (١٠٠٠) حجمها حجم المركبات الفضائية، وتشكل خطراً حقيقياً لأهل الأرض، ولكن معظمها يسقط في البحار والمحيطات؛ لأنها تشكل أكثر من (٧٠٪) من الأرض.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال.

﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: صادقاً في ادِّعائك النّبوَّة أو صادقاً فيما تعدنا من العذاب.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾:

قال شعيب لأصحاب الأيكة:

﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية، تعملون: العمل يشمل القول والفعل، أي: تقولون وتفعلون مثل: نقصان الكيل والميزان، والإفساد في الأرض، والظلم، وقطع الطريق.

أي: رب أعلم بأحوالكم ويعلم نواياكم وما تخفي صدوركم وما إذا كنتم تستحقون العذاب العاجل أو الآجل وإسقاط الكِسْف، أو غير ذلك فله الحكم، وإليه ترجع الأمور.

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾:

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾: الفاء للتوكيد، كذبوا شعيباً، واستمروا على تكذيبه ولم يعد هناك الأمل في إيمانهم أو توبتهم.

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾: أي: أهلكناهم بالظّلة (بالسحابة أو الكِسفة) كما طلبوا أن يسقط عليهم كِسَفاً من السّماء، فكان بعذاب يوم الظّلة. قال كثير من المفسرين: سلط الله سبحانه عليهم شدة الحر في الليل والنّهار فأخذ أنفاسهم لا ظل ولا ماء ولا ريح تهب عليهم، فأرسل الله تعالى نحوهم غمامة فيها البرد والنّسيم فاجتمعوا تحتها جميعاً فأنزل الله عليهم برقاً وناراً فصعقوا بها.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: يوم شديد الهول؛ حيث كان يعمُهم الفرح والأمل في التخلص من الشدة والكرب الذي أصابهم بسبب الحر الشديد؛ فإذا هم يفاجؤون بالنار المحرقة والصواعق من السماء التي أهلكتهم، ونجى شعيب والذين آمنوا معه.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السّورة.

﴿لَآيَةً ﴾: اللام للتوكيد، دلالة على نبوَّة شعيب وصحَّة ما دعاهم إليه وعبرة لأهل مكة وغيرهم من الكفار بأن يصدِّقوا برسولهم وما أنزل إليه من ربه.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: أصحاب الأيكة أو غيرهم من الناس.

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: رغم كل هذه الآيات.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٩) من نفس السّورة.

[١٩٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾: إن واللام في كلمة لتنزيل توكيدان علىٰ صحَّة نزول القرآن من عند الله علىٰ محمّد ﷺ.

وأنّه: هاء الضّمير تعود إلىٰ القرآن.

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: تنزيل: تفيد العلو، أي: مُنزل من رب العالمين.

رب: أي: الخالق والمربي والمدبر والحاكم والمسيطر والرّزاق.

العالمين: جمع عالم يشمل عالم الإنس والجن والملائكة.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾:

﴿نَزَلَ بِهِ﴾: نزل بالقرآن الكريم بالتّدريج.

﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: جبريل عليه السلام، وسمّي روحاً كما سمَّىٰ الله سبحانه القرآن روحاً حيث قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾:

نزل به الرّوح الأمين علىٰ قلبك يا محمّد ﷺ.

نزل بالقرآن الكريم علىٰ قلبك مباشرة ولم يقل: علىٰ سمعك أو أذنك أي:

تجاوز أداة السّمع رغم كونها وسيلة للوصول إلىٰ القلب؛ لأنّه ليس لسماع الأذن قيمة إذا لم يَعِ القلب ما تسمع الأذن، والقلب بما يضخ من الدّم والأوكسجين هو سبب حياة كل عضو وما دام نزل به علىٰ القلب فقد استقر وأصبح عقيدة راسخة والقلب ليس فقط مضخة للدّم، كما كان يعتقد، بل هو الفؤاد.

ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٤٦) للبيان.

﴿لِتَكُونَ﴾: اللام تعليلية.

﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: من الإنـذار، وهو الإعلام مع التّحذيـر قبل وقوع الأمر المحذور منه أو الشّر وحين يقع العذاب أو الشّر، فلا جدوىٰ عندها من الإنذار، المنذريـن: جمع منذر، أي: الرّسـل والدّعـاة إلىٰ الله تعالـىٰ والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾:

نزل به جبريل (الروح الأمين) بلسـان عربي، بلغـة عربية هي لغتك ولغة قومك والباء للإلصاق، أو بلسـان قريش اللسان العربي المبين؛ لتنذر به وذكرىٰ للمؤمنين.

﴿مُّبِينٍ﴾: واضح لكل فرد يتكلم ويفهم اللغة العربية وجلي واضح بنفسـه لا يحتاج إلىٰ دليل أو برهان.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي: القرآن الكريم، وقيل: قد تعني أيضاً الرّسول ﷺ والمرجَّح هو القرآن.

﴿لَفِى﴾: اللام للتوكيد، في ظرفية مكانية وزمانية.

﴿زُبُرِ﴾: جمع زبور، والزّبور يعني: كتاب سماوي مسطور.

ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنىٰ زُبُر.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: الكتب السّماوية السّابقة كالتّوراة والإنجيل وغيرها. ومعنىٰ ذلك أن القرآن مذكور في سائر الكتب السّماوية التي جاءت قبله ومبشر به.

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾ الهمزة همزة استفهام توبيخي، والواو تدل علىٰ شدة إنكار مشركي مكة أنّ القرآن منزل من عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، أي: لكفار مكة أو مشركيها أو غيرهم من المكذبين.

﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾: أي: القرآن أو محمّد ﷺ، والآية تحتمل المعنيين.

ألا تكفِي كفار مكة وغيرهم آية كون القرآن مذكوراً في الكتب السّماوية السّابقة مثل التّوراة والإنجيل، ويعلم علماء بني إسرائيل ذلك آية، أي: علامة أو

دليلاً واضحاً على كونه حقاً، وأنه منزل من ربك وأن النّبي حقٌّ ونبوَّته حقٌّ، وأنه أيضاً مذكور في كتبهم.

﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أمثال عبد الله بن سلام وأسد وأسيد وثعلبة وابن يامين وغيرهم، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور الجزء السادس. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٣) في سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾: نجد أن علماء جمع تكسير، وعالمون جمع مذكر سالم؛ علماء: تشمل الكل كل العلماء، وطلاب العلم الذين يدرسون عدة علوم، والعالمون: الفئة الخاصة التي اختصت بعلم ما، أو تبحرت في علم من العلوم.

[١٩٨] ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾:

﴿وَلَوۡ﴾: شرطية.

﴿نَزَّلۡنَٰهُ﴾: أي: القرآن نزلناه منجماً مفرقاً.

﴿عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾: بعض الأعاجم: الأعجمي: هو من لا يُحسن اللغة العربية وإن كان عربياً، والعجمي: من أصله عجمي (غير عربي) ولو أجاد اللغة العربية، أي: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم (من لا يُحسن اللغة العربية) فقرأه على كفار مكة أو قريش ما صدَّقوا به واتهموه ولم يتبعوه لفرط عنادهم وتكبرهم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾:

فقرأه: أي: تلاه عليهم، والفاء للمباشرة، أي: لكفروا به بحُجَّة أنّهم لا يفقهوا ما يقرؤه عليهم من القرآن؛ لأنّه أعجمي.

[٢٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ذلك.

﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: السّلك الإدخال بسهولة، أي: لو قرأه عليهم أعجمي أو قرأه عليهم محمّد ﷺ نفس الشّيء سيكذبون به، ويستمرون على ذلك حتّى يروا العذاب الأليم.

أو سلكناه في قلوب المجرمين (المشركين) كأنّهم عجم لا يفهمون منه شيئاً، ولا يؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم. ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ نجد آية الحجر جاء فيها بالفعل المضارع (فسلكه) الذي يدل على التجدد والاستمرار والتكرار الذي يشير إلى استمرار إرسال الرسل إلى أقوامهم، وأما آية الشعراء: جاء بالفعل الماضي (سلكناه) الذي يشعر إلى حدث انتهى ومضى، وهو إنزال القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) للبيان.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية، لا يؤمنون بالقرآن ويستمرون على تكذيبهم به حتّى يموتوا وعندها يروا العذاب الأليم ويعلموا أنّه الحق من ربك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿رَءَا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿فَيَأْتِيَهُم﴾: الفاء تدل على المباشرة، أي: يأتيهم بسرعة من دون تأخير، يأتيهم: أي: كفار مكة وغيرهم من ملّة الكفر.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة في الدّنيا أو الآخرة أو الموت.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾: لا يتوقعون نزوله.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾:

﴿فَيَقُولُوا۟﴾: أي: المجرمون أو المشركون حين يأتيهم العذاب الأليم.

﴿هَلْ﴾: استفهام تحمل معنى التّحسر والطّمع في الإمهال.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل للمتكلم المعظم نفسه أو معه غيره.

﴿مُنظَرُونَ﴾: مؤخّرون أو ممهلون لنؤمن بالقرآن ونصدّق به ونعمل صالحاً، يقولون ذلك حسرة على ما فاتهم من الإيمان، ولاستدراك ما فرطوا به وإصلاح ما أفسدوا، والجواب: كلا.

[٢٠٤] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي، الفاء للتوكيد، والمخاطب

كفار مكة ومشركيها وغيرهم من الكفار. أفبعذابنا: نسب العذاب سبحانه إليه ليدل على هوله وشدته، وللتحذير منه.

﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: إن استجبنا لهم وأخَّرنا عنهم العذاب ليقُولُنَّ بعد ذلك ما يحبسه، وإن نزل بهم يقولون: أنظرنا وأمهلنا إلى أجل قريب.

﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: تدل على التّكرار والتّجديد والاستمرار.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾:

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي، الرؤيا قلبية فكرية.

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾: أي: لم نهلكهم وأطلنا أعمارهم ووسعنا أرزاقهم كما طلبوا فعاشوا السّنين الطويلة، جواب الشّرط محذوف دال عليه الاستفهام، أي: لن يغني ذلك عنهم شيئاً.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي. جاءَهم: المجيء فيه معنى الصعوبة والشدة.

﴿جَآءَهُم مَّا﴾: أي: العذاب. ما: أي: الذي يوعدون من العذاب والهلاك أو الموت. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾: في الدّنيا.

❖ ❖ ❖

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ
عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

ترتيبها ٢٧ آياتها ٩٣

سورة الشّعراء الآيات [٢٠٧ - ٢٢٧]

[٢٠٧] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾:

أي: لو استجبنا لهم وأخرناهم وأطلنا أعمارهم ومتعناهم متاع الحياة الدّنيا سنين طويلة، ثمّ جاءهم العذاب.

﴿مَآ﴾: النّافية.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: لا ينفعهم أو لا يجدي كل ذلك لأنهم لن يتوبوا ويؤمنوا ولن يزيدهم عندئذٍ زيادة المتاع والرّفاهية وطول العمر شيئاً عذاباً فوق العذاب؛ لأنّهم سينسونه ولن يمنعهم من العذاب أو يخفف عنهم شيئاً.

[٢٠٨] ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾:

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: ما النّافية، أهلكنا: الموت والفناء.

ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

من قرية: من استغراقية، أي: أهل قرية وبما فيها المنازل والدّور. قرية: نكرة، أي: قرية ظالمة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَهَا مُنذِرُونَ﴾: جمع مُنذر، أي: رسُلٌ منذِرون، أي: لا نهلكها إلا بعد أن يتم إنذارها بإرسال الرّسل وإنزال الكتب وتبين عاقبة كفرها وشركها وإقامة الحُجَّة عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص:٥٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤].

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾:

﴿ ذِكْرَىٰ ﴾: تذكرة وموعظة نذكرهم لكي نوقظهم من غفلتهم ونذكرهم بذنوبهم لعلهم يتوبون ويرجعون، وإذا لم يذّكروا ويرتدعوا ويتوبوا ويكفُّوا عن طغيانهم أخذناهم بالعذاب.

﴿وَمَا كُنَّا﴾: ما النّافية.

﴿ظَٰلِمِينَ ﴾: بإنزال العذاب بهم.

[٢١٠] ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: ما النّافية.

﴿تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾: به: أي: القرآن. الشياطين: هم كفرة الجن ردّاً علىٰ زعمهم وافترائهم أنّ الشّياطين تجيء بالقرآن وتلقيه علىٰ لسان محمّد ﷺ، كما تنزل الشّياطين علىٰ الكهنة، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة:٤٢].

[٢١١] ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾ النّافية.

﴿يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾ لهم: تعود إلىٰ الشّياطين، أي: لا يحتاجون أن يقوموا بإنزاله ولا يصح ولا يجوز لهم ذلك.

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾: أي: ولو أرادوا ذلك، تكرار ما يفيد التّوكيد وفصل

الابتغـاء عن الاسـتطاعة؛ لأنّهم محجوبون عن الاسـتماع إلـى الملأ الأعلى (الملائكة) بالشّهب والحرس، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن:٨].

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾: الاستماع للوحي من السّماء والملائكة.

﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: محجوبون بالشّهب، اللام لام التّوكيد.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾:

﴿فَلَا تَدْعُ﴾: الفاء للتوكيد. الخطاب لكل من يعقل ويسمع القرآن.

﴿تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أيْ: لا تعبد مع الله إلهاً آخر، أيْ: لا تشـرك بالله شيئاً، الخطاب وإن كان موجَّهاً إلى رسول الله ﷺ، فهو موجَّه إلى الّذين يشركون بالله ويجعلون معه إلهاً آخر،أو تحذير لسائر البشر من الشّرك بالله تعالى.

﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾: أيْ: رغم أنك أكـرم الخلق، فلو اتخذت إلهاً آخرَ غيري لعذَّبتك.

[٢١٤] ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾:

﴿وَأَنْذِرْ﴾: يـا محمّد والإنذار هو الإعلام مع التّحذير قبل وقوع الشّـر أو الأمر المحذور وهو عدم الشّرك بالله والإخلاص لله والتّوحيد وبين يدي عذاب شديد.

﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: وهم بنو هاشـم وبنو عبد المطلـب. فالإنذار يبدأ بالأقرب فالأقرب.

فقد روىٰ البخاري ومسلم وأحمد والنّسائي والتّرمذي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما لما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أتىٰ الصّفا فصعد عليها، ثمّ نادىٰ: يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

وما رواه الإمام أحمد ومسلم عن عائشة قالت: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين، قام رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة بنت محمّد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم. وفي لفظ آخر ما أُغني عنك من الله شيئاً.

[٢١٥] ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَٱخْفِضْ﴾: انتبه إلىٰ أنّه سبحانه في الوقت الّذي دعاه لينذر عشيرته أمره أن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وخفض الجناح كناية عن اللين والعطف والحنان والتّواضع، كما يفعل الطّائر الّذي يحنو علىٰ ذريته.

﴿لِمَنِ﴾: اللام لام الاختصاص، من استغراقية، لكلّ من اتبعه من المؤمنين، ويتضمَّن ذلك عشيرته وغيرها من المؤمنين، وقوله: لمن اتبعك تكفي، من المؤمنين: للتوكيد أو خاصة المؤمنين. أو تعني: ذكر الخاص بعد العام: للتوكيد.

وإذا قارنَّا هذه الآية (٢١٥) من سورة الشّعراء مع الآية (٨٨) من سورة الحجر ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أيْ: لكلّ المؤمنين عامة ومن اتبعك من المؤمنين خاصة.

[٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إن شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال.

﴿عَصَوْكَ﴾: ولم يتبعوك الأقارب أو غيرهم، فلا تتردد بالقول إنّي بريء مما تعملون: أي: لي عملي ولكم عملكم.

﴿مِّمَّا﴾: أصلها من ابتدائية بعضية، ما اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال والأفعال، مما تعملون من الشّرك أو الظّلم أو المعاصي.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: أي: فوِّض أمرك إلى الله تعالى، أي: ردَّه إليه راجياً عونه وتيسيره وتوفيقه بعد اتخاذ الأسباب المطلوبة شرعاً وعقلاً، فهو سبحانه الكافي، ومن يملك تدبير كلّ الأمور وتصريفها، أي: وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن شركهم وتوكل على الله سبحانه حتى يكفيك شرهم.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي القادر على قهر الأعداء ودحرهم. والذي لا يُغلب ولا يُقهر، والبالغ أمره ولا يضره شيء، والغني عن عباده؛ فالعزة يحتاج إليها للقدرة على نفع المتوكل.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: لا يعجِّل لهم العقوبة لعلهم يتوبون؛ الرحيم بالمؤمنين خاصة في الدّنيا والآخرة. وفي سورة الفرقان آية (٥٨): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، فالتوكل يحتاج إلى من له الصفات الأربع: الحي الذي لا يموت، العزيز، الرحيم.

[٢١٨] ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿يَرَىٰكَ حِينَ﴾: حين ظرفية زمانية، يراك: المطلع عليك.

﴿تَقُومُ﴾: للصلاة مع المصلين جماعة أو لوحدك في جوف الليل صلاة التّهجد، ويراك في كل حالاتك حين تقوم من فراشك أو مجلسك، وهذا يدل على أنّك بأعيننا، فليطمئن قلبك.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾:

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾: ونراك في تقلبك في القعود والقيام والرّكوع والسّجود.

﴿فِى﴾: ظرفية زمانية ومكانية ولم يقل: مع، في تعني أنت واحد منهم وليس مضافاً إليهم، أي: أنت منهم وهم منك الكلّ وحدة إيمانية متجانسة.

﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أي: في المصلين حين تكون إمامهم، السّاجدين: جمع ساجد، أي: مصلٍّ، عبَّر عن الصّلاة بجزء منها (أي: إطلاق الجزء وإرادة الكلّ). الساجدين: جمع ساجد السجود الحقيقي مع الخشوع.

وتقلبك قد تعني أيضاً: تقلُّب بصرك فيمن يصلي خلفك، فقد قال ﷺ: (أتموا الرّكوع والسجود فو الله إنّي لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم) حديث متفق عليه، فقد كان ﷺ يحذر صحابته من أن يسبقوه في الرّكوع أو السّجود والقيام والقعود؛ ظنّاً منهم أنّه لا يراهم.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لما تتلوه عليهم وتعظهم وتخبرهم، صيغة مبالغة في السّمع والسميع لأقوالهم في السر والعلن.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة في العلم، العليم بما تعمله وتنويه والعليم بكلّ أحوالك وأحوال عباده لا تخفى عليه خافية في السّماء ولا في الأرض.

[٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾:

جاءت هذه الآية تتمة للردِّ على المكذبين الّذين افتروا أنّ القرآن تنزلت به الشّياطين، وألقته على لسان محمّد ﷺ، ففي الآية (٢١٠ ـ ٢١٢) بيَّن سبحانه سبب استحالة نزول الشّياطين به، وفي هذه الآية يُبين سبحانه على من تنزل الشّياطين، فيقول:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: هل وزيادة الهمزة كلاهما أداة استفهام واقتران هل بالهمزة تفيدان على توكيد ما يخبر به الله تعالى وهو على من تنزل الشّياطين والنّبأ هو الخبر العظيم المهم، أي: هل أنبئكم النّبأ اليقين الحق.

﴿عَلَىٰ مَن﴾: على تفيد العلو والمشقة، ومن تفيد الاستغراق.

﴿تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: تنزل حذف التّاء: ولم يقل: تتنزل، تنزل تعني: القلة أو النّدرة، أمّا تتنزل فتعني الكثرة والاستمرار.

[٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ﴾: على تفيد العلو والمشقة.

﴿كُلِّ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿أَفَّاكٍ﴾: على وزن فعال، أفاك صيغة مبالغة من الإفك وهو الكذب وقلب الحقائق، وأفاك كثير الكذب أو الإفك.

﴿أَثِيمٍ﴾: على وزن فعيل، صيغة مبالغة في ارتكاب الإثم، كثير الإثم والذّنوب، مثل الكاهن أو الكهنة، ومن يدَّعون علم الغيب، تنزل الشّياطين على أوليائها.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾:

﴿يُلْقُونَ﴾: تعود على الشّياطين.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: يصغون أشد الإصغاء إلى الملأ الأعلى (الملائكة) لكي يسترقوا منهم شيئاً يسمعونه لكي يلقوه على الكهنة، ألقى السّمع: أي: يحرص على الاستماع.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾: تعود على الكهنة وتعود على الشّياطين كلاهما كاذبون، فهم يخلطون الخبر الصّادق بأخبار كاذبة، ومن عدل الله سبحانه قال: أكثرهم واستثنى القليل منهم؛ لأنّ بعضهم قد يصدق، وقد يسأل سائل: لِمَ يحدث ذلك بإذن الله، الجواب: لكي يكون فتنة أو ابتلاء للناس والكهنة والشّياطين.

[٢٢٤] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾:

المناسبة: بيّن الله سبحانه أنّ هذا القرآن هو تنزيل من رب العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلب محمّد ﷺ؛ ليكون من المنذرين وبيّن سبحانه ما تنزلت به الشّياطين، وبيّن لماذا وما ينبغي لهم، ولأنّ رسول الله ليس من الكهنة الّذين يستمعون إلى الشّياطين، وهنا ينفي أيضاً أن يكون رسول الله ﷺ من الشّعراء،

كما يفتري مشـــركو وكفار قريش فالشّياطين يتبعهم الكهنة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة:٤١].

والشّعراء يتبعهم الغاون.

والذين آمنوا يتبعون الحق من ربهم.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: الغاوون: جمع غاو، وأصل الغي الفســاد، والغاوون: الفاســدون في الرّأي والعقيدة والخائبــون والضّالون عن الحق بعد معرفته.

ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

وكان الشُّعراء في القديم يمثلون وسيلة من وسائل الإعلام المهمة، يتّبعهم: بالتّشديد ولم يقل: يتبعهم لتدل علىٰ المبالغة في الاتِّباع من اتبع علىٰ وزن افتعل ليس مجرد اتِّباع عادي.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي.

﴿تَرَ﴾: رؤية قلبية فكرية؛ أي: ألم تعلم.

﴿أَنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود علىٰ الشّعراء.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾: في كلّ وادٍ: وادي الذّم والمدح والفجور والفخر والجنــون، أي: ليس لهم واد معين، يهيمون: من هامَ، أي: ســار علىٰ غير هدىٰ ومــن دون هدف، وحائر لا يدري إلىٰ أين يســير، كمن هامَ وتــاهَ في الصّحراء

على وجهه، أي: شعرهم خيالات وأوهام وأباطيل. تشمل أبواب المدح والذم والفجور، وغيرها.

[٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾:

﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾: للتوكيد.

﴿يَقُولُونَ ﴾: بصيغة المضارع لتدل على تجدُّد أقوالهم وتكرارها.

﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾: ما اسم موصول، لا النّافية، أي: تخالف أفعالهم وأقوالهم، فهم يصفون أنفسهم بالشّجاعة وهم جبناء وبالكرم وهم بخلاء أو يحثون النّاس على الشّجاعة ولا يحثون أنفسهم وعلى العطاء وهم أشحاء. ويمدحون غيرهم. كي يُعطوا المال أو ينالوا منفعة دنيوية.

[٢٢٧] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾:

﴿ إِلَّا ﴾: أداة استثناء، أي: يُستثنى من هؤلاء الشّعراء الّذين في كلّ واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾: فهؤلاء عسى الله أن يتوب عليهم ويتقبّل منهم أعمالهم الصّالحة.

﴿وَانْتَصَرُوا ﴾: أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك انتصروا للإسلام، ودافعوا عنه، وعن الرّسول ﷺ وردُّوا بشعرهم على الكفار المشركين وردُّوا السّيئة بالسّيئة والجهر بالسّوء من القول.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾: من بعد ما ظُلموا من أعداء الدّين ومن الكفار.

﴿وَسَيَعْلَمُ﴾: السّين للاستقبال القريب، أي: سيعلمون عن قريب (بعد موتهم وإن طال أجلهم فهو قصير وفجأة) أو سيعلمون في دنياهم قبل موتهم كما حدث في معركة بدر وحنين وفتح مكة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي: الّذين أشركوا بالله أو الكفار وظالمو النّاس وأنفسهم بإعراضهم عن آيات الله وذكره، وبقولهم أنّ القرآن شعر أو قول كاهن.

﴿أَيَّ﴾: للاستفهام والإبهام.

﴿مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾: منقلب مصير أو مرجع أو حالة إليها ينقلبون.

وهناك فرق بين المنقلب والمرجع، المرجع: هو العودة إلى الحال الّتي كان عليها قبل وقوع الحدث، والمنقلب: هو العودة إلى الحال غير الحال الّتي كان عليها قبل وقوع الحدث، والمنقلب قد يكون سيِّئاً أو حسناً.

وتنكير المنقلب وإبهامه للتهويل والتّعظيم، ليترك للعقل أن يتصور كلّ أنواع السّوء الّتي سيصير إليها، وفي الآية تهديد ووعيد لهؤلاء الّذين ظلموا للكف والتّوبة والرّجوع إلى الله.

ولا بُدَّ في الختام من القول أنّ الإسلام يفرِّق بين الشّعر المحرَّم والشّعر المباح: فالشّعر المحرم هو الّذي يخالطه الشّرك والهجاء والشّتم والنّياحة والفحش والخبث والفجور أو الخنى والكذب والباطل، وأمّا الشّعر المباح فهو الّذي يحثُّ على الجهاد والوطن والفضيلة والدّار الآخرة.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٣٨

طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سورة النّمل [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن السّورة (٢٧)، وترتيبها في النّزول السّورة (٤٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿طسٓ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، لبيان علو شأن ورفعة الآيات.

﴿ءَايَٰتُ﴾: أي: الآيات التّالية أو الآيات القادمة أو آيات القرآن بشكل عام، والآيات تقسم إلى ثلاثة أنواع الآيات القرآنية أو الكونية أو المعجزات الّتي تدل على النّبوة.

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: بأل التّعريف للدلالة على الكمال، وسُمِّي قرآناً: لأنّه يُقرأ من الكتاب ويقرأ من الصدور أو مقروءاً.

﴿وَكِتَابٍ﴾: ويسمّى كتاباً؛ لأنّه مكتوب في السّطور وكتاب: نكرة للتفخيم والتعظيم. وجمع بين الوضعين القرآن وكتاب مبين؛ للدلالة على الكمال والقراءة والكتابة لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل، فالكتاب يعني: الجمع الحسي، أو الضم لحروف القرآن وكلماته، وأما القراءة أو التلاوة: جمع صوتي لحروف القرآن وكلماته.

﴿مُّبِينٍ﴾: واضح أنّه منزل من عند الله تعالى ومحيط بكل شيء، ويبيِّن

لكل إنسان ما يحتاجه للقيام بوظيفته الخلافة في الأرض وجلي ومبين بأحكامه وآياته، ولا يحتاج إلىٰ غيره للوصول إلىٰ الغاية.

ولنقارن هذه الآية من سورة النّمل قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

مع الآية (١) من سورة الحجر قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

ففي آية النّمل عطف الكتاب علىٰ القرآن، وفي آية الحجر عطف القرآن علىٰ الكتاب فهما شيء واحد وليس تكراراً.

[٢] ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿هُدًى﴾: هو الهدىٰ أو مصدر الهدىٰ أو الهادي للحق، وإلىٰ الصّراط المستقيم الموصل للغاية وهي السّعادة والكمال في الدّارين.

هدىً: نكرة، أيْ: يشمل كلّ أنواع الهدىٰ يهدي للحق وللخير والرّشد والصّواب والتي هي أحسن، ويهدي للنجاة من النّار والفوز بالجنة هدىٰ عامة لكل البشر وهدىٰ خاصة لمن أراد وطلب الهداية.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾: من البشارة وهي الخبر السّار عادة، ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المؤمنين: أي: الّذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، المؤمنين: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت أي: أصبح الإيمان عندهم صفة ثابتة.

هدىٰ وبشرىٰ: ينتفع بها الكل وخاصة بالمؤمنين وبشرىٰ للمؤمنين بالجنة والنّجاة من النّار.

لنقارن هذه الآيات:

في سورة البقرة الآية (٢) ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

في سورة النّمل الآية (٢) ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

في سورة لقمان الآية (٣) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي سورة النّحل الآية (٦٤) ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وفي سورة النّحل الآية (١٠٢) ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

فالقرآن هدىٰ لهؤلاء جميعاً كل طبقة من هؤلاء تجد هدايتها في هذا القرآن.

فالدّرجات من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ:

الإسلام (مسلمون)، الإيمان (مؤمنون)، التّقوىٰ (المتقون)، الإحسان (المحسنون)، ثمّ أعلىٰ درجة وهي إسلام الوجه والإخلاص ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النّساء:١٢٥].

ولكل من هؤلاء صفاتهم الخاصة بهم، المتقي عمله يقتصر علىٰ نفسه والمحسن يتعدّىٰ بعمله وإحسانه إلىٰ الغير، وهم درجات عند ربهم درجات القربىٰ من الله عَزَّ وَجَلَّ، ولهم درجات عند ربهم (درجات الجنة).

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يؤدُّون الصّلاة بأركانها وسننها وآدابها وأوقاتها وخشوعها والمحافظة عليها والدّوام عليها؛ أي: إقامتها ظاهراً وباطناً، واستحضار القلب أو العقل.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: من الإيتاء لم يقل يعطون الزّكاة. والإيتاء أعم من العطاء.

﴿وَهُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة والاستمرار أن يقينهم ملازم لهم ثابت لا ينفك عنهم.

وتقديم الآخرة ولم يقل: وهم يوقنون بالآخرة: تقديم الآخرة للاهتمام لأنّ الإيمان بالآخرة والبعث من أصعب الأمور؛ لذلك قدَّم الآخرة للمبالغة والتّوكيد.

﴿هُمْ﴾ تكرار هم يفيد التّوكيد، وإذا كان هناك من يوقن بالآخرة فهم في طليعتهم، فهم يوقنون حق الإيقان والإيقان عندهم مستمر وثابت.

﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين وهو العلم بالحق والعلم بأن ليس هناك غيره والذي يتمثل بالإيمان الراسخ في القلب، فلا يتغيَّر ولا يتبدل وله درجات هي علم اليقين عين اليقين، حق اليقين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من بيان معنى اليقين.

انتبه إلى مجيء يقيمون ويؤتون بصيغة الفعل المضارع تدل على التّجدد والاستمرار أي: في الصّلاة والزّكاة بينما وهم بالآخرة جملة اسمية تدل على الثّبات وهم يوقنون جملة فعلية لتدل على التّجدد إضافة إلى الثّبات معاً.

مقابل هؤلاء المؤمنين الّذين ذكرهم في الآية (٢-٣) هناك الّذين لا يؤمنون بالآخرة.

[٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الّذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: لا النّافيــة، لا يؤمنون بالآخرة: (بالبعث والحســاب والجنة والنّار) وهم الكفار.

﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: لم يذكر مــن هو المزيِّن، فقد يكون هو الله ســبحانه للابتلاء والاختبار، والتّزيين من الله للأشياء المباحة والحلال، والمزين قد يكون الشّــيطان إبليس وذريته في الأمور المحظورة، ويكون ذلك بالوسوســة والنّزغ والغواية، أو رؤســاء الضّلال من شــياطين الإنس، والتّزيين: بأن يروا أعمالهم السّيئة أعمالاً حسنةً مثل طول العمر وسعة الرّزق، فيظنون أن الله سبحانه راضٍ عنهم فيتمادون في الطغيان وفي الإسراف والتّبذير والضّلال، وإنّما هذا الإمداد ليزدادوا إثماً.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هم ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: مــن العمىٰ وهو عمىٰ البصيرة، الّذي يــؤدي بهم إلىٰ التّردُّد والحيرة، يعمهون عن الرّشــد؛ مما يؤدِّي بهم إلىٰ الخطأ في الرّأي فهم يتحيَّرون بين الظّن بأنّ أعمالهم حســنة تارة وســيئة أو قبيحة تارة أخــرىٰ، ويتحيَّرون في ضلالهم فهــم لا يهتدون إلىٰ الصراط المســتقيم ويتحيَّرون بيــن نفع أعمالهم وضرها.

[٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد يشير إلىٰ الّذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد التّوكيد.

﴿لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: لهم اللام للاختصاص، سوء العذاب: في الدّنيا بالقتل والأســر والهزيمة وضنك العيش والمرض والفقر، وسوء مشتق من كونه يسيء إلىٰ النّفس ويســوء إظهارُه أو سيِّئُ العاقبة. وسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء

كلمة عامة، وأما السيئة جمعها سيئات، وسيئات تعني: الصغائر والكبائر، وهي خاصة مقارنة بالسوء.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: في ظرفية.

﴿هُمُ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: من فعل أخسر على وزن أفعل، مبالغة في الخسران، أيْ: أشد النّاس خسراناً يوم القيامة وهم أشد خسارة من الخاسرين جمع خاسر؛ لأن الخسارة في الآخرة متفاوتة الدرجات وأعظمها خسارة المشركين والكافرين. ارجع إلى سورة النّساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: اللام للتوكيد، تُلقى: من إلقاء القول وهو المشافهة المرة بعد المرة تتلقاه من جبريل عليه السلام أي: يتلوه عليك.

﴿مِن لَّدُنْ﴾: من ابتدائية، لدن: لم يقل من عند، لدن تستعمل للأمور الخاصة والأقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وأعز مثل النّبوة، ولو قال: منا فهي تستعمل للأمور العامة مثل الرّحمة.

﴿حَكِيمٍ﴾: حكيم مشتقة من الحكمة فهو سبحانه أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة هود آية (١).

﴿عَلِيمٍ﴾: صيغة مبالغة من عالم، عليم بما ينزل على عبده وبمصالح عباده وعليم بالغيب وما يجري في كونه من صغيرة وكبيرة لا تخفى عليه خافية.

[٧] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾:

قبل البدء بذكر الآيات التي وردت في سياق موسىٰ علينا أن نعلم أنها آيات مبنية علىٰ الإيجاز مقارنة بالآيات التي وردت في سورة القصص أو طه أو الشعراء.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي، بمعنىٰ حين، أيْ: واذكر إذ قال موسىٰ لأهله، أو اذكر حين قال موسىٰ لأهله في طريق عودته من مدين إلىٰ مصر.

﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾: تعني: الزّوجة والأولاد، اللام لام الاختصاص.

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: إني للتوكيد، آنست، أيْ: رأيت شيئاً يؤنسني (أي: النّار الّتي رآها من بعيد).

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: السّين للاستقبال القريب وعد فيه شعور بالثّقة بالنّفس والتّأكد والقطع، ولم يقل: لعلي آتيكم: وعد فيه نوع من الخوف والتّرجي وعدم التّأكد، كما ورد في سورة طه والقصص فقد يكون قد انتابه الشعور بالخوف وعدم التأكد، ثمّ عاد ليؤكد ويطمئن أهله واعتراه الشعور بالثقة بعد ذلك فهو قال كلا المقولتين.

﴿بِخَبَرٍ﴾: عن الطريق لكونه تاه ولم يعد مطمئناً في تلك الليلة. بخبر من خبرت الشّيء، أيْ: عرفت حقيقته.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾: الباء للإلصاق شهاب هو شعلة من النّار ملتهبة فيها لهب.

﴿قَبَسٍ﴾: ما تقتبسه من النّار سواء كان جذوة أو شهاب والمجيء بشهاب قبس: أحسن وأفضل؛ لأنّ فيه استنارة (ضوءاً) وفيه دفء.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لعل للتعليل، تصطلون: تستدفئون فقد كان الزّمن زمن شتاء وبرد، والاصطلاء: القرب من النّار للإحساس بالدّفء أصلها تصتلون أبدلت التّاء طاء لقرب المخرجين وسهولة النّطق.

انتبه: استعمل أو بدل الواو، كان باستطاعته القول: سآتيكم منها بخبر وآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون، واستعمل أو بدلاً من الواو، أيْ: إذا لم يظفر بحاجياته على الأقل يظفر بواحدة.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، لما ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿جَآءَهَا﴾: أي: وصل إليها بمشقة وصعوبة جاء فيها معنى المجيء بمشقة وصعوبة بعكس أتاها: فيها معنى المجيء بسهولة، ومعنى آخر هو أتى تعني هو في طريقه ولم يصل بعد مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [القصص:٣٠].

﴿نُودِيَ﴾: النّداء خطاب مباشر.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد والتّعليل.

﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: بورك أصلها بارك أو تبارك أبدلت الألف واو لسكونها وتحرك ما قبلها، وكما روي عن ابن عباس في قوله: بورك؛ يعني: تبارك وتعالى من في النار؛ النار: قيل ليست ناراً وإنما نوراً، وقيل: نورَ رب العالمين وقالوا: من في النّار: من ابتدائية، وفي ظرفية، النّار أي: تبارك موسى عليه السلام من في النار وهو الأعم، وقد تشمل أيضاً كلّ شيء وقع عليه نور الله الشّجرة والطّور والوادي حتّى العصا الّتي في يد موسى والبقعة المباركة الّتي ذكرها في سورة القصص. وقيل: أيضاً الملائكة.

وإذا قيل: إنّ النّار هي حقيقة نار فهي نار لا تحرق؛ لأنّه سبحانه وتعالى نزع

منها خاصية الإحراق، وأبقىٰ لها خاصية الإضاءة؛ لأنّه سبحانه علىٰ كلّ شيء قدير، فسواء كان ذلك نوراً، أو ناراً فهو يدل علىٰ عظمة الله سبحانه وقدرته، ولذلك أعقبها بالقول: وسبحان الله ربِّ العالمين.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي: الملائكة الكرام، وبعضهم قال موسىٰ عليه السلام الذي كان من حولها.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: تنزَّه الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأفعاله عن كلّ عيب ونقص وما لا يليق بجلاله وكماله. ارجع إلىٰ سورة الحديد الآية (١) لمزيد من البيان، رب العالمين: الخالق والمربي والمدبر، العالمين: الملائكة والجن والإنس ورب السّموات والأرض وما بينهما ورب كلّ شيء.

[٩] ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿يَا مُوسَىٰ﴾: نداء من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا﴾: ضمير الشأن الدال علىٰ التعظيم، وللدلالة علىٰ الوحدانية.

﴿اللَّهُ﴾: واجب الوجود اسم ذاته العلية يحمل في طياته كلّ صفاته وأسمائه الأخرىٰ.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الّذي لا يُقهر ولا يُغلب مشتقة من العزة عزة القوة والقهر والامتناع والغلبة.

﴿الْحَكِيمُ﴾: أي: الحاكم حاكم السّموات والأرض وما فيهن صيغة مبالغة تعني: أحكم الحاكمين، وحكيم مشتقة من الحكم أحكم الحكماء في تدبير شؤون خلقه وكونه وشرعه.

[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: قول مباشر من رب العالمين لموسىٰ عليه السلام، وفي سورة القصص آية (٣١): ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: نجد إضافة أن في آية القصص، وتسمىٰ المصدرية، أو المفسرة؛ أي: ناداه ربه أن ألق عصاك؛ أي: بإلقاء عصاه.

لو نظرنا إلىٰ الأحداث في هذه السّورة نجدها جاءت مجملة ومختصرة مقارنة مع سورة طه وسورة القصص وغَلب عليها طابع التّكريم، إضافة إلىٰ الإيجاز، ولم يقل له سبحانه: وما تلك بيمينك يا موسىٰ وألق عصاك.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: أي: فلما ألقاها انقلبت إلىٰ حية تهتز كأنها جان، أيْ: في الحركة والسّرعة؛ كان ذلك مظهراً آخر للاختبار الأول لموسىٰ مع العصا، كما رأينا في سورة طه آية (٢٠).

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: انصرف خائفاً، أو هرب خوفاً منها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يلتفت وراءَه، ولم يرجع إلىٰ مكانه. يعقب مشتقة من عقب القدم: أي: يدور علىٰ عقبه ويرجع.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾: لا النّاهية، لا تخف من الحية، أو هذا الثّعبان، أو مما ترىٰ أمامك. ارجع إلىٰ سورة طه آية (٢٠) لمزيد من البيان وسورة الأعراف آية (١٠٧).

﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: إني للتوكيد، لدي: ولم يقل: مني المرسلون؛ لأنّ المرسلين يخافون من الله كلّ الخوف ويخشونه، أيْ: لا يخاف لدي، أيْ:

عندي أو في حضرتي، ولكن استعمل لدي؛ لأنّها تحمل معنى التّكريم والقرب بينما عندي تستعمل للعامة.

[١١] ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: قيل: إلا في هذه الآية ليست أداة استثناء أو حصر، كما هي في غالب الحالات، وإنما وقعت بمنزلة الواو العاطفة فيكون التفسير الأول؛ أيْ: لا يخاف لدي المرسلون، ومن ظلم ثمّ بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم.

وأما التفسير الثاني: (إلا) قد تفسر بكلمة وكذلك، فتكون الآية: لا يخاف لدي المرسلون، وكذلك لا يخاف لدي من ظلم، ثمّ بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم، وهذه الآية عامة؛ أي: حكم عام ليس خاصاً بأحد، تشمل جميع المكلفين من إنس وجن ﴿مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

واستعمل: ثمّ لتباين وتباعد الصّفات بين الظّلم والإحسان أو عمل سوءاً: إثماً أو ذنباً أو قبيحاً، ثمّ تاب وأناب إلى ربه وعمل حسناً، أيْ: عمل عملاً صالحاً فإنّي غفور رحيم.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾: هذه هي الآية الثّانية، أدخل يدك في جيبك: الجيب فتحة الثّوب فتحة الرّقبة مكان دخول الرّأس في الثّوب هكذا كان الثّوب يلبس في ذلك الزّمن، أدخل يدك والإدخال يستعمل في مواطن المشقة والصّعوبة مقارنة بكلمة ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾: كما في الآية (٣٢) من سورة القصص، والّتي تستعمل في مواطن السّهولة وزمن الخوف ففي زمن الخوف تريد أن يكون الأمر سهلاً، ويكفي الخوف نفسه فيستعمل اسلك يدك.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: أي: يتغيَّر لونها بعد إدخالها في الجيب من اللون

الأسمر إلى الأبيض النّاصع الّذي بشع كالنّور، وحتّى لا يظن أحدٌ أنّ هذا التّغيير في اللّون ناتج عن البرص أو مرض جلدي أزال الله سبحانه ذلك الظّن فقال: من غير سوء، أيْ: من غير مرض.

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾: أي: هذه آية في جملة تسع آيات وهنّ: اليد والعصا والطّوفان، والجراد والقمل والضّفادع، والدّم والسّنين ونقص الثّمرات.

إلى: حرف غاية يفيد عموم الغايات سواء البداية أو النّهاية أو ما بينهما، فرعون وقومه: القوم هم الرجال دون النّساء أو قد تعني الرّجال والنّساء معاً. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) في سورة القصص وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: نجد أن القوم أعم؛ فالقوم تعني: الملأ وغيرهم من الناس، وهذا أن يكون من قبيل ذكر العام بعد الخاص، أو الخاص بعد العام ليشمل الكل في الأهمية الكل يجب أن يبلغ الرسالة؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: إنّهم للتوكيد، قوماً فاسقين؛ لأنّهم أطاعوا فرعون الّذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، وما قاموا به من الفساد في الأرض خارجين عن طاعة الله، فاسقين: مشتقة من فسقت الرّطبة، أي: خرجت من غلافها ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب. لما: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾: أي: الآيات التسع: اليد والعصا والطوفان، والجراد والقمل والضفادع، والدم والسنين ونقص الثّمرات.

جاءتهم: أيْ:: قوم فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾: واضحة أو دالة على وجود الخالق الحق ووحدانيَّته ونبوة موسى.

﴿ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً﴾: أيْ:: كأن الآيات هي الّتي تبصر؛ أي: تهدي إلى الخالق والإله الحق الواحد، وهم لا يبصرون أو هم يبصرون بسببها؛ أي: لو آمنوا بها، فلولا هذه الآيات لما قدروا على الاهتداء.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه ذا اسم إشارة للقرب.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر واضح لكل فرد أو الكل يعرف أنّه سحر. ارجع إلى سورة طه آية (٥٨) لبيان معنى السّحر.

واعتبروها سحراً؛ لأنّها كانت آيات خارقة للعادة. وكل شيء يؤثر فيهم وخارق للعادات يعتبرونه سحراً؛ لأنّهم لا يريدون الإيمان به. ولو نظرنا إلى الاختلافات بين سورتي النمل والقصص لوجدناها كثيرة جداً تعود إلى أن سورة القصص جاءت قصة موسى فيها مفصلة، بينما قصة موسى في سورة النمل جاءت مختصرة نذكر بعض الأمثلة:

في سورة النمل: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [آية:٧]، في سورة القصص: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [آية:٢٩].

في سورة النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [آية:١٠]، في سورة القصص: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [آية:٣٠].

في سورة النمل: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [آية:١٠]، في سورة القصص: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [آية:٣١].

في سورة النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية:١٠]، في سورة القصص: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [آية:٣١].

نجد في سورة القصص يشيع فيها جو الخوف، وسورة النمل ليس فيها خوف.

❖ ❖ ❖

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

سورة النّمل [الآيات ١٤ - ٢٢]

[١٤] ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾: هناك فرق بين الجحود والإنكار. الجحود هو إنكار الشّيء الظّاهر والآيات التّسع أشياء ظاهرة للعيان، والإنكار يشمل إنكار الشّيء الظّاهر والشّيء الخفي مثل إنكار النّعمة والإنكار قد يرافقه علم أو غير علم.

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: الواو حالية (تفيد التّوكيد)، والاستيقان فيه مبالغة في اليقين أيْ: هم علموها (علم اليقين) ورأوها بأمّ أعينهم (عين اليقين) وأيقنوها بقلوبهم وضمائرهم أنّها جاءت من عند الله أو من صنع الله سبحانه وتدل على صدق دعوة موسى، ومع ذلك لم يؤمنوا وأعرضوا عنها ظلماً وعلواً.

وتشير الدراسات الحديثة على الجاحدين بالله حين يُسألون عن الله أو الرّب أن أجوبتهم بألسنتهم لا توافق أو تكون مغايرة وتخالف ما تكن صدورهم من الحق أو الصّدق، وتم رصد ذلك باستعمال أجهزة خاصة لكشف الكذب المستعملة في كشف الحقائق والصدق في حالات القتل والحالات الجنائية.

﴿ظُلْمًا﴾: شركاً بسبب شركهم، وعلواً: تكبراً بسبب تكبرهم بغير حق وقولهم أنّها سحر مبين. والعلو: الشعور بالاقتدار والفوقية والغرور بالقوة.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ﴾: فانظر يا محمّد ﷺ، وانظر أيها القارئ نظرة فكرية قلبية، أيْ: نظرة بصيرة والفاء للتوكيد، كيف: استفهام غرضه التّحذير والتّعجب.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: كيف كان مصيرهم الغرق والتّدمير (ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون).

قال تعالىٰ: كان عاقبة، ولم يقل: كانت عاقبة، كان عاقبةُ؛ تعني: العذاب في كلّ القرآن، كانت عاقبة تعني الجنة والعاقبة الحسنة فالتذكير يدل علىٰ العذاب وصيغة التأنيث تدل علىٰ الجنة.

وجاءت كلمة عاقبة: نكرة للتهويل والتّعظيم وليتصورها بكل صورها المؤلمة، المفسدين: ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

ثمّ ينتقل الحق سبحانه من ذكر موسىٰ وفرعون إلىٰ ذكر داود وابنه سليمان.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾: الإيتاء هو أعم من العطاء، ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء، داود: من ذرية يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وسليمان: هو ابن داود عليهما السلام.

﴿عِلْمًا﴾: نكرة؛ لأنّه يشمل كثير من العلوم مثل علم الدّين والأحكام والقضاء والتّوراة ومنطق الطّير وصناعة السّابغات وأهم العلوم علم الدّين.

والجدير بالذكر أن الله سبحانه آتىٰ داود وسليمان الملك العظيم وسخر لداود الجبال وألان له الحديد وصنع السّابغات، وأعطىٰ سليمان ملكاً لم يعطه لأحدٍ من قبله وسخَّر له الرّيح والجن وعلمه منطق الطّير وغيره، فلم يذكرها في هذه الآية، وإنما ذكر فقط العلم؛ لأنّه أهم وأفضل عطاء.

فالعلم بالله والدّين هو المنة والنّعمة الحقيقية الّتي يحب أن يفرح بها المؤمن وهو أشرف العلوم على الإطلاق؛ لأن المال والجاه والملك كلّه زائل بالموت.

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى﴾: الّذي اسم موصول يعود إلى الله سبحانه، والحمد أعم من الشكر.

﴿فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنّبوة والعلم وغيرها من النّعم، وقوله: فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، ولم يقل: فضلنا على عباده المؤمنين فكأن هناك من هم أفضل منهم من الرّسل والأنبياء أمثال أولو العزم من الرّسل، وهذا من أدب النّبوة والتّواضع، والحمد لله: المنعم علينا وعلى عباده الآخرين جملة اسمية تدل على الثّبوت. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان عن الحمد.

[١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾: أيْ: ورث النّبوة والعلم والملك ولا تعني وراثة المال أو المتاع، فقد قال ابن القيم: أجمع أهل العلم والتفسير أن وراثة سليمان لم تكن وراثة مال؛ لأنه كان لداود (١٩) ولداً وإنما ورث؛ أي: أخذ عن أبيه العلم والنبوة والحكم (الملك) بالإضافة إلى ما أتاه الله من العلم، وسليمان لم يأت بعد داود فقد كانا في عصر واحد أو زمن واحد، وسمى ذلك وارثه.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾: قال سليمان: علمنا منطق الطّير: علمنا تعود على سليمان وحده بصيغة التّعظيم أو تعود عليه وعلى أبيه منطق الطّير لغة الطّير ولغة الحيوان، فلكلّ حيوان منطق ولغة تتفاهم بها مع غيرها من

الحيوانات وتسبّح وتصلي، فهم أمم أمثالنا، ويحاول البعض في عصرنا الحديث أن يتعلَّم لغة الطّير وعاداته، وغيره من الحيوانات.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: أيْ: من كلّ النّعم، من ابتدائية لبيان الجنس.

من كلّ شيء مثل النّبوة والملك والرّيح ومنطق الطّير والجن، شيء نكرة تشمل أيَّ شيء أي أعطيناه وسخرنا له ما يحتاجه، ولمعرفة معنىٰ الإيتاء ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ الإيتاء.

﴿لَهُوَ﴾: اللام للتوكيد.

﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: الفضل هو الزّيادة عما يستحق العبد، المبين: أي: الواضح الظاهر الفضل الّذي يعلمه ويقرُّه كلّ فرد ولا ينكره، والواضح لا يحتاج إلىٰ إثبات وبيان.

[١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

﴿وَحُشِرَ﴾: الحشر هو الجمع في مكان واحد.

﴿لِسُلَيْمَٰنَ﴾: اللام لام الاختصاص، سليمان بن داود.

﴿جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾: كلّ صنف لوحده، ولم يقل جنده؛ لأن الجنود تعني من أجناس مختلفة، ولكل وظيفته الخاصة به.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أصل الوزع هو الكف والمنع، والمنع أن يسبق بعضهم بعضاً إلىٰ سليمان، فلذلك لا بُدَّ من أن يحبس أوّلهم حتّىٰ يحضر آخرهم ولتكون الصّفوف منتظمة، لا بُدَّ من وازع وهو كالمسؤول أو الرّئيس والقائد لكل فرقة.

[١٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَآ﴾: ظرفية زمانية للماضي.

﴿أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: أيْ: أتى سليمان وجنوده، أتوا ولم يقل جاءوا؛ القرآن يستعمل المجيء للمجيء الذي فيه صعوبة ومشقة، ويستعمل الإتيان للمجيء بسهولة؛ أي: قدموا أو انحدروا على واد النّمل فقوله: أتوا على تدل على أنّهم أتوا من أعلى الوادي، جاؤوا الوادي من أعلى الجبل، وادي النّمل، وأتوا: لم يصلوا بعد فهم في طريقهم.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: نادت نملة، وكأنها تمثل الحارسة لمساكن النّمل في تلك البقعة من الوادي قالت بلغتها الخاصة التي فهمها سليمان محذِّرة باقي النّمل بالدّخول إلى المساكن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾: يا النّداء، أيها: الهاء للتنبيه العام لتسمع كل نملة ولم تقل يا نمل، ادخلوا مساكنكم: خطاب للعقلاء الذين يسمعون النصيحة ولم تقل: ادخلن مساكنكن، مساكنكم: أيْ: كلّ واحدة تدخل مسكنها وتستقر فيه (لكل نملة مسكن أو خلية خاصة بها).

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾: تدل على أن النّملة عرفت سليمان هو الحاكم عرفته بالإلهام، يحطمنكم: من التّحطيم وهو التّكسير؛ لأنّ جسم النّملة اكتشف أنّه يحتوي على مادة السّليكون المستعمل في صناعة الزّجاج، وهذا من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، والتّهشيم يكون لكسر الشّيء الرّطب أو اليابس،

والتّحطيم يكون فقط للشيء اليابس كالزجاج، سليمان وجنوده: أيْ: لكي لا يدوسوا عليكم بأقدامهم خطأً. وأكدت ذلك بقولها (لا يحطمنكم) نون التوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أيْ: عن غير قصد ليس عمداً لكونهم لا يشعرون بكم، سليمان وحده سمع قول هذه النّملة قبل أن يقترب هو وجنوده من مساكن النّمل.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾: الفاء تدل على المباشرة أيْ: فما إن سمعها تقول للنمل: ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، تبسم من قولها وضحك وابتسم: الضّحك ناتج عن سرور وهناك تبسم من دون ضحك، وقيل: أكثر ضحك الأنبياء تبسم، تبسم ضاحكاً متعجباً من هذه النّملة الّتي خافت منه وتحذّر غيرها من النّمل. وقد يسئل سائل في الآية (١٦) وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ وهنا يقول نملة، وهل النمل من أنواع الطيور؟ والحقيقة قوله علمنا منطق الطير لا تعني الحصر؛ أي: فقط لغة الطير؛ أي: علمنا منطق الطير وغيره من لغات الحيوانات والعلوم الأخرى.

وعندها شعر سليمان بفضل الله تعالى ونعمه عليه فدعا ربه قائلاً:

﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: من الوزع وهو الكف والمنع، أي: امنعني أن أغفل أو أنسى أن أشكر نعمتك على الدّوام، أيْ: أظل شاكراً لك أو كُفني عما يباعد عن شكرك، وقيل: أوزعني من الإيزاع، أي: الإغراء بالشّيء أو مولع بشيء، أيْ: مولع بشكرك دائماً.

﴿نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: الوالد هو داود.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: أيْ: وألهمني أن أعمل صالحاً، أن للتعليل

والتّوكيد، مقابل تلك النّعم يَسر لي العمل الصّالح الّذي ترضاه، أيْ: وفقني وساعدني على القيام به.

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: رغم النّبوة وكلّ تلك النّعم ما زال متواضعاً لم يعط نفسه درجة على غيره، ولم يورثّه كلُّ ذلك المُلك والفضل الغرورَ والتّكبرَ، ورغم أنّه أعطي ملكاً، لم يعطِ الله لأحدٍ مثله، وأدخلني برحمتك بسبب رحمتك، باء السّببية فاجعلني واحداً من هؤلاء العباد الصّالحين ولم يقل: وأدخلني في رحمتك: في الظّرفية، أي: اجعلني من بين الّذين رحمتهم؛ لأنّه يعلم أنّه داخل في رحمة الله؛ لأنّه أعطي النّبوة فهذه أكبر رحمة من الله تعالى.

وتعني أنّه كان في رحمة الله تعالى، ويريد أن يدخل في رحمة جديدة هي أن يكون من بين الصّالحين. من جاء ذكرهم في سورة الفرقان الآية (٦٣-٧٤) ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا .....وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

[٢٠] ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾: بحث عن الطّير والطّير اسم جنس يشمل كلّ الطيور.

﴿فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾: ما للتعجب من عدم رؤية الهدهد ظناً منه أنّه حاضر أو محجوب عنه.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: فلما تأكّد من خلوِّ مكانه بين الطّيور قال عندها: أم كان من الغائبين، فلا بُدَّ من معاقبته.

[٢١] ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾: اللام لام التّوكيد والنّون في أعذبنّه لزيادة التّوكيد، تعذيبه بنتف ريشه الّذي يزهو به فلا يستطيع الطّيران أو حبسه.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾: واللام والنّون للتوكيد في لأذبحنه أو ليأتيني.

﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: السّلطان، أي: الحُجَّة القوية لا تدحض لقوة دلالتها، أو عُذر مؤكد واضح بنفسه لا يحتاج إلىٰ من يوضحه.

في هذه الآية نرىٰ تدرج في العقاب من العذاب الشّديد إلىٰ الذّبح وأعظم من الذّبح الإتيان بسلطان مبين.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: الفاء للتعقيب والتّرتيب، غير بعيد: أي: استغرق غياب الهدهد عن سليمان زمناً يسيراً غير طويل.

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾: ثمّ عاد الهدهد ليخاطب سليمان عليه السلام؛ فقال: الفاء للتّعقيب والمباشرة، أحطت: الإحاطة هي العالم بالشّيء من جميع جهاته إحاطة تامة كالبحر المحيط أيْ: علمت شيئاً لا تعلمه ورأيت شيئاً عجيباً أنت عنه غافل.

﴿وَجِئْتُكَ﴾: المجيء لم يكن بسهولة لكون الهدهد لم يحصل علىٰ النّبأ بسهولة ولم يقل أتيتك: الإتيان يكون بسهولة بعكس المجيء.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿سَبَإٍ﴾: نسبة إلىٰ سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، له (١٠) أولاد

(٦) منهم كانوا في اليمن و(٤) رحلوا إلى الشام، وسبأ يمكن يكون اسماً للقبيلة أو المكان أو جد القبيلة، وسُمِّيت مدينة مأرب فيما بعد، وهي قريبة من صنعاء.

﴿بِنَبَإٍ﴾: الباء للإلصاق والنّبأ هو الخبر العظيم أو الهام.

﴿يَقِينٍ﴾: أيْ: حـــق ثابت وصدق لا ريب فيه، والنّبأ هو ما ذكر في الآيات (٢٣-٢٤). وقول الهدهد: (أحطت بما لم تحط به): فيه دعوة لسليمان للاستماع لما ســـيقوله له؛ كي يعيره الاهتمام ويخبره بما رآه، ولم يخبر الهدهد ســـليمان مباشرة بالخبر.

❖ ❖ ❖

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

سجدة تلاوة أرباع الجزء ٣٨

سورة النّمل [الآيات ٢٣ - ٣٥]

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: إنّي للتوكيد، امرأة تملكهم: هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان كان أبوها ملك اليمن وكان مجوسياً يعبد الشّمس تملكهم: أيْ: تحكمهم، وكتبت امرأة بالتاء المربوطة، وليس بالتاء المبسوطة أو المفتوحة. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة الفرق.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: من أسباب الدّنيا، الآلة والعدة والمال والخير الكثير، أوتيت: أعطيت ولمعرفة الفرق بينهما ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة، من ابتدائية، كلّ شيء للمبالغة، أيْ: من متاع الدّنيا ولكنها لم تؤتَ النّبوة أو الحكمة أو الدّين، وهذا هو الإيتاء الدّائم والأفضل من غيره من الإيتاءات.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: اللام في لها للاختصاص، كرسي الملك، عرش عظيم: مقارنة بعروش الملوك في زمنها، وعظمة العرش تقدر بسعة رقعة الحكم والعدد والعدة في الأفراد والثّروات.

[٢٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يدل علىٰ أنّ الهدهد يفهم مبادئ العقيدة والإيمان والتّوحيد، كما هداه الله سبحانه، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

﴿يَسْجُدُونَ﴾: يعبدون الشّمس ويعظمونها، من دون الله: من غير الله وكأنّه يستنكر ويتعجب من سجودهم لغير الله وشركهم بالله الخالق.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: قدَّم الجار والمجرور لهم للحصر، أي: المزين الوحيد لهم هو الشّيطان زين لهم الشّرك والباطل، أيْ: حبَّبه إليهم.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الفاء للتوكيد، صدهم عن السّبيل: عن الاهتداء إلىٰ طريق الحق وهو الإيمان بالخالق وحده وعبادته والدين.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، هم لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾: لا النّافية، يهتدون إلىٰ طريق الحق وإلىٰ عبادة الخالق ووحدانيته.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾: ألا أداة حضٍّ وحثٍّ أصلها أن: التّعليلية والتّوكيد، لا النّافية، أيْ: زين لهم الشّيطان أعمالهم ألا يسجدوا لله.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الخبء مصدر خبأ: للمبالغة في تصوير إخراج ليس للشيء المخفي فقط وإنما للخفاء نفسه، وخبأ الشّيء أيْ: أخفاه والخبء يشمل كلّ شيء غائب مستور في السّموات والأرض مثل الماء والنّبات والكنوز والمعادن والبترول والغازات والخيرات الخفية والثمينة فهو الّذي يخرجها للناس، أيْ: يجعلهم قادرين علىٰ اكتشافها، وبالتّالي استعمالها والفائدة منها.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: الإخفاء: يشمل الأمور المادية والمعنوية، والإخفاء يضم الكتمان، تعلنون: تبدون أو تظهرون أو تجهرون، أيْ: يعلم ما تخفون في نفوسكم وما تعلنون بألسنتكم، واختار الهدهد هذه الصّفة من بين الصّفات الأخرىٰ الكثيرة لله تعالىٰ؛ لأنّ الهدهد وحده الّذي يرىٰ الماء المدفون

في باطن الأرض والله سبحانه هو الّذي أعطى الهدهد هذه القدرة العجيبة فالله وحده الّذي يعلم ما تخفون وما تعلنون، وهذا يدل على وحدانيّته.

[٢٦] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: الاسم الأعظم الّذي تفرد به سبحانه واختصه لنفسه الدّال على واجب الوجود الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية. الإله: المألوه المعبود وحده.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: العظيم تعود إلى الرّب وقد تعود إلى العرش، خالق العرش العظيم والقائم على تدبيره، ووصف العرش بالعظيم؛ لأنّه أعظم مخلوقات الله تعالى على الإطلاق يفوق خلق السّموات والأرض ويفوق خلق الإنسان. ارجع إلى سورة التّوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٧] ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾: قال سليمان للهدهد: سننظر: السّين للاستقبال القريب أيْ: سنعلم عن قريب أو نرى رؤية قلبية وتجريبية إذا كنت صادقاً أم كاذباً.

﴿أَصَدَقْتَ﴾: الهمزة همزة استفهامية، فيما أنبأتنا به أو أخبرتنا: جملة فعلية تدل على التّجدد والتّكرار.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: جملة اسمية تدل على الثّبوت ثبوت صفة الكذب في الهدهد.

[٢٨] ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى﴾: أيْ: كتب سليمان رسالة إلى الملكة الحاكمة في سبأ

وقومها وطلب من الهدهد أن يطير بهذا الكتاب، وسنرى في الآية (٣٠-٣١) نص الرّسالة أو الكتاب.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: احمله وألقه إليهم ولم يقل: عليهم: إليهم،أيْ: لينتهي أو يصل إلى يدي الملكة. إليهم: تشمل عليهم أولاً، أيْ: ألقه عليهم أولاً وثانياً يصل إلى أيديهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: ثمّ انصرف إلى مكان آخر.

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: انظر ماذا سيكون جوابهم أو ردهم على كتابي، الفاء للتعقيب والمباشرة، انظر مباشرة ماذا سيكون جوابهم.

[٢٩] ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت الملكة للملأ حولها؛ أيْ: أعضاء الحكومة من الوزراء ومستشاريها وممثليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا﴾: نداء من الأعلى إلى الأسفل والهاء للتنبيه إلى الملأ. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لمزيد من البيان.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد، ولم تقل: إنّه، وقالت: إنّي؛ ليشير إلى تحملها المسؤولية.

﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ﴾: لم تعرف من ألقى الكتاب في قصرها فلم يذكر كيف دخل الهدهد القصر، وكيف ألقى الكتاب، واين كانت الملكة حين ألقى الكتاب، وأين وجدته، وكم استغرق الهدهد من الزمن للوصول إلى سبأ وغيرها من التساؤلات العديدة؛ لأن كل ذلك ليس هو موطن الاهتمام والعبرة، ووصفت الكتاب به كتاب كريم.

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: وكيف عرفت أنّه كتاب كريم؛ لأنّه من سليمان وسمعت

أنّه ملك كريم أو لأنّه مكتوب بشكل جميل وحسن أو لأنّه مختوم أو لأنّه بدأ باسم الله الرّحمن الرّحيم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

كأنّها لما قالت: إنّي ألقي إليّ كتاب كريم قيل لها: من أرسله؟ فقالت: إنّه من سليمان، ثمّ قرأته: وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم.

[٣١] ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن المصدرية وتفيد التّعليل والتّوكيد، لا النّافية.

﴿تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾: لا تتكبروا عليَّ. والعلو هو الشّعور بالفوقية والاقتدار بالغرور بالقوة.

﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: أيْ: أسلموا.

[٣٢] ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾:

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾: قالت الملكة، يا النّداء والنّداء من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل بعكس الدّعاء من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ، الملأ: مستشاريها من أعضاء الدولة والوزارات، أو ممثليهم، الملأ: مشتقة من كونهم تراهم العيون دائماً يتحدثون باسم القوم. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (٢٤) للبيان.

﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾: الفتيا: هنا تعني: أشيروا عليّ برأيكم من الشّورىٰ، في أمري: مع أنّ الكتاب كان موجه إلىٰ الكلّ لقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣١]، فالأمر يهم الجميع، ولكنها نسبت الأمر إلىٰ نفسها؛ لأنّها وقومها يد واحدة فأمرهم أمرها وأمرها أمرهم، ويدل علىٰ رعيتها.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: متخذةً قراراً أو مبرمة أمراً أو قاضية بحكم.

﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: حتّىٰ حرف نهاية الغاية، تشهدون: تحضرون، تشهدون

الجلسة وتدلون بآرائكم، وحذف الياء يدل على أنها شهادة مؤقتة لظرف معين، وليست دائمة تنتهي بانتهاء الحرب أو الاستسلام لسليمان.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾:

فجاء الرّد منهم على الفتوى بما يلي:

﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾: أيْ: أصحاب (أو ذوو: للمفرد بمعنى صاحب) قوة، أيْ: في العدد والعدة قيل: كان عدد القواد (٣١٢) كلّ قائد يمثل عدداً كبيراً من المقاتلين يقدر بـ (١٠,٠٠٠) أو أكثر.

﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: تكرار أولوا يفيد التّوكيد، أيْ: وذوو بأس شديد، أيْ: ذوو أو أصحاب بلاء وشجاعة في الحرب؛ لأنّ هناك الكثير ممن يملكون العدد والعدة، ولكنهم جبناء فالقوة عامة تكون في الحرب أو غير الحرب، البأس: يعني في الحرب، أيْ: نحن نملك الأمرين العدة والعتاد والشّجاعة والجرأة.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: أيْ: أنت صاحبة الرأي أو متخذة القرار والحكم أو نحن نوكل إليك اتخاذ القرار، فانظري: الفاء للتوكيد، أيْ: تأملي الأمر وفكري به وأخبرينا، وماذا: أداة استفهام أقوى وآكد من ما، تأمرين: ما هو واجبنا لتنفيذه والشّروع به.

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت الملكة رداً على فتواهم: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: بالقوة أو القتال.

﴿أَفْسَدُوهَا﴾: بإهلاك الحرث والنّسل والقتل والتّخريب وإشاعة الخوف والرّعب.

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾: أشراف القوم أذلة بالضّرب والإهانة والأسر حتّى لا يجرأ أحد على المقاومة.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: وكذلك تعني: ومثل ذلك يفعلون، قيل: هذا من كلام الملكة بلقيس أو من قول الله سبحانه مصدقاً لقولها: إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وكذلك يفعلون، وهذا هو المرجَّح، أيْ: هذا الإفساد هو من عادتهم المستمرة الثّابتة الّتي لا تتغير.

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾: إنّي: للتوكيد، مرسلة إليهم بهدية: لسليمان.

﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾: ما سيفعل بها، ثمّ اتخذ القرار، أيْ: إن أخذ الهدية وقبلها فهو من أهل الدّنيا أو ملك من ملوك الدنيا الذين يأخذون الهدايا ويفرحون بها فنقاتله بعدها، وإن ردَّ الهدية فهو نبي فلن يرضى إلا باتباع دعوته ودينه فنتَّبعه، وقد أحست بلقيس ميل قومها إلى القتال، ولكنّها هي جنحت للسلم لأنّها أشارت إلى أخطار الحرب والدّمار.

﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: وهذا يعني أنها أرسلت مجموعة من الرسل؛ أي: وفد من الناس يحملون الهدية، وهذا يشير أيضاً إلى عظيم الهدية وكبرها، وهي تنتظر عودة الرسل ليخبروها بما قال لهم سليمان أو فعل بالهدية.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي
عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا
نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن
سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

سورة النّمل [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾: فلما جاء الوفد المرسل من ملكة سبأ بالهدية إلى سليمان، الهدية: الذّهب والجواهر واللآلئ (أي: المال).

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ قال سليمان للوفد القادم بالهدية: أتمدونن: من أمدَّ يمدُّ إمداداً، أي: الإعانة والتّقوية والإمداد في القرآن يأتي عادة بالخير، أما المد فقد يكون بالشّر هو الزّيادة (في العذاب أو الطّغيان)، والهمزة في أتمدونن للاستفهام الإنكاري والتّعجب والتّوبيخ، والنّون للتوكيد، وقال: أتمدونن بحذف ياء المتكلم ولم يقل: أتمدونني؛ لأنّه يستحيي أن يُخبر بذلك ويريد قصر الخبر وكأن الهدية فضيحة أو رشوة، وهو لم يطلب مالاً أصلاً ولا حاجة له بهذا المال وكان همه مجيئهم إليه مسلمون، وهو إمداد لا حاجة له به مقارنة بما أمده الله من العطاء مثل: تسخير الرياح، والجن، والطير، ولم يقل: أتمدوننا؛ لأنّ الهدية هي خاصة بسليمان فقط وليس قومه.

﴿بِمَالٍ﴾: الباء للإلصاق.

﴿فَمَآ﴾: الفاء للتفصيل، ما: اسم موصول بمعنى الّذي وأوسع شمولاً من الذي.

﴿ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: من الإيتاء وهو العطاء، ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء، آتاني الله من المال، وحذف الياء في أتان؛ لأن هدية ملكة سبأ لا يقارن بما أتاه الله تعالىٰ من المال خيرٌ من الهدية وهذا الإيتاء هو جزء مما أتاه الله من الملك والنبوة وتسخير الرياح والجن والطير أتان: يقصد به المال وأما لو قال أتاني: يقصد به الإيتاء الكامل من النبوة والملك وغيرها، مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود:٢٨] أو قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠]؛ فالنبوة والكتاب من أعظم الإيتاء.

﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾: خيرٌ: أفضل مما، من: ابتدائية، ما: بمعنىٰ الذي أتاكم؛ أي: المال وعرض الدينا، فلا حاجة لي بهديتكم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: أنتم للتوكيد، والباء للإلصاق، بهديتكم تفرحون: الفرح المذموم، والفرح أعم من السّرور والفرح شيء يحدث في النّفس ونقيضه الغم، أما السّرور فنقيضه الحزن. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنىٰ الفرح وأنواعه.

انتبه: أضاف الهدية إليهم فقال: بهديتكم ولم يضفها إلىٰ نفسه، أيْ: أنتم تفرحون إن جاءتكم هدية من أحد أو تفرحون بهديتكم إن قبلتُها منكم.

والسّؤال: لِمَ لمْ يقبل سليمان الهدية مع أنّ رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية فيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ولا يقبل الصّدقة؟

الجواب: الهدية هذه تعتبر كرشوة من بلقيس لسليمان والرّشوة حرام وخاصة حين تهدىٰ إلىٰ الحاكم أو ولاة الأمور، ويكون من ورائها مصلحة ذاتية في الحاضر أو المستقبل، والهدية حين تكون لوجه الله تعالىٰ مباحة، ولكنها

نادرة ولا شك أنّ الهدية تورث المحبة والمودة، وهذه الهدية ليست فقط فيها شبه الرّشوة، بل هي هدية تدعو إلى الصّد عن سبيل الله والدّخول في الإسلام وبيع الآخرة بعرض فانٍ وهو المال.

[٣٧] ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾:

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: قال للرسول والوفد المرافق: ارجع إليهم ولم يقل: ارجع إليها، ارجع إلى قومك، ارجع إليهم بهديتهم.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ﴾: الفاء للتوكيد واللام والنّون في لنأتينَّهم لزيادة التوكيد، وأخبرهم أنا قادمون بجنود، ولم يقل: بجند؛ لأنّهم مزيج من الإنس والجن والشّياطين. الّذين سخرهم الله لطاعة سليمان، ولو كانوا من جنس البشر فقط لقال: بجند.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾: لا النّافية، أيْ: لا يستطيعون مقابلتها، أي: التّصدي لها أو القدرة عليها، ولا طاقة لهم على مقاومتها. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فالطاقة: هي غاية أو أقصى مقدرة القادر، واستفراغ ما في وسعه من قدرة، والقدرة: القدرة أو القوة التي يتمكن بها المرء من أداء الأمور، والاستطاعة: أخص من القدرة، فكل مستطيع قادر، وليس كل قادر بمستطيع.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم﴾: اللام والنّون كلاهما للتوكيد.

﴿مِّنْهَا﴾: من أرضهم من سبأ (مأرب).

﴿أَذِلَّةً﴾: بعد هزمهم ودحرهم أذلة بعد أن كانوا أعزة؛ لأنّه سيسلبهم مُلْكَهُم ويصبحون عبيداً.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿صَٰغِرُونَ﴾: من الصَّغار وهو الأسر والذل والاستعباد.

وأدركت بلقيس أنّ هذا إنذار بالحرب من سليمان وهي نفسها تميل إلى السّلم، ولذلك أذعنت وانقادت لطلب سليمان، وبدأت بالاستعداد للقدوم إلى سليمان لإعلان إسلامها مع قومها.

[٣٨] ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾:

علم سليمان بنية بلقيس وقومها وأنّهم قادمون إليه لإعلان إسلامهم عندها قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾: يا النّداء، الهاء للتنبيه، الملأ: أشراف وسادة القوم ورؤسائهم المقربين إليها (سادة الإنس والجن) بعد أن دعاهم للاجتماع. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لبيان معنى الملؤا، والفرق بين الملؤا والملأ.

﴿أَيُّكُمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: لماذا طلب سليمان (الإيتاء بعرشها)؟؟ فعل ذلك كآية معجزة ليدل بلقيس على صدق نبوته كما فعل الأنبياء والرّسل السّابقين، قبل أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد، يأتوني: النّون للتوكيد، قبل أن يصلوا إلينا، مسلمين: لإعلان إسلامهم، فهو حدَّد زمن الإتيان بهذا العرش قبل أن يأتوني مسلمين، فلا بُدَّ من الذّهاب إلى العرش، ثمّ الإتيان به حمله كقطعة واحدة أو عدة قطع، والله أعلم.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: العفريت هو الخبيث الماكر من الجن ذو القوة الخارقة، وكلمة عفريت اشتقت من التّعفير بالتّراب، فقد كانوا حينما يتسابقون

في العَــدْو بالخيل أو غيرها يحــاول الفارس أن يثير الغبــار أو التّراب في وجه المتسابقون الآخرون لكي لا يروا الطّريق.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾: بالعرش.

﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: قبل الانتهاء من مجلســك للقضاء، وكان يجلس للقضاء من الغداة إلى منتصف النّهار، أيْ: (٤-٥) ساعات، فإذا كان هذا العفريت من الجن يملك هذه القدرة ويقطع مســافة تقــارب (٥٠٠٠-٦٠٠٠كم) ذهاب وإياب بين ســليمان والملكة في اليمن، فما بالك بقدرة الله الّذي خلق الملائكة والجن، وما بالك بسرعة الملائكة الّذين يعرجون في السّماء، وما قدروا الله حق قدره.

﴿وَإِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿عَلَيْهِ﴾: أي: العرش.

﴿لَقَوِىٌّ﴾: اللام للتوكيد، قوي قادر على حمله.

﴿أَمِينٌ﴾: على ما فيه من الذّهب والجواهر والدّر (لكونه مرصعاً بها) ولن أبدِّد منه شيئاً، أو أمين لا آتيك إلا به وليس بغيره أو مثله.

[٤٠] ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾:

اختلف العلماء فــي هذا الّذي عنده علم من الكتاب: قالوا: هو ســليمان نفســه الّذي عنده علم من الكتاب، فســليمان عليه السلام يعلم الكتــاب (التّوراة) أكثر مــن غيره، فلما قــال عفريت من الجن مــا قاله ردَّ عليه ســليمان بأنّه قادر على إحضاره بطرفة عين، وقالوا: هو رجل من بني إســرائيل اســمه آصف بن برخيا،

وكان وزيراً لسليمان، وهو رجل صالح كان يعرف اسم الله الأعظم الّذي إذا دُعي به استجاب، ومع العلم أنّ عنده علم من الكتاب، من (بعضية) أيْ: بعض العلم، ويكفي أن يكون علم اسم الله الأعظم فهو لم يحضره بنفسه وإنما دعا الله سبحانه فاستجاب له (كما في قصة الخضر) فالقدرة هي قدرة الله تعالىٰ الّتي أودعها في اسمه الأعظم وعلمها هذا الإنسان.

والمراد بقوله: قبل أن يرتد إليك طرفك، ليس الزّمن هو الّذي يجب أن ننظر إليه، وإنما إلىٰ القدرة الإلهية الّتي لا تقدَّر بأي زمن أو طاقة أو سرعة، أو تحدُّ بحدود؛ لأنّه سبحانه خالق الزّمن، وهو خالق السّرعة، ولنعلم أن سرعة الضوء (٣٠٠،٠٠٠كم في الثانية).

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: الطّرف هو الجفن، أيْ: قبل إطباق الجفن كلمح البصر قبل أن تغمض عينيك أو قبل أن تفتح عينيك، ولنعلم أن هناك من حاول تفسير هذه المعجزة من خلال النّظريات العلمية الحديثة المتعلِّقة بالذرة، وكلها تحتاج إلىٰ توثيق.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: أيْ: رأىٰ العرش مستقراً عنده بين يديه أمامه.

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾: قال سليمان: هذا الإحضار من فضل ربي وإحسانه. هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب، ويشير إلىٰ الإحضار هو من فضل ربي.

﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾: اللام: للتوكيد، يبلوني: من الابتلاء. والابتلاء يكون بالشّر والخير فتنةً، أأشكر: الشّكر يعني: نسب النّعمة إلىٰ المنعم والشّكر باللسان والقيام بالعبادات، أم: للإضراب الانتقالي، أكفر: ويعني ستر النّعمة وعدم إسناد النّعمة علىٰ المنعم وإخفاءها.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿شَكَرَ﴾: الله باللسان والفعل وتتضمن العبادات والصّدقات.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة للحصر.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: كقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]؛ أيْ: نفع أو فائدة الشّكر تعود إليه، ويشكر جاءت بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار لكلّ نعمة.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾: من شرطية، كفر: ستر النّعمة ولم يسندها إلى الخالق الرّزاق، وقال: إنما أوتيته على علم عندي كما فعل قارون.

﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾: غني عن شكره وليس بحاجة إلى شكر أي عبد من عباده.

﴿كَرِيمٌ﴾: لا يقطع إنعامه على من لم يشكره، أو لا يعبده، وإنما يستمر في عطائه وكرمه، ارجع إلى الآية (١٢) من سورة لقمان للمقارنة.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾: قال سليمان: غيِّروا بعض معالم عرشها وبعض ألوان أحجاره أو نقوشه، التّنكير ضد التّعريف جعل الشّيء لا يُعرف إلا بصعوبة.

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾: نختبرها وننظر نظرة قلبية ونظرة بصرية، أتهتدي إلى معرفة عرشها، أو لا تهتدي أو تهتدي للجواب الصّواب أم لا.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: والغاية من إحضار العرش وتنكيره لعلَّها إن رأت هذه المعجزة تسلم وتدخل في الإسلام هي وقومها.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿جَآءَتْ﴾: بلقيس.

﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾: سُئلت أهكذا: الهمزة همزة استفهام وتقرير وإخبار، ولم يقل: أهذا عرشك: هذا القول يوحي إليها بالجواب أنّه عرشها.

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾: ولو قالت: هو، لسألوها كيف جاء العرش والمسافة كانت تستغرق حوالي شهرين مشياً على الأقدام، ولو قالت: ليس هو، لقيل لها: كيف تجهلين عرشك فكانت ذات دهاء وحكمة فقالت: كأنّه هو.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: هذا قول سليمان عليه السلام: وأوتينا العلم بالدّين من قبلها بفضل الله ودخلنا في الإسلام من قبل أن تُسلم أو تدخل في الإسلام، وكنا مسلمين: جملة اسمية تفيد الثّبوت، أي: الإسلام صفة ثابتة مستمرة لا تتغيَّر عندنا.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَصَدَّهَا﴾: الصّد هو المنع عن قصد الشّيء خاصة، أيْ: منعها؛ أي: أضلها ما كانت تعبد من دون الله (أي: عبادة الشّمس أو الشّيطان أضلها عن عبادة الله).

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿كَانَتْ مِن﴾: تكرار كانت مرتين للتأكيد على تمكن الكفر منها؛ لأنها نشأت وترعرعت في قوم كافرين، من ابتدائية.

﴿قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾: جاحدين بوجود الله تعالى، أيْ: غير مؤمنين بالله تعالى.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾: طلب منها أو سُئلت أن تدخل الصّرح، الصّرح: القصر العظيم وقد كان له مدخل أو بهو كبير مصنوع من قوارير، أيْ: زجاج.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿رَأَتْهُ﴾: رأت المدخل القصر أو بهو القصر.

﴿حَسِبَتْهُ﴾: من حسب وهو الظّن الرّاجح يقوم على الحساب الحسي والقلبي والنّظر والتّجربة وحسبته: اعتقدت.

﴿لُجَّةً﴾: مجمع للماء في مدخل القصر، وكان أرضه مصنوعة من زجاج شفاف وأجري تحته الماء وفيه أسماك وأمواج المياه، فمن يراه لأول مرة يحسبه لجة. من لجة البحر؛ أي: تردد أمواجه وعودتها إلى الاصطدام بالشاطئ أو بالصخر المرة بعد الأخرى بلا انقطاع.

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾: لتخوض في اللجة.

عندها ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾: قال: سليمان لها: إنّه مصنوع من الزجاج.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: قالت: بلقيس رب إنّي للتوكيد، ظلمت نفسي بالكفر أو بعبادة الشّمس من دونك.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾: ولم تقل: وأسلمت لسليمان، وإنما أسلمت مع سليمان، أيْ: أنا وهو كلانا عبدٌ لله سبحانه رب العالمين، ولو قالت أسلمت لسليمان تعني أنها أشركت بالله.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

سورة النّمل [الآيات ٤٥ - ٥٥]

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من سورة المؤمنون للبيان.

﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة الأعراف للبيان.

﴿أَنِ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحده ولا تشركون به شيئاً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا الفجائية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فريق مؤمن وفريق كافر، يختصمون لم يبيِّن نوع الخصومة في هذه الآية، ولكن بيَّنها في سورة الأعراف الآية (٧٥-٧٦): ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

ولم يقل: فريقان يختصمان: لأن كلّ فريق يشمل عدد من الأعضاء وعند الاختصام والمحاربة الكلّ يشترك، وهذه الخصومة في الدّنيا بين الفريق المؤمن

والكافر أمّا في الآخرة فتتحول إلى خصومة بين الكافرين أنفسهم، الأتباع والمتبوعين أو القادة والأتباع.

[٤٦] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: نبيهم صالح، يا قوم: يا النّداء يا قوم: متوددا إليهم.

﴿لِمَ﴾: أداة استفهام إنكاري، ما الاستفهامية، حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها، وهو اللام.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: حين قالوا: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٧٧]، قال: يا قوم لم تستعجلون بالسّيئة: بالعذاب، والسّيئة: تعني هنا كلّ ما يسيء النّفس ومنها العذاب والبلاء والعقوبة، والضّرر، قبل الحسنة: لغوياً: هي كلّ ما يستحسنه الإنسان من صحة وغنى وخير في الدّنيا وفي الآخرة الجنة والرّضوان، شرعاً: هو كلّ ما يستحسنه الشّرع ويتمثل بطاعة الله وتجنب نواهيه من قول أو فعل يورث ثواباً.

تستعجلون: بصيغة فعل المضارع ليدل على تكرار استعجالهم فهم لم يستعجلوا مرة، بل مرات متكرِّرة.

﴿لَوْلَا﴾: أداة طلب وحضٍّ وحثٍّ.

﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: الاستغفار يسبق التّوبة، أيْ: لِمَ لا تطلبون المغفرة من ربكم بدلاً من استعجالكم بالعذاب.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء آية (٨) للبيان.

[٤٧] ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾:

﴿ قَالُوا ﴾: أي: الّذين استكبروا وكفروا من قوم ثمود قالوا لصالح.

﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾: اطيرنا: من التّطير وهو التّشاؤم ـ مأخوذ من الطّير فقد كان الواحد في زمن الجاهلية إذا أراد أن يسافر أو يفعل شيئاً يُمسك بالطّائر، ثمّ يدعه يطير فإن طار عن يمين الّذي أرسله تفاءل، وقام بما ينوي أو سافر وإن طار من ناحية الشّمال تشاءم وامتنع عن القيام بما ينويه.

﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: أن تشاءمنا بك وبمن اتبعك؛ لأنّه أصابهم القحط والجوع، وفيها تضعيف وتنكير يفيد المبالغة والمبالغة في اطيرنا أشد وأقوىٰ من تطيرنا بك.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ والآية (١٨) من سورة يس ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ نجد التّشاؤم أشد وأقوىٰ في قوم صالح مما دعاهم إلىٰ التّهديد بقتل صالح وأهله مقارنة بالتّهديد والإنذار في آية يس. ارجع إلىٰ آية يس (١٨) للبيان.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾: أي: سبب شؤمكم وما يصيبكم من الشّر والبأساء هو قدر من الله تعالىٰ وقضائه كتبه عليكم لابتلائكم، وليس تطير كما تزعمون، وما يصيبكم وينالكم هو بما قدّمت أيديكم وسوء أعمالكم.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي، أيْ: ما يصيبكم هو فتنة وليس له علاقة بالتّطير، تفتنون بالشّر والخير لتكون عليكم حُجَّة ولينظر هل تتوبون أم تصرون علىٰ ما تفعلون.

[٤٨] ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾:

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾: مدينة الحجر.

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: الرّهط جماعة عددها من (٣-١٠) أفراد بينهم شيء من القرابة أو عبارة عن تسعة عشائر ولكلّ عشيرة زعيم، إذن في المدينة تسعة رجال كرهط، وهناك من قال: كان في المدينة تسعة عشائر أو قبائل أو أسراً. وقيل: كان زعيمهم قدار بن سالف (عاقر النّاقة).

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: عمل هؤلاء الرّهط الفساد في الأرض بالقتل وإهلاك الحرث والنّسل والكفر والمعاصي وقطع الطّريق ونشر الرّعب والخوف، يفسدون: بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار.

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: لا النّافية، لا يصلحون: تعني يفسدون فلماذا ذكر ذلك؟ أيْ: لا يُصلحون؛ لأنّ الإنسان قد يفسد في شيء ويصلح في آخر مثل الّذي يخلط عملاً سيئاً وآخر صالحاً، فهؤلاء التّسعة رهط كانوا أهل فساد دائم في الأرض، ولا يقومون بأيِّ عمل فيه إصلاح.

[٤٩] ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: تسعة رهط.

﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أيْ: أقسموا بالله، الباء: باء القسم كلّ واحد أقسم للآخر؛ أي: ابتدأ بالقول أحدهم قائلاً لهم تقاسموا وهو يريد المشاركة معهم في القسم، ودل على ذلك قوله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ فلما توافقوا على الأمر فصار الجميع في حكم القائل. انظر إلى هؤلاء المفسدون في الأرض يقسمون بالله سبحانه ليقتلن نبيهم (صالح) ويظنون أنّ الله سبحانه غافلاً عما يعملون ولن يقيَه شرهم.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾: اللام لام التّوكيد، لنبيتنه: لنقتلنَّه وأهله وقت البيتوتة،

أيْ: في الليل أو لنقتلنَّه بغتة أو نباغتنَّه بياتاً، وكذلك نقتل أهله في نفس الزّمن، فهم لم يكفيهم أن عقروا الناقة بل تمادوا في غيهم وفسادهم ويريدوا قتل صالح عليه السلام وأهل بيته.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري، أيْ: بعد قتله في الصّباح.

﴿لَنَقُولَنَّ﴾: اللام لام التّوكيد، والنّون لزيادة التّوكيد.

﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: لولي دم صالح (أقربائه) من الذين يطالبون القصاص أو الدية.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾: ما النّافية، شهدنا: ما علمنا من قتل أهله فكيف نعلم من قتل صالح، ولم يقولوا: ما شهدنا مهلكه، ما شهدنا مهلك أهله؛ لكي يبعدوا الشّبهات عنهم، فإذا لم نشهد مهلك أهله من باب أولىٰ ما شهدنا مهلكه (مقتله) ولا نعرف شيئاً عن قتله.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: اللام للتوكيد، لصادقون: لأنّهم يعلمون أنّ أوليائه وأتباعه لن يصدقوا ما سيقال لهم بشأن قتله وقتل أهله، وسيقولون لهم: وإنا لصادقون فيما نخبركم به، وهم يعلمون في أنفسهم أنّهم كاذبون، ونسوا أنّ الله معهم إذ يبيّتون ما لا يرضىٰ من القول ولن يترك رسوله يقتل.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: المكر مأخوذ من الشّجر الكثيف الأغصان الملتف علىٰ بعضه فلا يستطيع أن تميز بعضاً عن بعض كلها مستترة، فالمكر هو التّدبير الخفي لإلحاق الضّرر بالخصم من دون أن يعلم ويدلُّ علىٰ ضعف من يمكر بالآخرين.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾: أيْ: دبروا بالخفاء لقتل نبيهم صالح وأهله، وذلك بعد

أن عقروا النّاقة وهددهم صالح بعذاب الله، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: أي: انتقمنا منهم بنصر نبينا صالح والّذين آمنوا معه، والله سبحانه وتعالىٰ القوي العزيز ليس بحاجة إلىٰ المكر وليس من صفاته المكر، وإنما ذكر ذلك للمشاكلة في اللفظ فهو قادر علىٰ أن يهلكهم ويهلك من في الأرض جميعاً.

فهم لم يكتفوا بعقر النّاقة ومكروا مكراً علىٰ قتل صالح وأهله؛ لأنّهم بعد أن عقروا النّاقة وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين حين أصابهم الجنون وعمىٰ البصيرة عندها اجتمعوا في تلك الليلة ودبروا ذلك المكر لقتل صالح وظنوا أنّهم إذا قتلوا صالحاً سوف ينجوا من عذاب الله.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وهم: الواو حالية، هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، لا يشعرون: أنّا دبرنا لهم أن نأخذهم بالصّيحة (نهلكهم) كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:٦٧].

[٥١] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَانظُرْ﴾: الفاء للتوكيد، انظر نظرة تأمل وتفكر بعقل وبصيرة، وليس نظرة بالعين؛ لأنّ الهلكىٰ ليس أمام النّاظر، والخطاب موجّه إلىٰ رسول الله ﷺ وكلّ مؤمن ومؤمنة كيف كان عاقبة مكرهم هل تحقق مكرهم أم كان وبالاً عليهم.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام وتعجب كيف كانت نهاية ذلك المكر.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: إذا ذكر العاقبة وقال: كان عاقبة بدلاً من: كانت عاقبة، تدل علىٰ العذاب وإذا أنث العاقبة تدل علىٰ الجنة.

﴿مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾: أنّا: للتوكيد، دمرناهم: من التّدمير من دون سابقة إنذار والدّمار يشمل الإفراد والحيوان والدّيار وما يملكون.

﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾: التّسعة رهط وقومهم أجمعين، أجمعين للتوكيد أيْ: لم ينجو منهم أحداً أبداً. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١٦) للبيان.

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَتِلْكَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية ليست مسكونة خراباً تهدَّمت جدرانها وخرَّت سقوفها. ارجع إلىٰ سورة النّور آية (٢٧) لبيان معنىٰ البيوت.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: الباء باء السّببية أو البدلية أو التّعليلية، ظلموا: أيْ: كفروا وأشركوا وأفسدوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ الصيحة والدّمار والخراب، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

﴿لَآيَةً﴾: اللام للتوكيد. لآية: عبرة وموعظة ودلالة.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام في لقوم لام الاختصاص، قوم يعلمون: يعلمون تعني: فكروا فيما حدث لقوم صالح وتدبروا لأصبحوا يعلمون ما هي نهاية كلّ ظالم ومشرك يخرج عن منهج الله عَزَّ وَجَلَّ.

[٥٣] ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَأَنْجَيْنَا﴾: تدل علىٰ سرعة النّجاة وبقوة، ولم يقل: ونجينا الّتي تدل علىٰ طول زمن النّجاة.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أيْ: صالحاً والّذين آمنوا معه، وكلمة الّذين تدل علىٰ

كثـرة النّاجين. قيل: كان عددهـم (٤٠٠٠) أربعة آلاف، آمنـوا بالله وبما أنزل وبرسـله. أنجيناهم من الصّيحة (الرجفة)، وأما الذين كفروا ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨].

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: كانوا يطيعون أوامر الله ويتجنبون نواهيه ويتقون عذاب الله، وذلك بطاعة الله ورسوله، ويتقون: جاءت بصيغة المضارع الّتي تدل على التّجدد والتّكرار؛ لأنّ التّقوى تتجدّد وتتكرّر، أما كلمة آمنوا فجاءت بصيغة الماضي؛ لأنّ الفرد متى آمن لا يرجع عن إيمانه، ومما يلفت الانتباه أنّه سـبحانه لم يذكر شيئاً عن النّاقة في هذه الآيات.

[٥٤] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَلُوطًا﴾: أيْ: وأرسلنا لوطاً إلى قومه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: إذ: واذكر إذ قال لقومه أو حين قال.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أتأتون: أتفعلون، أو تقومون بالفاحشـة: تعريفها: كل ذنب قبيح أو معصية قبيحة مثل: إتيان الرجال شـهوة من دون النّساء، الهمزة همزة استفهام إنكاري توبيخي، أتأتون الذّكور دون الإناث.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أيْ: يُبصر بعضكم بعضـاً القيام بها، أو أنتم تعلمون أنّها فاحشـة، تبصرون بمعنى النّظر كانوا لا يسـترون حال فعل الفاحشـة عتواً وتمرُّداً، وبلا حياء وخجل.

[٥٥] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾:

﴿أَئِنَّكُمْ﴾: زيـادة الهمزة للدلالة على الإنكار والتّوبيخ ووصفهم بالجهل وهو أشد من الإسراف.

﴿لَتَأْتُونَ﴾: اللام للتوكيد والنّون لزيادة التّوكيد. تأتون: تفعلون المنكر.

﴿ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾:

﴿بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: عاقبة فعلكم، عاقبة عصيانكم، وأنكم تجاوزتم حدود الله وماذا سيحل بكم والجهل معناه السّفه أيضاً أو تفعلوا فعل الجاهلين أيْ: أنتم قوم سفهاء. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٦٣) للمزيد في بيان معنى الجهل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨١) في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وفي سورة الحجر آية (٥٨) وصفهم بالقوم المجرمين؛ أي: هم اتصفوا بالجهل والإسراف معاً والإجرام؛ أي: بالجهل والحمق والإجرام بأن الله سبحانه جعل لهم من أنفسهم أزواجاً.

❖ ❖ ❖

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

سورة النّمل [الآيات ٥٦ - ٦٣]

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أيْ: بسرعة، ما: النّافية، الفاء تدل على أنّ الجواب جاء مباشرة.

﴿كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن﴾: إلا: أداة حصر، أن: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: آل لوط: الأهل: الزوجة والأولاد، ومن معانيه: الأتباع، أما قوم لوط: أوسع معنىً أوسع من القبيلة والآل من قريتكم: سدوم العاصمة وما حولها من القرىٰ الأربع، والّتي سُمِّيت المؤتفكات والقرية تمثل القرىٰ الأخرىٰ كلها لها نفس الطّابع.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿أُنَاسٌ﴾: مجموعة من النّاس، أيْ: آل لوط.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: قالوا ذلك سخرية واستهزاء من آل لوط يتطهرون من القيام بفعل الفاحشة، وأعمال المنكر الأخرىٰ، ويدّعون أو يزعمون أنّهم أطهار.

وإذا قارنا هذه الآية بآية الأعراف (٨٢) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ نجد الفرق وجود الفاء في مطلع الآية فما كان، ويدل ذلك علىٰ وجود انقسام في قوم لوط؛ قسم يريد أن يخرج آل لوط الآن مباشرة، وقسم لا يتعجل بإخراجهم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٢) لمزيد من البيان والسبب.

[٥٧] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾:

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، أنجيناه: بسرعة وبقوة ولو قال: ونجيناه تدل على طول زمن النّجاة.

﴿ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾: انتبه: وقد بيّنت سورة الذّاريات آية (٣٥-٣٦) بعضاً من ذلك بقوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وهو بيت لوط (بيت واحد) فقط.

﴿ إِلَّا ﴾: أداة استثناء.

﴿ ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾: امرأة لوط.

﴿ قَدَّرْنَٰهَا ﴾: أيْ: حكمنا عليها أن تكون من الهالكين. وهذا التقدير هي التي فرضته بما اختارت بعملها أن لا تطع الله تعالى، ولوط عليه السلام، وأما قوله تعالى: ﴿ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر:٦٠]: فهي تدل على شدة العقوبة لها، والتأكيد على ذلك، وأما قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف:٨٣]: جاءت في سياق الخبر أو القصة.

﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: جمع غابر: أي: الباقي، أي: الباقين في العذاب، وكما قال في سورة التّحريم آية (١٠): ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾. فخانتاهما: أي: في الدين؛ أي: الكفر والنفاق، وليس في العِرض.

وما دامت بقيت في قريتها فهي من المهلكين، مع قومها، قيل: كانت مشاركة في تلك الجريمة لذلك أصابها ما أصاب قومها.

[٥٨] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾: بعد أن جعل عاليها سافلها كما قال تعالى في سورة الحجر الآية (٧٤): ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾.

﴿مَّطَرًا﴾: جاءت بصيغة النّكرة أو الإبهام للتهويل وبين نوع المطر في سورة هود الآية (٨٢) فقال: ﴿مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.

﴿عَلَيْهِم﴾: قدَّم عليهم للحصر والقصر، وفي سورة هود الآية (٨٢) قال: عليها على القرية، أو على المؤتفكات فالحجارة أمطرت على القرية بما فيها أهلها ولم يستثنِ أحد، ومن خصائص القرآن أن يستعمل كلمة المطر في سياق الانتقام والعذاب والغيث في سياق الرّحمة.

وقوله: وأمطرنا مشتقة من الفعل الرّباعي أمطر: أيْ: أصابهم بالمطر، أيْ: بالعذاب، ولو قال: ومطروا مشتقة من الفعل الثّلاثي مطر لا تدل على العذاب.

﴿مَّطَرًا﴾: للتوكيد.

﴿فَسَآءَ﴾: الفاء للتوكيد، ساء من أفعال الذّم والتّقبيح.

﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: المنذَرين جمع مُنذَر وأنذروا دائماً وباستمرار، والإنذار: الإعلام والتّحذير والتّخويف، بأن يتجنَّبوا فعل الفاحشة.

وفي سورة هود آية (٨٢-٨٣) وصف هذا المطر بالقول: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ السّجيل المنضود: السّجيل، قيل: طين متحجِّر شديد الصّلابة والتّفسير العلمي يخبرنا أنّ هذه الحجارة قد تكون أحد النّجوم الّتي انفجرت، وتسمَّى النيازك. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لمزيد من البيان.

منضود: متتابع في النّزول من النّضد وهو وضع الشّيء بعضه فوق بعض.

مسومة عند ربك: من سوم الشّيء علمه بعلامة من السّؤمة العلامة أو السيماء. ارجع إلى سورة هود آية (٨٢-٨٣) لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: المخاطب هو رسول الله ﷺ، وبالتالي أمته.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جاءت بعد ذكر قصص الّذين كفروا وأفسدوا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وطهر الكون منهم، فهذه نعمة تستحق الحمد والشّكر لأنّه أراح العباد والبلاد من شرهم وإهلاك وتدمير المكذبين والمفسدين يُعد عبرة وآية وعظة لغيرهم كي يتجنبوا ما فعله غيرهم، فينجوا من العذاب ومن سخط الله تعالىٰ، وهذه نعمة أخرىٰ تستحق الحمد. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (٢) لمعرفة معنىٰ الحمد.

فالحمد لله تعني: الّذي أهلك المفسدين أولاً، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥] ونصر رسله وأوليائه ثانياً.

﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾: أيْ: سلام علىٰ رسله وأنبيائه الكرام، وتشمل المؤمنين الّذين آمنوا بهم وهم خير البرية. وسلام جاء بصيغة المرفوع ليكون سلام من الله سبحانه علىٰ عباده الذين اصطفىٰ دائماً وثابتاً لا يتغير.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾: سلام تحية كأن نقول: وعليهم السلام عند ذكر أسمائهم، وسلام جاءت بصيغة النكرة ليشمل سلام التحية والدعاء بالسلام من الآفات والمكروهات والأمراض وسلام أمن وطمأنينة، وفي الآية تعليم بأن نحمد الله تعالىٰ علىٰ جميع أفعاله ونسلم علىٰ عباده المصطفين الأخيار.

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: مناسبة ذكر هذا الجزء من الآية بعد ذكر قصة موسىٰ وفرعون وثمود ولوط وقصة سبأ أيضاً، وكيف أسلم قومها ونجوا من الهلاك، ثمّ يتبعها بالاستفهام.

﴿آللَّهُ خَيْرٌ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ وتقرير خير، أيْ: أفضل وأجل وأحسن.

﴿أَمَّا﴾: مكوّنة من أم + ما (أدغمت الميمان) أم المتصلة، ما المصدرية أو اسم الموصول بمعنىٰ الّذي.

﴿يُشْرِكُونَ﴾: باللـه تعالىٰ من الآلهة والأصنام سـواء كانوا أهل مكة أو غيرهم من المشـركين، أيْ: هل شركهم خير لهم أم عبادة الله الواحد القهار ولا بُدَّ من الإجابة، والقول الله خير وأجل سبحانه عما يشركون.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾:

بعد أن سأل سبحانه: أعبادته خير أم عبادة الأصنام. ثمّ يعدِّد سبحانه بعض الآيات الدّالة علىٰ عظمة خلقه ووحدانيته والّتي تدعو إلىٰ الإيمان به.

﴿أَمَّنْ﴾: مركبـة من أم + مـن، وأدغمت الميمان، أم: الهمزة للاسـتفهام والتّقرير أم المنقطعة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ارجـع إلىٰ سـورة فصلت الآيـة (٩-١٢) للبيان، وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسـورة الأعراف آية (٥٤)، والبقرة آية (٢٢، ٢٩) للبيان المفصل.

فأعظـم المخلوقات العرش، ثمّ يليه خلق السّـموات والأرض، ثمّ خلق الإنسان. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٧) للبيان.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: تشير هذه الآية إلىٰ دورة الماء حول الأرض ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (١٨).

﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾: الفاء تـدل علىٰ المباشـرة والتّعقيب، أنبتنـا بصيغة الجمع للتعظيم، ورغم أنّ البعض يشـارك في الحراثة والسّـقي والزّرع وغيرها، ولكن الإنبات الحقيقي هو من فعله فلا تتوهموا أنّكم من تقومون بالإنبات. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٥) وآية (٦٣) وسورة فصلت آية (٣٩) والأنعام آية (٩٩).

أنزل بصيغة الغائـب أنبتنا بصيغة المتكلم هذا الالتفـات من الغائب إلىٰ الحاضر يفيد التّوكيد ولفت الانتباه.

﴿بِهِۦ﴾: تعود على الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حدائق جمع حديقة، وسُمِّيت كذلك لأنّه يُحْدَق عليها، أيْ: محوطة بسور وذكر الحدائق ذات البهجة، ولم يذكر ما هو الضّروري أولاً مثل الزّرع والقمح والحبوب، وانتقل إلى ذكر الحدائق والثّمار والفواكه وهذه من الكماليات ومن يتكفل بالكماليات فلا شك أنّه يتكفل بالضّروريات أولاً، فلا داعي لذكرها.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾: ما النّافية، كان تشمل كلّ الأزمنة أن تعليلية، تنبتوا شجرها: ولكن بفضل الله ورحمته هو ينبتها، وهذا تأكيد لقوله: فأنبتنا.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: استفهام إنكاري يقصد به التّوبيخ والتّهكم أيْ: أإله مع الله سبحانه ساعده أو شاركه على صنع تلك الحدائق ذات البهجة وخلق السّموات والأرض.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، قوم يعدلون: قوم يميلون عمداً وينحرفون عن الحق إلى الباطل؛ لأنهم يعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]، فرغم علمهم بهذا يجعلون لله عديلاً؛ أي: يعدلون عن ربهم أيْ: يشركون به ويعبدون غيره.

[٦١] ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَمَّن﴾: ارجع إلى الآية (٦٠).

﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: الجعل يكون بعد الخلق، الخلق أولاً، ثمّ الجعل

ثانيـاً، جعل الأرض قـراراً، من قرَّ يقرُّ: أيْ: سـكن وثبت بحيـث لا تميد ولا تضطرب بأهلها رغم كونها تدور حول نفسـها (٣٠) كيلومتـراً بالثّانية، وتدور حول الشّـمس، وهذا القرار ناتج عن كتلة الحديد الضخمة الّتي تشكل (٩٠٪) مـن لب الكتلة الصلبة للأرض و(٩٪) من النيكل (١٪) من بقية العناصر، وكتلة الأرض تقدر بـ (٦) آلاف مليون مليون مليون طن، فلـولا ثقل هذه الكتلة لما استقرت الأرض ولترنَّحت حول محورها.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾: هنـاك رابطـة بين الجبال والأنهـار؛ لأن غالبية الأنهار تنبع من الجبال ونزول الماء من الجبال يؤدي إلىٰ شق هذه الأنهار. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٣٢) والرعد آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾: الجعل: يكون بعد الخلق فقد خلق الأرض أولاً، ثم جعل لها رواسي، وهي: الجبال الرّواسي وغيرها مما يثبت الأرض من الصفائح تحت البحار، وتسـمَّىٰ الصفائح القارية، فلا تضطـرب إلا أحياناً مما يؤدي إلىٰ الهـزات الأرضية، أو أحياناً البراكين، وكذلك قوىٰ الجاذبية. ارجع إلىٰ سـورة الأنبياء آية (٣١)، وسـورة النّحل آية (١٥) للبيان، ولمعرفة الفرق بين ألقي فيها رواسي، وجعل لها رواسي ومزيد من البيان.

﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًا﴾: بيـن البحـر العذب والبحـر المالح الأجـاج حاجزاً بحيث لا يختلـط ماؤهما رغم أنّه يظهر للعيـان أنّه يختلط، ارجع إلىٰ الآية (٥٣) من سورة الفرقان للبيان، وسورة فاطر آية (١٢) وسورة الرّحمن آية (١٩-٢٠).

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: للإضـراب الانتقالـي، لا يعلمون: كثيراً من هذه الحقائق العلمية من اسـتقرار الأرض رغم دورانها وتشكل الجبال والأنهار وبيـن البحرين حاجزاً الكثـرة لا يعلمون عظمة وقدرة اللـه تعالىٰ علىٰ الخلق

والجعل والقلة يعلمون، وهم العلماء والباحثين في علوم الفلك والجيولوجيا، والبحار وعلماء الطبيعة.

[٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿أَمَّن﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٠).

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾: تعريف المضطر: الّذي أصابه الكرب أو البأساء والضّراء، والّذي استنفد الأسباب وأخذ بها،فلم تُجْدِهِ فالمضطر يُجيبه الله سبحانه لا محالة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنىٰ حين أو الفجائية.

﴿دَعَاهُ﴾: طلب منه المساعدة والرّحمة أو تضرع إليه.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: مثل المرض والفقر والقحط أو العذاب، والسّوء ما يسوء إلىٰ النّفس أيْ: هو وحده الّذي يزيل أو يرفع السّوء.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٦٥) من سورة الأنعام للبيان.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٦٠) للبيان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: قليلاً ما تذكرون أنّه كشف عنكم الضّر والسّوء وكثيراً ما تنسون ذلك، ما: للتوكيد، تذكرون: ولم يقل: تتذكرون؛ لأنّ تذكر كشف السّوء والضّر لا يحتاج زمناً طويلاً فمن المفروض أن تذكروا ذلك حالاً؛ لأنّ الاضطرار قليلاً ما يحدث في حياتكم. وبهذا ذكر صفات المشركين بأنهم قوم يعدلون وبأن أكثرهم لا يعلمون وقليلاً ما يذكرون.

[٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَمَّن﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٦٠) للبيان.

﴿يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: ظلمات اللّيل وظلمات الصّحراء حين تنقطع بكم كلّ وسائل أو سبل الاتصال، ظلمات البحر قد تبين من الدراسات العلمية أن للبحر (١٠) ظلمات. ارجع إلىٰ سورة النور آية (٤٠) للبيان، وحين تعصف بكم الرّيح وتغشاكم الأمواج من كلّ مكان ولا أحد ينقذكم أو يستطيع الوصول إليكم أو حين تغوصون في البحار.

﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: تبشر بنزول المطر أو الغيث. ارجع إلىٰ الفرقان آية (٤٨).

﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾: أيْ: أغير الله يهديكم في ظلمات البر والبحر أو يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته.

﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: رغم أن الله يهديهم في ظلمات البر والبحر فهم بدلاً من شكره علىٰ نعمة الهداية يشركون به سبحانه تنزَّه وتقدَّس الله أن يكون له شريك أو ولي أو ولد فهو الواحد الأحد.

وقوله: تعالىٰ الله عما يشركون هي ردٌّ علىٰ كلّ الأسئلة الاستفهامية الثلاثة عشر الّتي ذكرت في الآيات (٦٠-٦٤)، وفي الآية (٦٤) يتحداهم ويقول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

❖❖❖

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

سورة النّمل [الآيات ٦٤ - ٧٦]

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿أَمَّن﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٦٠) للبيان.

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: هم لا ينكرون أنّ الله هو الخالق للسموات والأرض، والخالق لهم، كما ورد في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، فهم لا ينكرون بداية الخلق، ولكنّهم ينكرون البعث والنّشور بعد الموت، ومع أنّ إعادة الخلق أهون من بداية الخلق فالله سبحانه يبدأ الخلق ويعيده، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]. ويجب الانتباه إلى كلمة بدأ الخلق؛ أي: الخلق الأول؛ أي: النشأة الأولى [الواقعة:٦٢]، وكلمة يُبدؤ الخلق تدل على تجديد وخلق مستمر في كل عام أو فترة وفترة.

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من السّماء المطر، الشّمس كطاقة شمسية والرّياح تستعمل لتوليد الطّاقة والأرض بالنّبات والزّرع والبترول والغازات والمعادن الذّهب والفضة وغيرها مثل الحديد والنّحاس.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٦٠) للبيان.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: بعد أن نزه الله سبحانه ذاته عما

يشـــركون بعد ذكر الأدلة على وحدانيته وألزمهم بالحجـــة يطلب منهم أن يأتوا بالبرهـــان، والبرهان: هو الحجة الفاصلة، أو الدليل القاطع؛ إن كنتم صادقين أنّ لله شـــريك في الملك أو في الخلق أو التّدبير أو الهدايـــة أو الإجابة أو الإحياء والإماتة أو الرزق أو أيِّ شـــيء، إن شرطية تفيد الشّك أو القدرة على الإيتاء بأيِّ برهان أو دليل.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في أن لله شـــريكاً؛ أي: إنكـــم كاذبين حين تجعلون مع الله إلهاً آخر.

[٦٥] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

بعد أن بيَّن سبحانه بعض مظاهر قدرته الدّالة على وحدانيته وأنّه الإله الحق الّذي يجب أن يطاع ويعبد اتبع ذلك بأنّه عالم الغيب لوحده وعنده علم السّاعة.

﴿قُل﴾: يا محمّد ﷺ لهم.

﴿لَّا﴾: النّافية لكل الأزمنة.

﴿يَعْلَمُ مَن﴾: من للعاقل واستغراقية تشمل كلّ عاقل في السّموات والأرض.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: في ظرفية تشمل السّموات السّبع والأرض من في السّموات: الملائكة، من في الأرض: الإنس والجن.

﴿ٱلْغَيْبَ﴾: كلّ ما غاب عن أعين النّاس وعن إدراك وإحساس النّاس.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، الله سبحانه وتعالى.

لا يعلم من في السّموات والأرض الغيب إلا الله، هذا يسمّى غيباً مطلقاً لا يعلمـــه إلا الله وحده، وهو غيب حقيقي اختص به الله لوحده، وهناك من الغيب

ما يطلعه أو يظهره الله سبحانه لرسول من رسله، كقوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾: أيْ: كفار مكة وغيرهم من منكري البعث.

﴿أَيَّانَ﴾: ظرف زمان، بمعنىٰ متىٰ.

﴿يُبْعَثُونَ﴾: يخرجون من القبور للحساب والجزاء.

[٦٦] ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أصل الإدراك تدارك سكنت التّاء وأدغمت في الدّال.

والتّدارك: الاضمحلال والفناء وأصله التتابع والتّلاحق، يقال: تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك:

فيكون **المعنىٰ الأوّل**: اضمحلَّ وتلاشىٰ شيئاً فشيئاً علم المشركين بالآخرة شيئاً، أو الّذين كفروا حتّىٰ كأنّهم لم يعودوا يعلمون شيئاً عن الآخرة. أو لا يريدون سماع أي شيء عن الآخرة؛ لأنّهم لا يؤمنون بها أو لا يريدون الكلام عنها والاستعداد لها فلذلك تلاشىٰ واضمحل علمهم بالآخرة.

المعنىٰ الثّاني: توالىٰ وتتابع الحديث عن الآخرة عند كلّ الرّسل فما أحد

منهـــم وإلا ودعا إلىٰ الإيمان بالآخرة، وتتابـــع التّذكير بها، ومع ذلك لازالوا في شك من قيامها وحدوثها.

أو عميت أبصارهم وبصائرهم عـــن دلائل علم القيامة الواضحة والآيات الدّالة علىٰ قدرة الله علىٰ البعث.

المعنـــىٰ الثّالث: عندما يـــرون الآخرة ويرون يوم القيامـــة يتكامل علمهم بالآخرة، وعندها يعلمون علماً كاملاً ما كانوا يجهلونه في الدّنيا وما كانوا يشكون فيه ولا يصدقونه.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾: في شك من حدوث الآخرة وقيام السّاعة والشّك يعني تساوي نسبة الإثبات ونسبة النّفي.

﴿بَلْ هُم﴾: هم للتوكيد.

﴿مِّنْهَا عَمُونَ﴾: أيْ: لا يـــرون علاماتهـــا ودلائلهـــا وأمارتهـــا لاختلال بصيرتهم، عمون: جمع أعمىٰ، أيْ: هو أعمىٰ القلب والبصيرة عن الآخرة.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منكرو البعث من الّذين كفروا.

﴿أَإِذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والهمزة الثّانية همزة إذا الشرطية.

﴿كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾: بعد الموت.

﴿أَئِنَّا﴾: همزة استفهام إنكاري وتكرار الهمزة يفيد في المبالغة والإنكار.

﴿لَمُخْرَجُونَ﴾: اللام للتوكيد والنّفي، أيْ: أنخرج من قبورنا أحياء بعد أن تحولت أجسادنا تراباً.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿وُعِدْنَا هَٰذَا﴾: (الإحياء والبعث) والخروج من القبور.

﴿نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾: من قبل أن يعدنا محمّد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿إِنْ هَٰذَا﴾: إن نافية بمعنىٰ ما، وأقوىٰ في النّفي من ما، أيْ: ما هذا الوعد بالبعث.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيب الأولين جمع أسطورة أو ما سطَّره الأقدمون من خرافات وأحاديث.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية مع الآية (٨٢-٨٣) من سورة المؤمنون. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون للبيان.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمّد لهؤلاء الّذين كفروا وأنكروا البعث ويوم القيامة والدّار الآخرة.

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ولم يقل: سيروا علىٰ الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوي

المحيط بالأرض يعتبر تابع للأرض، أيْ: سيروا في الأرض؛ أي: ديار ثمود (مدائن صالح) ولوط (المؤتفكات) وعاد وفرعون.

﴿فَٱنظُرُواْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، انظروا بأعينكم وانظروا نظرة قلبية فكرية نظرة عبرة.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتّعجب.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: مصير ونهاية المجرمين، إذ ذكَّر العاقبة أي: استعمل كان بدلاً من كانت فالعاقبة تعني العذاب، وإذا أنث العاقبة كانت عاقبة تدل على الجنة (من خصائص القرآن).

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، والجرم: الذنب القبيح، والجرم أصله القطع، والمجرم: هو من قطع كل الصلات مع الله أمثال الكافرين المشركين والمنكرين للبعث والمستهزئين بآيات الله وبرسله، أيْ: كيف كان هلاكهم وديارهم الخاوية على عروشها والبئر المعطلة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١) في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: نجد الاختلاف في كلمة (ثم انظروا)، ثم: تفيد التراخي في الزمن والتعقيب، والفاء: تفيد المباشرة والتعقيب، والمكذبين والمجرمين؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (١١) للبيان.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: لا النّاهية، تحزن عليهم: لأنّهم لم يسلموا أو يؤمنوا.

تحزن من الحَزن: بفتح الحاء وهو الألم النّفسي أو الغم الشّديد الدّائم

الّذي لا ينتهي حتّىٰ الموت، أما الحُزن: بضم الحاء هو الألم النّفسي أو الغم الشّديد المؤقت.

﴿وَلَاتَكُن﴾: تكرار لا النّاهية للتوكيد.

﴿فِيضَيْقٍ﴾: في حرج ضيق بفتح الضّاد تعني في الصّدر والمكان والضِّيق بكسر الضّاد تدل علىٰ سوء الخلق والبخل.

﴿مِّمَّايَمْكُرُونَ﴾: مما: من + ما، من: ابتدائية، ما: مصدرية أو اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وأوسع شمولاً من الذي.

يمكرون من المكر وهو التّدبير الخفي لإلحاق الضّرر بالغير من دون أن يعلم ويدل علىٰ أنّهم يمكرون برسول صلىٰ الله عليه وسلم، كما بيَّن تعالىٰ حين قال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

لنقارن هذه الآية ﴿وَلَاتَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ مع الآية (١٢٧) من سورة النّحل ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾.

في سورة النّحل السّياق في مقتل الحمزة في معركة أحد، وكيف مثَّلوا بجثته وحلف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لينتقم منهم وليمثِّلنَّ بـ(٧٠) من المشركين فجاء الأمر الإلهي بالصّبر والنّهي أن لا يكون في صدره ضيق مهما كان ولو أقل الضيق فحذف النّون من تكن فقال: فلا تك.

أمّا في سورة النّمل السّياق في الحديث عن إنكار البعث من الكفرة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ فجاء النّهي بقوله: ﴿وَلَاتَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ فالسّياق مختلف وأقل شدة وضيق.

ارجع إلى سورة النّحل آية (١٢٧) للمقارنة والبيان.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: المكذبين ومنكرو البعث والحساب ويوم القيامة، وبصيغة المضارع لتدل على تكرار قولهم وأنّه يتجدَّد ويتكرَّر.

﴿مَتَىٰ﴾: للاستفهام الإنكاري والاستبعاد، والمخاطب هو رسول الله ﷺ، أو الذين آمنوا.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يدل على القرب.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾: أي: العذاب: متى هذا العذاب يقولون ذلك استهزاءً وسخرية وتهكم، أو متى يوم القيامة أو البعث، وسمَّوه وعداً: سموا الأخبار بالبعث ويوم القيامة أو العذاب وعداً مع أنّه وعيد لهم وليس وعد، والوعد يستعمل للخير إذا أطلق ولم يقيد، وأما إذا قيد قد يطلق على الخير والشر، والوعيد يستعمل للشر عادة.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في أقوالكم أو زعمكم أنّ هناك يومَ بعث وقيامة وحساب.

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد صلى الله عليه وسلم.

﴿عَسَىٰٓ﴾: من أفعال الرّجاء، أيْ: ما بعدها يكون مرجوَّ الحصول.

﴿أَن يَكُونَ﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل.

﴿رَدِفَ﴾: من الرّديف الّذي يركب وراء الفارس وتعني اقترب ودنا.

﴿لَكُم﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أيْ: عسى أن يكون ما تستعجلون به من العذاب قد دنا واقترب أو يحل بكم قريباً وحصل لهم ذلك في بدر مثلاً.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَذُو فَضْلٍ﴾: اللام للتوكيد، ذو فضل: صاحب فضل وكلمة ذو أشرف من كلمة صاحب وأبلغ في الثّناء والمعنى ذو فضل: الفضل هو الزّيادة على ما يستحقون.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: فهو سبحانه يرزقهم ويسبغ عليهم نعمه، وذو فضل عليهم لأنّه رغم كفرهم ومعاصيهم يمهلهم لعلهم يتوبون إليه ويرجعون إلى الصّواب ويمحو عنهم سيئاتهم وذنوبهم.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك يفيد التّوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يشكرون الله المنعم على إحسانه والقليل من النّاس من يشكره. ارجع إلى سورة الأعراف الآية (١٠) لمزيد من البيان.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾: إنّ + اللام للتوكيد.

﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه صدورهم وما يسرون من العداوة والحقد والمكر لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصحابته.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من الأقوال والأفعال من الجهر وتكرار ما للتوكيد، وفصل كلاً منهما علىٰ حدة أو معاً جميعاً.

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: ما النّافية.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل كلّ غائبة.

﴿غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: الغائبة: اسم للشيء الغائب؛ أي: ما غاب، وألحقت به التاء للمبالغة في الإخفاء؛ أيْ: جميع ما أخفىٰ الله تعالىٰ عن خلقه وغاب عن أعينهم، في السّماء أو في الأرض؛ في: ظرفية، السّماء: هي كلّ ما علاك وتشمل السّموات السّبع وما بينهما كظرف ومظروف، والأرض: ما يغيب فيها من كنوز ومعادن وبترول ومن جمادات وحيوانات وحشرات وغيرها كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦].

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي كِتَابٍ﴾: في ظرفية، كتاب: اللوح المحفوظ، أيْ: مدوَّن في اللوح المحفوظ.

﴿مُبِينٍ﴾: الظّاهر البيِّن لمن ينظر إليه من الملائكة ولا يحتاج إلىٰ تبيان وشرح.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى القرآن القريب من كلّ واحد.

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: سُمِّي القرآن؛ لأنّه مقروءٌ. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة للبيان.

﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: بني يعقوب، يقص: يُحدث أو يُخبر أو يتلو عليهم.

﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيه: ظرفية، يختلفون: في شأن عيسى عليه السلام وما أحل لهم وحرم عليهم، وفي البعث وفي السّبت وفي كثير من الأمور الشّرعية الّتي نزلت في التّوراة، يختلفون: بصيغة المضارع، أيْ: لا زالوا يختلفون فيها إلى يومنا هذا.

❖ ❖ ❖

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

ربع الحزب ٣٩

سورة النّمل [الآيات ٧٧ - ٨٨]

[٧٧] ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: للتوكيد، أي: القرآن الكريم.

﴿لَهُدًى﴾: اللام للتوكيد، هدىً: أيْ: هو الهدىٰ نفسه أو مصدر الهداية، الهدىٰ الموصل إلىٰ الغاية في الدّنيا والآخرة وهي رضوان الله وجنة الخلد.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: الرّحمة هنا تعني الوقاية من الوقوع في المعاصي والذّنوب فهو الرّحمة نفسها أو منبع الرّحمة، والرحمة هي جلب ما يسر ودفع ما يضر، وتعني الإنعام علىٰ العبد.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، للمؤمنين خاصة المؤمنين الّذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة ومستقرة في القلب؛ لأنّهم هم الّذين ينتفعون به ويهتدون به.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يَقْضِى بَيْنَهُم﴾: بين بني إسرائيل.

﴿بِحُكْمِهِۦ﴾: بعدله وبحكمة فلا يحدث حيف أو جور.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أي: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع ولا يرد قضاؤه أو حكمه.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: كثير العلم صيغة مبالغة بمن هو على الحق ومن هو على الباطل، عليم: بمن يقضي له وبمن يقضي عليه، وعليم بما اختلفوا فيه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، توكل على الله: فوض أمرك، أيْ: رُدَّه إلى الله إلى من يملك تدبير الأمور، وهو كافيك والقادر على أن ينفع ويضر راجياً عونه وتوفيقه للوصول إلى الغاية، ولا تبال بمعاداتهم أو عدم إيمانهم بعد أن تقدِّمَ الأسباب المطلوبة منك بالتّبليغ والدّعوة إلى الله. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنى التوكل.

﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: الحق: الدّين الحق هو الإسلام أو على الصّراط المستقيم الموصل للغاية، المبين: البين الواضح لكلّ فرد ولا يحتاج إلى أدلة أو براهين وأل التّعريف في الحق المبين تدل على الكمال.

[٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾:

ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وتوكل على الله ولا تبال بمعاداة أعداء الدّين لأنّك:

﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أيْ: إنك لن تستطيع أن تسمع هؤلاء الموتى؛ أي: (الكفار) وشبهوا بالموتى وهم أحياء، وشبههم بالصّم؛ لأنّ آذانهم لا تعي وتنتفع بما تسمع، وشبههم بالعمي؛ لأنّهم فقدوا البصيرة وليس البصر فهم عطلوا كلّ حواسهم فهم لا يسمعون ولا يرون ولم يعد ينفعهم نصحك لهم أو تذكيرك أو إنذارك.

﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: جملة تعتبر توكيد لحال صممهم، فهم لا يكتفوا بتعطيل حواسهم لكي لا يسمعونك ويرونك بل يحاولوا أن يولوا مدبرين، أي: الفرار والهرب منك؛ لأنّهم لا يريدون الجلوس إليك خوفاً من أن تنذرهم بشيء يقضُّ مضاجعهم، ولذلك تراهم يبتعدون عنك ويولوا على أدبارهم خائبين حين يرونك.

[٨١] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾:

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، أنت بهادي: الباء للإلصاق والتّوكيد، هادي العمي: منقذ أو صارف العمى عنهم، والعُمي: جمع أعمى: عُمي البصيرة وليس عُمي البصر. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٢) في سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: نجد أن المقصود بالهداية في آية الشورى هداية عامة؛ أي: ترشد أو تدل الناس على الإسلام فقط ولكن الهداية الخاصة خاصة بالله تعالى؛ ارجع إلى سورة الشورى (٥٢) للبيان.

﴿عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾: ولم يقل: عن ضلالهم، الضّلال: اسم جنس يشمل كلّ الضّلالات وضلالتهم تعني: ضلالة واحدة، فأنت لا تستطيع أن تصرف عمي البصيرة ولا حتّى عن ضلالة واحدة إلا أن يشاء الله تعالى.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾: إن: نافية، أيْ: ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: إلا من يصدق بآياتنا، والسّؤال إذا كان هو يؤمن بآياتنا مسبقاً أو سابقاً فما فائدة سماعه مرة أخرى، الجواب: ليزداد إيماناً مع إيمانه ويستمر على استقامته.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثّبوت على إسلامهم، مسلمون: مخلصون موحّدون، مسلمون إسلام الوجه.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: القول: العذاب أو يوم القيامة على: تفيد العلو والمشقة وكلمة وقع تدل على السقوط فجأة، أيْ: مجيء العذاب فجأة كأنّه يخر عليهم من فوقهم.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: دابة سماها البعض الجساسة، وقيل: هي فصيل ناقة صالح عليه السلام تخرج من المسجد الحرام، وتعتبر من أمارات السّاعة الكبرى.

﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: تكلمُهم فتقول: إنّ النّاس كانوا بآياتنا: لا يوقنون، أيْ: أكثر النّاس لا يؤمنون بالآيات الدّالة على مجيء السّاعة والبعث والقيامة أو لا يوقنون بخروج الدابة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لبيان معنى يوقنون.

وقيل: تكلمُهُم من الكلم وهو الجرح وقيل: هو الوسم بالخاتم، كما روى الإمام أحمد والبخاري في الكبير تخاطب النّاس خلاف ما عهدوه، قيل: تجول في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، وتسم كلّ إنسان على جبينه فتميز الكافر من المؤمن.

[٨٣] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أيْ: يوم القيامة ونكرة للتهويل والتّعظيم.

﴿نَحْشُرُ﴾: نجمع، الحشر السّوق + الجمع.

﴿مِن﴾: ابتدائية استغراقية تستغرق كلّ أمة.

﴿كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: الفوج الجماعة الكثيرة، فترتيب الجماعات من القلة إلى الكثرة كما يلي: نفر، رهط، شرذمة، قبيلة، عُصبة، طائفة، ثلة، فوج، فرقة، حزب، زمرة، جيل، كما ورد في فقه اللغة للثعالبي.

﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾: سواء كانت الآيات القرآنية أو الكونية الدّالة على وحدانية الله وعظمته وقدرته أو المعجزات الدّالة على النّبوة.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أولهم حتّى يلحق آخرهم.....، أو ينتظر أوّلهم حتّى يلحق آخرهم حتّى يجتمعوا، ثمّ يساقون إلى النّار ويدخلون فيها جميعاً، من الوزع: وهو الكف والمنع، أو حتّى يجتمع التّابع والمتبوع.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءُو﴾: موقف الحساب يوم القيامة.

﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾: قال تعالى: أكذبتم: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقرير، أيْ: كيف كذبتم بآياتي، أيْ: جحدتم بها.

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾: لم النّافية، تحيطوا بها: تتأملوها أو تنظروا فيها جيداً أو تدركوا حقيقتها أو ماذا شغلكم عن النّظر فيها أو التّفكر والتدبُّر فيها.

﴿أَمَّاذَا﴾: الهمزة للاستفهام للتوبيخ، ذا اسم موصول.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من الأعمال العبثية الأخرى في الدّنيا.

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾:

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: أيْ: حل ونزل بهم العذاب: عذاب قيام الساعة وعلىٰ تفيد العلو، وكأنّ العذاب سقط علىٰ رؤوسهم فجأة. ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٨٢).

﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾: الباء السّببية أو التّعليلية بسبب ظلمهم وهو الشّرك والتّكذيب بآيات الله.

﴿فَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يَنطِقُونَ﴾: لا النّافية، ينطقون: ليس عندهم أي: اعتذار أو حُجَّة ينطقون بها دفاعاً عن أنفسهم. أو يشغلهم العذاب أو يبهتهم فلا ينطقون بأي كلمة من دهشتهم وحيرتهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير وتعجُّب.

﴿يَرَوْا۟﴾: رؤية بصرية أو عينية (مشاهدة حقيقية) ورؤية فكرية الآية العظيمة هي تسخير الليل والنّهار لهم.

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: اللام لام التّعليل، يسكنوا فيه: من السّكون والانقطاع عن الحركة، يسكنوا: بصيغة المضارع الدّالة علىٰ التّجدد والتّكرار أيْ: ينامون فيه وذكر الليل والنّهار يدل علىٰ كروية الأرض ودورانها حول محورها

وحول الشّمس الّذي ينتج عنه تعاقب الليل والنّهار، وقدَّم الليل على النّهار؛ لأنّ الأصل هو الظلام، أي: الليل.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: ارجع إلى سورة يونس الآية (٥) و (٦٧) للبيان، وسورة غافر آية (٦١) للمقارنة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام لام الاختصاص، آيات كونية عظيمة تدل على كمال الخالق سبحانه، وكمال قدرته ووحدانيته ونعمته.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، آيات خاصة ينتفع بها القوم الّذين يؤمنون فتزيدهم إيماناً واستقامة على الصراط المستقيم، ثمّ يحذر الله سبحانه عباده من يوم القيامة فيقول:

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: تعود على يوم القيامة وتنكيره للتهويل والتّعظيم.

﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: النّفخة الأولى نفخة الفزع: الفزع يعني: الخوف الشّديد والرّعب والهلع حين يبدأ فجأة من دون سابق إنذار تضطرب فيه القلوب، والكل يفزع، أهل السّموات وأهل الأرض.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الملائكة.

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الإنس والجن والحيوانات.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: قيل: الملائكة المقربون (الكربيون) وحملة العرش،

وقيل: أمثال جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: الشّهداء والحور العين وحملة العرش، والله أعلم.

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين أذلاء، دخر الشّخص ذل وصغر، الكلّ يتساوىٰ في ذلك اليوم المالك والمملوك والرئيس والمرؤوس والغني والفقير والقوي والضّعيف. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٨) في سورة الزمر وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: نجد أن آية النمل جاءت في سياق النفخة الأولىٰ التي تبدأ بمرحلة الفزع، وتنتهي بمرحلة الصعق؛ فهي تشمل مرحلتين وهناك من قال أن النفخات (٣): الفزع، والصعق، والبعث، فآية النمل تتحدث عن النفخة الأولىٰ (مرحلة الفزع)، وآية الزمر تتحدث عن النفخة الأولىٰ (مرحلة الصعق) أو النفخة الثانية.

[٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾: هذه الآية ليست في سياق الآخرة، كما يظن البعض، إنما هي في سياق الدّنيا، ترىٰ الجبال وأنت لا زلت حياً؛ يعني: إذا نظرت إلىٰ الجبال تظنها جامدة لا تتحرك مع أنها تدور وتتحرك مع حركة ودوران الأرض؛ أي: (٣٠كم/ بالثانية).

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: من الحسب وهي الظّن الرّاجح، أيْ: تعتقد أنّها جامدة لا تتحرك ثابتة في مكانها، وهي تجري جري السّحاب سرعة جريها تقدر (٣٠كم/ بالثانية) بسرعة جري الأرض.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: وهي: أي: الجبال تجري كجري السّحاب الّتي تسيرها الرّياح فالكل يجري ونظنها ساكنة، وهذا من رحمة الله بنا.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾: خلق الله والصّنع هو جودة العمل فالصّنع أخص من العمل فكل صنع عمل وليس كلّ عمل صنع، والصّنع يشمل مقادير النجوم والكواكب وحجمها وبعدها وقربها عن بعضها، وفي مداراتها، أيْ: وكلٌّ في فلك يسبحون، والقياس والشّكل واللون وغيرها.

﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أبدع خلق كلّ شيء ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿خَبِيرٌۢ﴾: ببواطن الأمور وظواهرها وبما تفعلون فيجازيكم عليها.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿تَفْعَلُونَ﴾: من السّيئات والحسنات (الأعمال الصالحة) أو تفعلون من خير أو شر، أو حسن أو قبيح، أو معروف أو منكر، وتفعلون هي جزء من تعملون؛ فالعمل يضم الفعل والقول، وتفعلون تأتي في سياق العاقل وغير العاقل، وتعملون تأتي في سياق العاقل فقط.

❖ ❖ ❖

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٤٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

سورة النّمل [الآيات ٨٩ - ٩٣]

[٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة، وهي قوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيكم عليها.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: جاء بالحسنة يوم القيامة، الحسنة شرعاً: هي كلّ ما يستحسنه الشّرع ويتمثل بطاعة الله وتجنُّب نواهيه من قول وفعل وكل فعل يورث ثواباً.

﴿مَن جَآءَ﴾: من شرطية، جاء بالحسنة عمل حسنة في الدّنيا.

﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، له: اللام لام الاستحقاق.

﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: قيل: الجنة، وقد تعني: يثاب عليها ويجازىٰ عليها خيراً منها ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، ثواباً مضاعفاً يعادل عشر أمثالها، وقد تضاعف إلىٰ (٧٠) أو (٧٠٠) أو أكثر.

﴿وَهُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: من ابتدائية، فزع يومئذ: شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣].

وقد يصابون بفزع خفيف، أما الفزع الشّديد فهم آمنون منه.

﴿ءَامِنُونَ﴾: من الأمن وهو الأمن الكامل مع زوال الأسباب المؤدِّية إلىٰ عدم الشّعور بالأمن.

[٩٠] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية جوابها فكبَّت وجوههم في النّار.

﴿جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: يوم القيامة، أيْ: عمل السّيئات وقيل: السّيئة مثل الشّرك وأكل الرّبا وقتل النّفس والسّيئة لا تجزىٰ إلا بمثلها من غير زيادة، وهذا من رحمة الله تعالىٰ، وقد تضاعف السّيئة إذا ارتكبت في أماكن الفضيلة مثل الحرم أو في رمضان أو الأوقات الفضيلة.

﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾: الكب: رمي أو إلقاء الشيء التافه أو الذي لا قيمة له، واختار الوجه وهو أشرف جزء في الجسم، وكب الوجه يعني: الكب لجميع الجسم (إطلاق الجزء وإرادة الكل)، والكب فيه معنىٰ الإهانة والإذلال والعنف؛ أي: كبت بعنف؛ أيْ: ألقوا في النّار علىٰ وجوههم منكوسين، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء:٦٥] أو قوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٩٤] وقيل: الوجه يعني: الذّات؛ أي: يمثل كلّ الأعضاء.

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد النّفي، أيْ: ما تجزون إلا ما كنتم تعملون.

﴿تُجْزَوْنَ﴾: من الجزاء، وقد يكون للعمل السّيِّئ أو الحسن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: تعملون (تشمل الأقوال والأفعال) في الدّنيا، العمل يشمل القول والفعل.

[٩١] ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿أُمِرْتُ أَنْ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّوكيد. أُمرت: أيْ: أمرني ربي أن أعبده.

﴿أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: أعبد من العبادة. ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة النّحل، إضافة رب للبلدة للتشريف والتّعظيم وهي مكة المكرمة، وخصّها بالذّكر؛ لأنّ فيها البيت الحرام والرّب هو الخالق المدبر الرّزاق والمربي وهو رب هذه البلدة ورب كلّ شيء ومليكه.

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾: جعلها شرعاً حرماً آمناً يحرم فيها القتال والصّيد في الأشهر الحرم ومن دخلها كان آمناً.

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: تقديم له وحده تفيد الحصر، كلّ شيء: شيء نكرة تشمل كلّ شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً دون شريك، كلّ شيء في السّموات والأرض وما بينهما له وحده.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾: وأمرني ربي، أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد.

﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المخلصين الموحّدين، وفرداً من أفراد هذه الأمة المسلمة، وفي هذا تنويه عن تواضع النبي ﷺ، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٤) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى في الآية (١٢) في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، فآية النمل تعني من المسلمين من لدن آدم إلى آخر مسلم وأول المسلمين من هذه

الأمة، وكذلك أول المسلمين درجة ومرتبة؛ ارجع إلى هذه الآيات لمزيد من البيان.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التّوكيد.

﴿أَتْلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أقرأ عليكم القرآن وسُمِّي قرآناً لكونه مقروءاً، أو أتلوا القرآن في الصّلاة والتّبليغ والإنذار والتّعليم والحفظ.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: للتوكيد، من: شرطية، اهتدى: بالقرآن، أو بما أنزل الله تعالى من التّوحيد والإيمان والعمل الصّالح.

﴿فَإِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: ففائدة هدايته ينتفع بها وحده، تعود لنفسه، اللام لام الاختصاص نفسه ذاته.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: من شرطية، ضل: تاه وضل الطّريق واتبع هواه والشّيطان ولم يتبع ما أنزل الله تعالى.

﴿فَقُلْ إِنَّمَآ﴾: الفاء للمباشرة، إنما للتوكيد.

﴿أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: أنا لست مسؤولاً عن هدايتكم، وأنا أحد الرّسل المنذرين، وما عليّ إلا البلاغ والإنذار: الإعلام والتّحذير.

[٩٣] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقُلِ﴾: الخطاب إلى رسول الله تعالى وبالتالي إلى أمته.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نعمة الهداية للإسلام والإيمان والقرآن، والحمد لله

علـى نعمة النّبوة، وعلى نعمه الّتي لا تعد ولا تحصى، الظّاهرة والباطنة ما علمنا منها وما لم نعلم، حمداً مطلقاً ملء السّـموات والأرض وما فيهن، وملء عرشه وعدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشـه ورضا نفسه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: السّين للاستقبال القريب، أيْ: قريباً سترون آياته الكونية والخلقية وأنتم في الدّنيا، آياته الدّالة على عظمة وكمال قدرته ووحدانيته وأنّه هو الحق وما دونه الباطل.

سـيريكم آياته: الخطاب للجميع فـي الآفاق في الكون وفي أنفسـكم، سيريكم سيطلعكم على بعض آياته فتعرفونها أنّها من آياته وأنّها من صنعه ويبيّن لكم أنّ الله هو الحق المبين.

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾: ما النّافية، ربك، أي: الخالق والمربي والمدبر والرّزاق.

﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: عمـا: عن: تفيد المجاوزة والبعد، ما: اسـم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي. تعملون: تقولون وتفعلون، وفي الآية وعيد وتهديد. ارجع إلى الآية (٥٢) من سورة فصلت، وهي قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ للمقارنة، وارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى بغافلٍ عما تعملون.

❖ ❖ ❖

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

سورة القصص [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٢٨) وترتيبها في النّزول (٤٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة الشّعراء للبيان.

[٣] ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾: يا رسول الله ﷺ أيْ: نقرأ عليك، أو نقص عليك بعضاً من نبأ موسىٰ وفرعون والتّلاوة أخص من القراءة، والتّلاوة تكون من القرآن ويثاب القارئ عليها كلّ حرف بعشر حسنات، فكلّ تلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة، وأصل التلاوة: اتباع الشيء بالشيء؛ أي: تلاوة كلمات يتبع بعضها بعضاً، وأما القراءة: قد تكون لكلمة واحدة، والخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ، وبالتالي إلىٰ كلّ من يقرأ القرآن.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾: من: ابتدائية بعضية، نبأ: الخبر المهم من خبر موسىٰ عليه السلام وفرعون.

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾: أحد ملوك الفراعنة الّذي ادّعى الألوهية. وفرعون لقب كان يلقب به ملوك مصر في القديم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، الحق: الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيَّر، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالصّدق لا تبديل فيه ولا تحريف، والمطابق للواقع أو كما حدث فعلاً.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: تلاوة خاصة لقوم يؤمنون يتجدَّد إيمانهم ويتكرَّر أيْ: ينتفع بها الّذين آمنوا حيث يزيد إيمانهم يقيناً كلما تلوها المرة بعد الأخرى.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من العلو: أي: طغى وتجبَّر واستكبر في أرض مصر.

والعلو: هو الشعور بالغرور وبالقوة أو القدرة والفوقية.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: طوائف أو جماعات بعضهم لبعض عدو، والشّيعة بالتحديد: هي الجماعة المائلة إلى رجل ما من محبتهم له، وأصلها الحطب الدقيق الذي يُرمى في النار لتشتعل أو تشتد اشتعالاً، أو الطّائفة الّتي لها

قيم ومبادئ خاصة بها مثل: طائفة الأقباط، أو بني إسرائيل، أو غيرهم لكي يبقىٰ مستبداً بالحكم مُتبعاً شريعة فرِّق تَسُدْ وتستعبد كل منها الأخرىٰ.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾: أيْ: بني إسرائيل واستضعافه لهم أيْ: يستعبدهم في أعمال البناء والحفر والحرث والخدمات، والسبب في ذلك؛ لأن بني إسرائيل كانوا موالين للذين حكموا مصر وأزاحوا حكم الفراعنة وهم ملوك الرعاة فلما عاد الفراعنة إلىٰ تولي الحكم راحوا يضطهدون بني إسرائيل ومن مظاهر الاستضعاف:

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: المولودين من بني إسرائيل وأسند الذّبح إلىٰ فرعون مع أنّه هو مجرد الآمر وجنود فرعون هم يفعلون الذّبح فهو السّبب.

﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: نساء بني إسرائيل، يُبقي نساءَهم أحياءً للخدمة والإذلال.

ولنقارن هذه الآية بالآية (٤٩) من سورة البقرة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، وما قال موسىٰ في سورة إبراهيم آية (٦): ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، وما جاء في سورة الأعراف آية (١٤١): ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: نجد الاختلاف في كلمتي (يذبحون، ويقتلون)، القتل: أعم من الذبح، فالقتل: يشمل الذبح والإعدام، والقتل بالرصاص، أو المواد السامة، ونجد إضافة الواو لكلمة يذبحون في سورة إبراهيم، والواو تعني: سوء العذاب + الذبح؛ أي: التذبيح غير سوء العذاب (وهذا الكلام هو كلام

موسىٰ عليه السلام)، وحذف الواو في آية البقرة دل علىٰ التذبيح هو سوء العذاب (وهذا الكلام هو كلام الله سبحانه) فالله سبحانه لم يعدد ويذكرهم بكل المصائب التي مرت عليهم بينما موسىٰ ذكرهم بكل المصائب التي مرت عليهم حين عددها لهم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: إنّه للتوكيد، كان من المفسدين بسبب كفره وطغيانه وظلمه وتكبره في الأرض وبقتل الأبناء واستحياء النّساء والتشييع.

ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾:

﴿وَنُرِيدُ﴾: بصيغة التّعظيم.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: نمن: من المن: المن عطاء بلا مقابل أو عوض. قال الأزهري: قال الزجاج: المن كل ما يمن الله تعالىٰ به مما لا تعب فيه ولا نصب، وقيل: أن المن كالمن الذي كان ينزل علىٰ بني إسرائيل سهلاً بدون أي تعب أو جهد؛ أيْ: نُنعم علىٰ الّذين استضعفوا: أيْ: بني إسرائيل فمن عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في أرض مصر والشام.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: في الدّين ونشر المبادئ والقيم، أئمة: يقتدىٰ بهم، قادة للخير كما قال ابن عباس، أو ولاة وملوكاً كما قال قتادة.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: للملك وارثين مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالىٰ في سورة الأعراف آية (١٣٧): ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ في ذلك الزّمان، الوارثين: جملة اسمية تفيد الثّبوت، جمع وارث يرثون فرعون وقومه، أي: الحاكمين والمالكين لكثير من الأرض. وتكرار ونجعلهم مرتين للتوكيد، وفصل كونهم أئمة عنه كونهم الوارثين.

❖ ❖ ❖

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

نصف الحزب ٣٩

سورة القصص [الآيات ٦ - ١٣]

[٦] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾:

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالاستخلاف والحكم والسّلطة وممارسة شعائر دينهم بلا خوف، والتّمكين يتضمن معنى الحرية والقدرة والأمن. ارجع إلى سورة النور آية (٥٥) لبيان معنى التمكين.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾: رؤية بصرية.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَهَٰمَٰنَ﴾: هامان: ورد اسمه في القرآن (٦ مرات)، قيل: كان وزيراً لفرعون زمن نبي الله موسى، وقيل: كان المسؤول عن البناء والعمران، وقيل: كان اسمه هامان، ووظيفته هامان (بناء المشاريع الكبرى)، وكان مقرباً إلى فرعون، وذكر هامان في القرآن يدل على الإعجاز التاريخي للقرآن، وعلى نبوة محمد ﷺ، ومات غرقاً مع فرعون. ارجع إلى سورة غافر آية (٣٦) لمزيد من البيان.

﴿مِنْهُم﴾: من أولئك المستضعفين من بني إسرائيل.

﴿مَّا كَانُوا۟﴾: ما اسم موصول بمعنى الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، وتشمل العاقل وغير العاقل.

﴿يَحْذَرُونَ﴾: من هلاكهم على أيدي بني إسرائيل، فقد كان فرعون وهامان وجنودهما على وجلٍ وخوفٍ أن يُقتلوا على أيدي بني إسرائيل.

والحذر: هو توقي الضرر أيْ: دفع الضرر سواء كان مظنوناً أو متيقناً.

ويحذرون: بصيغة المضارع يدل على حذرهم كان يتجدَّد ويتكرَّر أي باستمرار.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: الوحي لغة: إعلام بطريق خفي، شرعاً: ما يُلقي الله إلى رسله من تكاليف وتعاليم دينه (منهج) وآيات ووعد ووعيد بإرسال رسول (جبريل) أو أن يكلمه من وراء حجاب أو بطريق خفي، والوحي إلى أم موسى كان بالإلهام أو برؤيا، ويعتبر ذلك نوعاً من أنواع الوحي. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾: الوحي كان بالإلهام.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿أَرْضِعِيهِ﴾: قيل: أرضعته حوالي ثلاثة شهور، وقيل: (٨) أشهر، وقيل: أربعة أشهر؛ فلما ألحَّ فرعون في طلب الولدان من بني إسرائيل لذبحهم بإرسال الجواسيس خافت أم موسى على وليدها.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا شرطية تستعمل للشيء المحقق حدوثه بعكس إن تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه، خفت على موسى من الذّبح أو أن يعثر عليه جنود فرعون.

﴿فَأَلْقِيهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة رابطة لجواب الشّرط إذا.

فألقيه: الإلقاء: هو رمي الشيء من أعلىٰ إلىٰ أسفل برفق ولين، وحين الإلقاء تراه أو ترىٰ مكان الإلقاء، وفي سورة طه آية (٣٩) قال تعالىٰ: ﴿أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، والقذف: هو الرمي بشدة وقوة من غير مهلة حتىٰ لا تراه حيث لا تلقاه، والقذف: أعم من الإلقاء.

﴿فِي الْيَمِّ﴾: أيْ: في نهر النّيل. ويستعمل كلمة اليم في سياق الخوف أو العقوبة.

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾: تكرار (لا): يفيد توكيد النّهي وفصل كلّ واحدة الخوف والحزن علىٰ حدة أو كلاهما، لا تخافي ـ بعد إلقائه في اليم ـ عليه من الغرق أو الموت، ولا تحزني لفراقه وذهابه عنك.

ولا تحزَني: من الحزَن: الألم أو الغم الدائم الّذي لا يزول.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾: الرّد هو الرّجوع أو العودة إلىٰ المكان الّذي خرج منه بحيث يجبر أو يُكره علىٰ الرّجوع وبغير إرادته، والرّجوع هو الخروج من مكان ما أو مدينة مع النّية للرجوع إليها وبرغبته، ومن دون إكراه.

واستعمل رادُّوه؛ لأنّه سبحانه سيحرم عليه المراضع فيردُّه إليك لترضعيه.

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: سنجعله رسولاً إلىٰ بني إسرائيل رسولاً ونبياً.

هذه الآية إذا تأملناها نجد أنّها تشمل علىٰ خبرين هما: وأوحينا إلىٰ أم

موسىٰ، فإذا خفت عليه، وأمرين هما: أرضعيه وألقيه، ونهيين: لا تخافي ولا تحزني، وبشارتين: رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين يدل علىٰ عظيم البيان الرباني.

[٨] ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾:

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، والهاء: تعود علىٰ التّابوت وفيه موسىٰ من نهر النّيل، والالتقاط: أن نجد شيئاً ما في الطّريق دون قصد أو بحث والذي التقطه آل فرعون.

﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾: أتباع فرعون الّذين يعملون في قصره.

﴿لِيَكُونَ﴾: اللام لام العاقبة (التّوكيد).

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: هذا هو عاقبة الالتقاط أو في نهاية الأمر سيكون لهم عدواً وحزناً. أمّا حين التقطوه، فالتقطوه؛ ليكون لهم ولداً وقرّتَ عين لفرعون وامرأته ولا أحد يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

عدواً: لفرعون وملئه.

وحَزناً: بفتح الحاء الألم النّفسي أو الغم الشّديد الدائم الّذي لا يزول حتّىٰ الموت. بعكس الحُزن بضم الحاء وهو الألم أو الغم غير الدائم المؤقت الّذي يزول مع الزّمن ولو طال.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ﴾: خاطئين: آثمين. وعاصين بالكفر والظّلم، والشّرك أو خاطئين بتقديرهم، لم يخطر ببالهم أنّ موسىٰ هو الّذي سيذهب بملكهم ويكون سبباً لهلاكهم، خاطئين: من خطِئ (الفعل الثلاثي)؛ أيْ: تعمد الخطأ بينما أخطأ (الرباعي) من دون تعمُّد وقصد. وهناك من قال كلاهما يستعمل في العمد وغير العمد، أو كلاهما في غير العمد، وآخرون جعلوا الفعل الثلاثي في العمد، والفعل الرباعي في غير العمد.

ومنه المخطئ من أخطأ؛ أي: الّذي لا يتعمَّد خطأً ولا ذنباً إلا جهلاً أو من دون علم بلا قصد، وخاطئين جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت والاستمرار علىٰ الخطأ من دون أيِّ محاولة لتصحيحه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: اختار كلمة امرأة بدلاً من زوجة؛ لأنّ امرأة فرعون تخالف زوجها في الدّين فهي مؤمنة وهو كافر، أو فيها عيب خَلقي لا تنجب، وكلمة زوج تطلق حين يكون تماثل بين الزّوج والزّوجة. من خصوصيات القرآن الكريم. فقال العلماء: كلمة زوجة تطلق حين لا يكون هناك اختلاف بين الزوجة والزوج في الدين، أو لا يكون بينهما اختلاف أسري، أو مشاكل مثل: العقم، أو نشوزاً، أو عدم الاستقرار والسكينة، وتطلق كلمة امرأة حين توجد إحدىٰ المشاكل في العقيدة، في الدين، أو الاختلافات الأسرية، أو النشوز، أو عيب خَلقي أو خُلقي، وكذلك كتبت بالتاء المفتوحة، وليس المربوطة. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة الفرق.

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: قرتُ: مشتقة من قرَّ بالمكان أيْ: أقام وثبت وتعني السّكون والارتياح، ومشتقة من القرِّ: البرد الشّديد، والعين الباردة تدل على السّرور والعين السّاخنة تدل على الحزن والألم، أيْ: مبعث سكينة وسرور لي ولك، وقولها: لي ولك بدلاً من لنا، كما رأينا في آية الفرقان (٧٤) ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ تدل على قلة ارتباط امرأة فرعون بفرعون فكلّ منهما له شأنه.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: لا النّاهية لا تقتلوه: تؤكد على عدم قتله حيث كان القانون السّاري بقتل كلّ ولد ذكر من بني إسرائيل؛ لأنّ فرعون رأى في المنام أنّ مصرعه سيكون على يد واحد من بني إسرائيل.

﴿عَسَىٰ﴾: فعل من أفعال التّرجي، وتستعمل للمأمول حصوله وتحقُّقه.

﴿أَن﴾: حرف مصدري للتعليل والتّوكيد.

﴿يَنفَعَنَا﴾ يساعدنا أو ننتفع منه في شيء ما.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: نتبناه ويصبح ابناً لنا بالتّبني وقيل: إنّ موسى كان يعرف بابن فرعون فقد ألقى الله سبحانه على موسى محبةً منه فكان كلّ من رآه أحبه. ولنعلم: أن فرعون (رمسيس الثاني) كان له أولاد من زوجات أُخر غير هذه الزوجة التي كانت لا تنجب فقالت لفرعون: أوَنتخذه ولداً؟ فابنه منفتاح كان الولد الثالث عشر من زوجة أخرى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بعاقبة أمرهم وأنّهم كانوا خاطئين في التقاطه، واتخاذه ولداً لهم، وأنّ هلاكهم سيكون على يديه، أو لا يشعرون أنّه سيكون ولداً أم عدواً.

[١٠] ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾: الفؤاد قيل:هو القلب وبشكل أدق كما بيَّنت الدّراسات العلمية أن في القلب خلايا خاصة لها خاصية الذاكرة تشبه الخلايا العصبية في جهاز (لمبيك) في الدماغ، وقد يكون هناك اتصال بينهما من خلال الأعصاب الودية وغير الودية. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

فارغاً: لها عدَّة معانٍ:

١ - خالياً من التّفكير في أي شيء سوىٰ ذكر موسىٰ وما حدث له أيْ: لا يغيب عن فكرها وذاكرتها ليلاً ونهاراً.

٢ - أيْ: نسيت ما أوحي إليها حين ألقته ونسيت الوعد ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧].

٣ - لم يعد لها عقل (ذهب عقلها) من شدة الخوف والجزع علىٰ موسىٰ حين سمعت أنّه وقع في يد فرعون ولا أحد يطمئنها علىٰ موسىٰ.

﴿إِن﴾: للتوكيد.

﴿كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾: كاد من أفعال المقاربة، مقاربة حصول الإبداء، تبدي به أيْ: تخبر وتعلن للملأ، وتقول للناس: إنّ موسىٰ ابنها ولكن لم يحصل ذلك بسبب الربط علىٰ قلبها.

﴿لَوْلَآ﴾: حرف شرط.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّوكيد.

﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: ألهمناها الصّبر أنزلنا عليها السّكينة، والرّبط يعني الشّد، أيْ: شددنا على قلبها بالصّبر والثّبات كما يربط الشّيء غير الثّابت ليستقر ويثبت ويسكن.

﴿لِتَكُونَ﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من بعضية، المؤمنين: المصدقين بوعد الله وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل من المؤمنات؛ لأن المؤمنين تعني: المؤمنين والمؤمنات، من المؤمنين؛ أي: ثباتها وصبرها يشابه صبر الرجال بالشدة والقوة، والذين إيمانهم ثابت وراسخ، ولم يقل من الذين آمنوا.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ لابنتها أخت موسى.

﴿قُصِّيهِ﴾: من القص: وهو اتِّباع الأثر أي: اتبعي أثره وراقبي إلى أين يذهب وتتبعي خبره ومصيره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، جنب: عن بعد أو مكان لا يراها أحد، أو عن جنب راحت تراقب وتنظر باهتمام عن بعد إلى أين سيأخذه اليم وإلى أي مكان وصل بحيث لا يراها أحد.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وهم: للتوكيد أنّ أخته تتبع أثره، وتراقب أين يذهب وتتقصّى أثره وأخباره.

[١٢] ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾:

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾: على موسىٰ تحريم منع لا تحريم شرع، أيْ: منعناه من قبول ثدي أية مرضع، قال تعالىٰ: ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ ولم يقل: المرضعات.

﴿الْمَرَاضِعَ﴾: جمع مرضع وهي المرأة الصّالحة أو القادرة علىٰ الإرضاع، ولكنها لا ترضع الآن حين يأتي وقت الإرضاع ترضع، أمّا المرضعات: جمع المرضعة فتطلق علىٰ المرأة الّتي تقوم بعملية الإرضاع الآن والطّفل في حضنها وهي ترضعه.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل أن نرده إلىٰ أمّه ليرضع منها ومن تعني من قريب، أو من قبل تعني حرمنا عليه المراضع اللاتي أحضرن لقصر فرعون ليرضعن موسىٰ من قبل أن تحضر أمّ موسىٰ لترضعه، ومن قبل: أيْ: من سابق علم الغيب من قضاء الله مسبقاً من قبل ولادته وكل المعاني محتملة.

﴿فَقَالَتْ﴾: أخته بعد أن انتشر الخبر في المدينة أنّه لا يرضع ولا يقبل ثدي أيِّ مرضع تحضر إليه، قالت وهم لا يعرفون أنّها أخته.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: هل استفهامية فيها معنىٰ العرض واللهفة علىٰ الدّلالة وأقوىٰ من الهمزة في الاستفهام كقوله: أأدلكم، من أدلكم: أخبركم علىٰ أهل بيت يكفلونه: من الكفالة وهي التزام بأداء ما تكفل به إلىٰ صاحب الحق عند المطالبة، يكفلونه لكم: الكفالة: أي: الالتزام بإرضاعه لكم، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿وَهُمْ لَهُۥ﴾: هم: للتوكيد، له: تقديم له يفيد الحصر له تعود على موسى.

﴿نَٰصِحُونَ﴾: حافظون راعون مشفقون، قال ابن عبّاس: فلما قالت ذلك ظنوا أنّها تعرف موسى وتعرف أهله، فأنكرت ذلك، وغيرت كلامها وبإلهام من الله تعالى: نجت من الفتنة أو المحنة.

وانتبه إلى قوله يكفلونه لكم وهم له ناصحون: يكفلونه: جملة فعلية، وهم له ناصحون: جملة اسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ لأنّ الكفالة تعد أمراً سهلاً بالنّسبة للنصح الّذي يعني: الإخلاص والرّعاية والتّربية، فلو اكتفت أخت موسى بالقول يكفلونه لكم، لربما لم تتعرض لهذه الفتنة الّتي سببها حرصها على موسى وشفقتها عليه لكونها أخته.

[١٣] ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، رددناه: أيْ: نحن للتعظيم، رددناه: ارجع الآية (٧) من نفس السّورة للبيان.

﴿كَىْ﴾: تستعمل للتعليل الحقيقي أو معرفة الغرض الأوّل الحقيقي للرد الّذي هو أن تقر عينها ولا تحزن، ولم يستعمل اللام كقوله لتقر عينها؛ لأن كي تستعمل لبيان الغرض الحقيقي، واللام تستعمل للتعليل وغير التعليل، فاللام أوسع شمولاً من كي.

﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: تطمئن وتسكن وترتاح، وكذلك تسر. ارجع إلى الآية (٩) من نفس السّورة لبيان معنى تقر عينها.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: الحَزَن: الشّعور بالغم الثّقيل والألم الممتد لفترة طويلة على فراقه وغيابه عنها، إذن كي تقر عينها ولا تحزن هو الغرض الحقيقي الأوّل من ردِّه إليها، ولتعلم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هو الغرض الثاني.

﴿وَلِتَعْلَمَ﴾: الواو للتوكيد، واللام للتوكيد.

﴿أَنَّ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: الوعد: هو حين وعدها سبحانه بقوله: إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنّ الله سبحانه لا يخلف وعده أو أنّ وعد الله حق ثابت لا يتغير ولا يتبدل، وهناك القليل من يعلمون ذلك.

ولو قال تعالى: كي تقر عينها ولا تحزن وكي تعلم أنّ وعد الله حق لكان ذلك يعني: أنّها تجهل أنّ وعد الله حق وهي لا تجهل ذلك، ولذلك حذف كي تعلم وأبدلها لتعلم: اللام للتوكيد. ليؤكد لها وعد الله تعالى.

❖ ❖ ❖

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

سورة القصص [الآيات ١٤ - ٢١]

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أيْ: موسىٰ بلغ أشده بعد أن نشأ وشب في قصر فرعون، وبلغ أشده: أيْ: كامل القوة البدنية قيل: بلغ (٣٠) سنة أو (٤٠) سنة.

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: بلغ كامل القوة العقلية قيل: (٤٠) سنة، أو اكتمل شبابه، واكتملت قوته البدنية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٢) من سورة يوسف وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾، ولم يذكر واستوىٰ؛ أي: اكتمل شبابه، ولم يقل واستوىٰ التي تدل علىٰ القوة البدنية.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: لمعرفة معنىٰ الإيتاء أو العطاء ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة، حكماً: قيل النّبوة ومعرفة الأحكام الشرعية، وتعني الحكمة وعلماً بالله تعالىٰ وهو أفضل العلوم وبشريعة بني إسرائيل - شريعة إبراهيم ويعقوب.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: مثل ذلك كما آتينا موسىٰ الحكم والعلم، نؤتي المحسنين أمثاله.

﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جمع محسن: نؤتيهم الحكم والعلم بالكتب المنزلة والفقه في الدّين أو آتينا موسىٰ الحكم والعلم؛ لأنّه من المحسنين. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٢) لبيان معنىٰ الإحسان.

[١٥] ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾:

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ﴾: الواو هنا لا تدل على التّرتيب إنما هي لمطلق الجمع، فليس تعني أتيناه الحكم والعلم، ثم دخل المدينة، وإنما تعني دخل المدينة قبل إيتائه النّبوة.

أي: دخل موسى المدينة: قيل: هي مدينة منف تقع على مسافة (٢٨) كم جنوب القاهرة قرب ميت رهينة بالبدرشين بالجيزة، وبها أهرامات سعارة وكانت المدينة الأولى آنذاك.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ ﴾: حيث كان القبط في بعض المدن المزدحمة بالسّكان يمنعون بني إسرائيل دخول مدنهم، لذلك اختار موسى وقت غفلة النّاس، أيْ: زمن القيلولة حوالي منتصف النهار والنّاس في بيوتهم، وقيل:لكون موسى كان يعيب على قوم فرعون دينهم فكانوا يخافونه وهو يخافهم،فكان لا يدخل إلا مستخفياً، وفي يومٍ دخل موسى المدينة، دخلها وقت القيلولة وهو الأرجح وقت الظّهيرة وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها إلا قلة من المارة، أو وقت بين المغرب والعشاء دخل المدينة بعد مدة طويلة من عدم دخولها ونسوا ذكره.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: هذا من شيعته: أيْ: من بني إسرائيل، وهذا من عدوه: يعني: من الأقباط، والعدو: يمكن تذكيره للواحد أو الجمع.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة بعد الدّخول، استغاثه: طلب منه الغوث: أي: العون

والمساعدة أو النجدة السّريعة. وكان موسىٰ يتمتع بقوة في البدن، وتبين لموسىٰ أن القبطي هو الذي بدأ بقتال الإسرائيلي فحاول موسىٰ الدفاع عن المظلوم ودرء خطـــر الظالم عن المظلوم، ولم يتعمد قتل القبطي، والأقباط يومها كانوا يعبدون الأصنام، ولم يكن موســـىٰ آنذاك نبياً ولا رسولاً؛ فوكزه موسىٰ: الفاء للمباشرة، الوكز فـــي اللغة: نوع من الضرب بمجمع اليد علـــىٰ الذقن؛ أي: الرأس، وقيل: علىٰ الصدر في مكان القلب، فقضىٰ عليه: فمات القبطي مباشـــرة من أثر الوكز، وندم موسىٰ؛ أي: وكزه ولم ينوي قتله.

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: هذا الوكـــز الّذي أمات هذا الإنســـان لم يكن في نيتـــه أو يقصده، ولذلك قال: هذا من عمل الشّـــيطان: قال موسىٰ عليه السلام معترفاً بأنّ ضربة القبطي كانت من نزع الشّيطان،أيْ: من تهيج وإثارة الشّيطان له.

إنّه عدو مضل مبين: إنّه تعود علىٰ الشّيطان للتوكيد عدو لبني آدم، مضل له عن الهدىٰ والصّواب بالخطأ والإضلال بالوسوسة والتّزين والنزع، مبين: ظاهر العداوة كلّ بني آدم يعلمون أنّه عـــدو مبين وأنّ عداوته لا تخفىٰ علىٰ أحد وهي ظاهرة للعيان، لا تحتاج إلىٰ دليل ولا برهان.

عدو مضل مبين: ثلاث صفات وصف بها الشّـــيطان فـــي آن واحد عدو، مضل، مبين: أسماء فاعل: صفات ثابتة في الشّيطان.

[١٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: موسىٰ، ولم يقل: يا رب؛ لأنّه يعلم أنّ ربه قريب منه فلا يحتاج إلىٰ أداة النّداء للبعد.

﴿إِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بقتل هذا القبطي، مباشرة يعترف موسىٰ بذنبه وظلمه لنفسه فيستغفر ربه ويبادر بالتّوبة والاستغفار.

﴿فَاغْفِرْ لِي﴾: أي: استر ذنبي ومحوه ولا تعاقبني عليه.

﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾: بعد توبته.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: إنّ للتوكيد، وهو للحصر والتّأكيد، وهو الغفور الرّحيم: الغفور صيغة مبالغة كثير المغفرة، الرّحيم بعباده فلا يعذبهم بذنب تابوا منه، والسّؤال: هل أعلم الله سبحانه موسىٰ أنّه غفر له أم لم يعلمه، قال بعض المفسرين أنّ موسىٰ لم يعلم بمغفرة الله له؛ لأنّه لم يكن نبياً بعد، وقد نُبِّئ بعد نبوته، وقول موسىٰ في الآية القادمة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ لا تشمل أو يقصد بها المغفرة؛ المغفرة علىٰ قتل القبطي، وإنما النّعم الأخرىٰ، ومن المفسرين من قال: إنّ موسىٰ علم بمغفرة الله له؛ ولذلك قال: فلن أكون ظهيراً للمجرمين، والله أعلم.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا﴾: قال موسىٰ: رب بما: الباء للإلصاق والتّعليل، ولم يستعمل ياء النداء للبعد.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: بالعلم والحكمة والقوة والنّعمة تستوجب الشّكر.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء للتوكيد، لن حرف نفي تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾: مُعيناً لأيِّ مجرم علىٰ إجرامه مهما كان سواء كان من شيعته أو من عدوه، وظهيراً مشتقة من الظّهر. ارجع إلىٰ الآية (٥٥) من سورة الفرقان للبيان.

والمجرم هو الكافر أو المشـرك المفسـد والقاتـل أو المهلك للحرث والنّسـل، وهذا يدل علىٰ أنّ الإسرائيلي الّذي أعانه موسىٰ تبين له أنه كان كافراً، انتبه لم يقل: فلن أكون ظهيراً للمجرمين إن شـاء الله، فابتلي به مرة أخرىٰ؛ لأنّه لم يستثنِ كما قال ابن عبّاس كما سنرىٰ في الآية القادمة.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَأَصْبَحَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: الّتي قتل فيها القبطي.

﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر السّـوء أو المكـروه أو الضرر ينتظـر بحذر وقلق ويتوقع أن يقبض عليه ويؤخذ إلىٰ السّـجن، أو ينتظر ما سـيفعل به والتّرقب هو الانتظار والمراقبة بكل الوسائل لكي لا يفوته شيء.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا الفجائية.

﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾: طلب النّصرة والعون منه (أي: الإسـرائيلي) الألف والسّين وتعني: الطّلب.

﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يصرخ وينادي علىٰ موسىٰ أن ينصره ويُعينهُ مرة أخرىٰ.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾: للإسرائيلي.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿لَغَوِىٌّ﴾: اللام للتوكيد، غوي: ذو غواية أيْ: حب للفسـاد والقتل وقطع الطّريق، والغوي عنده عقيدة فاسدة. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر الغواية والضّلال والفساد وتحب الإجرام.

غـــوي مبين: أيْ: غوايتك لا تخفىٰ علىٰ أحد، ولا تحتاج إلىٰ دليل وبرهان ظاهرة لوحدها.

[١٩] ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿أَنْ﴾: مجـــيء أن الخفيفة بعد لما تفيد الإبطاء وعدم التّســـرع؛ أي: فلم يندفع ويسرع كما فعل بالمرة السّابقة، وكان متردداً، ولم يكن عازماً علىٰ البطش.

﴿أَرَادَ﴾: موسىٰ.

﴿أَن يَبْطِشَ﴾: أيْ: يضرب بيده.

﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: أيْ: بالقبطـــي الجديد الّذي من قوم فرعون، أو قد تعني بالإسرائيلي الّذي هو من شيعته فهو عدو لموسىٰ لقوله له: إنّك لغوي مبين.

ولما كان خبر قتل موسىٰ للقبطي بالأمس قد انتشر وشاع بالمدينة.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾: القائل قد يكون القبطي الجديد.

وقد يكون القائل هو الإسرائيلي الّذي من شيعة موسىٰ؛ حيث ظن أنّ موسىٰ حاقد عليه لقوله: إنّك لغوي مبين، فقال الإســـرائيلي: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، وهذا هو المرجح عند علماء التفسير، وبالأمس تعني: البارحة.

﴿أَتُرِيدُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾:

بالأمس: أي: البارحة، وقد تعنيك أحياناً الماضي.

﴿إِن﴾: وتفيد النّفي حرف نفي أي:ما تريد.

﴿تُرِيدُ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾: أن: للتوكيد. الجبار: شديد البطش الّذي يُكْره النّاس على فعل ما لا يرغبون فعله ولا يرحم. والجبار هو أيضاً الذي يتعاظم بالقهر والقتل والتسلط على الناس.

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾: أيْ: بدلاً من محاولة قتلي لما لا تحاول الإصلاح بيني وبينه وتكون من المصلحين. أو تتجنَّب قتلي كما قتلت نفساً بالأمس، وشاع الخبر في المدينة وعلم الرجل الصالح ذلك، أو وصل الخبر إلى قصر فرعون فعلم فرعون بذلك وتشاور مع ملئه، وكان من بينهم الرّجل الصّالح الّذي جاء من أقصى المدينة يسعى ليخبر موسى بأن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: جاء من المجيء والمجيء فيه معنى الصّعوبة والمشقة، ولم يقل: وأتى الّذي فيه معنى السّهولة.

﴿رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: قيل: كان ابن عم فرعون، وقيل: ولي عهده، وقيل: صاحب الشرطة وقيل: هو الرّجل المؤمن من آل فرعون الّذي يكتم إيمانه، والّذي ورد ذكره في سورة المؤمن (غافر)كما قال ابن عباس، وقال أكثر أهل التفسير، وهو المرجح.

من أقصى المدينة: من أبعد أطرافها وآخرها، المدينة: القرية إذا اتسعت تسمَّى مدينة.

﴿يَسْعَىٰ﴾: يُسرع يمشي مسرعاً.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ﴾: إن للتوكيد.

﴿ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: الملأ: وجهاء القوم أيْ: رؤساء القوم أو الحكام يتشاورون فيك ليقتلوك أو يتأمرون على قتلك، وقال: يأتمرون: لأن كلّ المتشاورين يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لبيان معنى الملأ.

﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾: اللام لام التّوكيد.

﴿فَٱخْرُجْ﴾: الفاء للمباشرة، اخرج الآن من المدينة حالاً.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: لك خاصة، اللام لام الاختصاص، من: ابتدائية، الناصحين: فاستمع لقولي لنصيحتي بالخروج.

لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة القصص وهي قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

مع الآية (٢٠) من سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

الرّجل في سورة القصص جاء ليحذر موسى فقط ليخرج من المدينة والرجل ليس مهدداً بالقتل أو أيِّ خطورة، أما الرّجل في سورة يس فجاء ليحذر

القوم باتِّباع المرسلين، فهو جاء للتبليغ والدّعوة وإعلان إيمانه وتأييد الرّسل ومجيئه فيه خطر شديد على نفسه بالقتل.

إذن الرّجل في سورة يس مهدَّد بالقتل ومهمته أهم وأشد من الرّجل في سورة القصص.

كلاهما جاء يسعى مسرعاً أحدهما ليحذر موسى والآخر ليدعو قومه بالإيمان بالرّسل.

وهناك فرق بين: وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، وقوله تعالى: وجاء رجلٌ من أقصى المدينة: قدَّم الرّجل في آية القصص الّذي جاء من أقصى المدينة، أيْ: جاء في ذلك اليوم من أقصى المدينة؛ لأنّه كان في ذلك اليوم في أقصى المدينة، ولم يكن يسكن أقصى المدينة، وأما جاء من أقصى المدينة رجلٌ، (فأخَّر كلمة رجل في آية يس)؛ لأنّه كان ساكن في أقصى المدينة، ويحتاج زمناً للخروج من بيته. فقدَّم أقصى المدينة على كلمة رجل في آية ياسين وقدم الرجل على أقصى المدينة في آية القصص.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَخَرَجَ﴾: الفاء للتعقيب.

﴿مِنْهَا﴾: من المدينة. أيْ: موسى.

﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يلتفت يمنةً ويسرةً خوفاً من أن يلحق به أحد أو يراه أحد أو يترقَّب متابعة أحد له.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أيْ: قوم فرعون وقومه.

❖❖❖

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

سورة القصص [الآيات ٢٢ - ٢٨]

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: توجَّه: قصداً بوجهه مدين.

أيْ: خرج من مصر هارباً متجهاً إلى مدين في طريق لم يسلكه سابقاً، ومن دون طعام أو شراب ومن دون دابة يركب عليها.

﴿قَالَ عَسَىٰ﴾: عسى من أفعال الرّجاء الّتي يتوقع حدوثها بعد الرّجاء.

﴿رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أن يهديني أفضل الطّرق، أيْ: أوسطها، أي: الطّريق السّهل الّذي يخلو من العقبات لكي لا أضل عن الطّريق، وجاء بياء المتكلم يهديني لأنها هداية خاصة لظرف معين خاص بموسى وهو التوجه تلقاء مدين؛ فهو يطلب هداية كاملة شاملة إلى طريق مدين؛ لأنه لا يعلم الطريق أبداً.

ولمقارنة هذه الآية (٢٢) من سورة القصص وهي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ مع الآية (٢٤) من سورة الكهف، وهي قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ ارجع إلى سورة الكهف آية (٢٤).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما ظرفية وزمانية بمعنى حين.

﴿وَرَدَ﴾: وصل أو جاء.

﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾: بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وأنعامهم.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أمة جماعة، يسقون مواشيهم أو أنعامهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: أيْ: بعيداً عن الماء (البئر) وعن النّاس الّذين يسقون امرأتين لوحدهما تنتظران الاقتراب من البئر.

﴿امْرَأَتَيْنِ﴾: بنتا شعيب عليه السلام.

﴿تَذُودَانِ﴾: تمنعان ماشيتهما عن الشّرب من الحوض لكثرة الزّحام على الماء أو بالاختلاط بمواشي الآخرين والذَّوْد هو الطّرد والدّفع، أي: امرأتين تحبسان من كثرة الزّحام من الاقتراب من البئر.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ قال: سألهما موسى: ما شأنكما؟ وفيه تعجُّب لماذا تمنعان الغنم من السقيا والشرب؟

والخطب: الأمر العظيم الّذي يكثر فيه السّؤال والجواب.

﴿قَالَتَا﴾: أيْ: بنتا شعيب.

﴿لَا نَسْقِي﴾ لا النّافية، نسقي مواشينا.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾: حتّى ينتهي الرعاءُ من السقي.

يصدر الرعاء: ينصرف أو يرجع الرعاء والمنصرف عن الماء بعد السقاية يقال له صادر والقادم إلى الماء (البئر) للسقاية يقال له وارد.

والرعاء: جمع راعٍ. اسم فاعل من فعل رعى.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: شيخ لا يقوى على السّقي لكبر سنه وضعفه، يعني: نحن امرأتان لا نزاحم الرّجال ولا نخالطهم حتّى ينتهوا من سقي مواشيهم، ثم نسقي حين ينصرفون.

وانتبه إلىٰ لفظ كلمة يُصدِر الرّعاء: بضم الياء وكسر الدال؛ أيْ: حين يَرُدُّ الرّعاء غنمهم عن الماء، أما يَصْدُر الرّعاء بفتح الياء وضم الدال فتعني: يرجع الرّعاء عن الماء.

[٢٤] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾:

﴿فَسَقَىٰ﴾: الفاء تدل علىٰ المباشرة والتّعقيب سقىٰ لهما مواشيهما.

﴿ثُمَّ﴾: تدل علىٰ التّرتيب الذّكري، وليس التّراخي في الزّمن.

﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: ذهب وانصرف إلىٰ الظّل يدل علىٰ أنّه كان يوماً حاراً، إلىٰ ظل شجرة.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء تدل علىٰ المباشرة، قال دعا ربه.

﴿رَبِّ﴾: اختار صفة الرّبوبية؛ لأنّ الرّب هو الّذي يطعم ويسقي ومدبر الأمر والرّزاق، ولم يأت بياء النّداء الدّالة علىٰ البعد؛ لأنّه يشعر أنّ ربه قريب منه.

﴿إِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿لِمَآ﴾: ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي وأوسع شمولاً من الذي.

أنزلت إلي: سخرت إلي.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من بعضية خير أيْ: طعام.

﴿فَقِيرٌ﴾ يبدو أنّ الجوع قد عصف به بعد رحلة طويلة شاقة بلا زاد فقد قيل: كان يأكل بقل الأرض وأنزل إليّ من خيرك أيْ: سخر لي عبداً من عبادك يطعمني.

تصوَّر، هذا موسىٰ عليه السلام الّذي قال تعالىٰ عنه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[طه:٤١].

يُبتلىٰ بقتل القبطي فيخرج من مصر هارباً إلىٰ مدين بلا طعام ولا شراب،

ويعصف به الجوع فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهذا يفسر قوله تعالىٰ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

[٢٥] ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

وبمجرَّد أن انتهىٰ من الدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَجَاءَتْهُ﴾: الفاء للمباشرة والتّوكيد.

﴿إِحْدَاهُمَا﴾: البنت الصّغيرة أو الكبيرة لم يصرِّح من هي، جاءته إحداهما.

﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: استحياء (مصدر من الفعل استحىٰ) علىٰ وزن استفعال مجهدةً نفسها علىٰ: تفيد الاستعلاء والمشقة؛ أي: علىٰ التزام الحياء أو كأن الحياء مَركب أو سفينة، وهي متحكِّمة به تسير كيف تشاء، وقيل: كانت واضعة كم درعها علىٰ وجهها حياء، أو تمشي برفق وأدب، والاستحياء يظهر عليها، ولم يقل تمشي مستحية، وعلىٰ استحياء أشد من مستحية، ومنهم من قال: علىٰ استحياء تعني: ليس فقط المشي، بل قد تعني القول أيضاً؛ أي: علىٰ استحياء في المشي والقول، والمعنىٰ يحتمل كلا الأمرين.

﴿قَالَتْ﴾: لموسىٰ.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾: اللام لام التّعليل، التّوكيد إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب، لما: أيْ: حين جاء موسىٰ إلىٰ شعيب.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: القَصَص: مصدر يطلق علىٰ ما يُروىٰ من الأخبار؛ أي: فلما جاءه وقص عليه أخباره وحدثه بها، والقص: هو تتبع ما حدث بالفعل،

لا لَبْس فيه ولا خيال؛ أي: أصدق القَصَص، قص موسىٰ ما حدث له في مصر بصدق وأمانة. ارجع إلىٰ سورة يوسف آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾ قال شعيب لموسىٰ: لا: النّاهية، أي: اطمئن واهدأ.

والخوف: هو توقُّع الضرر المشكوك في حصوله..

﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: من قوم فرعون، الظّالمين: المشركين أو المجرمين ـ أيْ: لن يصلوا إليك...

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ﴾: نداء فيه حنان وعطف واستعملت ياء النّداء.

﴿اسْتَأْجِرْهُ﴾: اطلب منه أن يعمل لنا أجيراً كي يقوم مقامنا في السعي وسقي الماشية.

﴿إِنَّ خَيْرَ﴾: إن: للتوكيد، أفضل من استأجرت.

﴿الْقَوِيُّ﴾: كيف عرفت أن موسىٰ قوي أمين، قوي حين أزاح الصّخرة الّتي كانت علىٰ فتحة البئر ليسقي لهما ولا يقدر علىٰ إزاحتها عدة أشخاص.

﴿الْأَمِينُ﴾: حين سألها أن تسير خلفه وهي عائدة معه إلىٰ أبيها، ولم يبدُ منه أيُّ سوء.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿قَالَ إِنِّي﴾: قال شعيب لموسىٰ، إني: للتوكيد.

﴿أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ﴾: أريد أن أزوجك، أن: حرف مصدر يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾: هي سألت أبيها أن يستأجره فجاء الأب باقتراح أو حلٍّ آخر ـ وهو الأفضل ـ أن يتزوج موسىٰ بإحداهما لكي يحلُّ له الدّخول والخروج والإقامة مع عائلته فلا حلَّ إلا الزّواج.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾: حجج: جمع حجة: اسم للعام، وبادر شعيب بسؤال موسىٰ عن ذلك فاستجاب موسىٰ بالقبول بعد أن بيَّن شعيب المهر أو الصّداق لموسىٰ وهو أن يعمل موسىٰ أجيراً عند شعيب لمدة (٨) سنوات أو حجج علىٰ الأقل. ولماذا اختار كلمة حجج بدلاً من عام، أو سنة؟ انظر في نهاية الآية.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾: أراد شعيب أن يرفع من قيمة ابنته فقال فإن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك، أتممت عشراً: بدلاً من ثمانٍ، من عندك: أي: تفضلاً منك لا إلزاماً عليك.

أي: اختر ما شئت (٨) أو (١٠) حجج.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ﴾: ما النّافية، أريد أن: للتوكيد.

﴿أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: أي: بالعشر.

﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، من الصّالحين: ارجع إلىٰ (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.

لماذا اختار كلمة ثماني حجج بدلاً من سنة أو عام، الحج يتم مرة في العام فالحج ينوب عن كلمة عام وسنة.

واستعمل حججاً؛ لأنّ شعيب يعلم أنّ موسىٰ عليه السلام سيعود إلىٰ مصر، ولن يبقىٰ في مدين فهو كالحاج الزّائر لا بُدَّ أن يعود إلىٰ بلاده، وقيل: إنّ موسىٰ أتم العشر أبعدَ الأجلين.

[٢٨] ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

﴿قَالَ﴾: موسىٰ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ العرض الّذي عرضه عليه شعيب بالعمل له ثماني حجج، فإن أتم عشراً فمن عنده وله الخيار.

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: قبلت به.

﴿أَيَّمَا﴾: أيما مركبة من (أي + ما) أيَّ شرطية هنا وليست استفهامية، وما: للتوكيد. كقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[المرسلات: ٥٠].

﴿الْأَجَلَيْنِ﴾: ثماني حجج أو عشر حجج.

﴿قَضَيْتُ﴾: أتممت ذلك فقد برئتُ من العهد.

﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافية، عدوان عليَّ: لا حرج عليَّ وليس لك أن تطالبني بزيادة علىٰ ذلك.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: أي: شهيد ورقيب وكافٍ، قيل: هذا من قول موسىٰ، وقيل: هذا من قول شعيب، لا يهم من القائل المهم المقولة.

ومن الملاحظ أن الآيات لم تذكر شيئاً مما حدث لجوع موسىٰ، وقد ذكر بعض المفسرين أنّ شعيباً قدَّم لموسىٰ الطّعام فأبىٰ موسىٰ أن يأكل إذا كان الطّعام مقابل ما سقىٰ لهما فقال موسىٰ: نحن قوم لا نبيع الآخرة بالدّنيا، فقال شعيب: نحن من أهل بيت يطعمون الطّعام ونقري الضّيف وليس مقابل ما سقيت لنا، عندها أكل موسىٰ عليه السلام.

❖ ❖ ❖

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ
بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

سورة القصص [الآيات ٢٩ - ٣٥]

[٢٩] ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: قضىٰ: أتم، موسىٰ الأجل: هو الوقت المضروب لانتهاء مدة الاستئجار أي: أتم موسىٰ العمل عند شعيب عشر سنوات فهو قد قضىٰ أقصىٰ الأجلين.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦ﴾: سار: من السّير أي: سار راجعاً إلىٰ مصر من مدين، والسير قد يكون لغرض أو هدف وباتجاه معين، وأما المشي: هو مجرد الانتقال من مكانه وليس هناك هدف محدد له؛ بأهله: الباء للإلصاق، أهله: زوجته وابنه وتابعه، وتسمّىٰ الزّوجة الأهل؛ لأنّها تقوم بكثير من المهام والأعمال تغني عن كثير من أهل الرجل.

﴿ءَانَسَ﴾: شعر وأحس بشيء يؤنسه ويريحه ويطمئنه ضد التّوجس.

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: أي: رأىٰ ناراً منبعثة من جانب الطّور: الطّور الجبل، ولكن الطّور أقل حجماً من الجبل وهو طور سيناء، موسىٰ رأىٰ ناراً أي: ظنها ناراً، ولكنّها في الحقيقة نورٌ يتلألأ من الشجرة الخضراء.

ارجع إلىٰ سورة النّمل آية (٨) للبيان.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾: قال موسىٰ لأهله: امكثوا: انتظروا هنا.

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: إني: للتوكيد، أنست ناراً.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: لعلي: فيها معنىٰ الرجاء والأمل وعدم التّيقن والجزم؛ لأنّه غير متأكد فقد تنطفئ النّار أو تخمد بينما لو قال: سآتيكم منها بخبر: تدل علىٰ الجزم والتّأكد، فقد يبدأ الإنسان بكلمة لعلّي، ثم يتحول إلىٰ الجزم أو بالعكس.

﴿بِخَبَرٍ﴾: لكونه ضل الطّريق، وقيل: كانت ليلة باردة ممطرة وغير متأكد من الاتجاه، فهو بحاجة إلىٰ من يدلُّه علىٰ الطّريق وبحاجة إلىٰ شيء يتدفؤون به من البرد القارس.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: جمرة من النّار وهو ما يبقىٰ من الحطب المشتعل بعد أن يخمد اللهب، الجذوة جمرة تكون من دون لهب، أو الجذوة قد تكون قبساً أو غير قبس.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لعلكم من لعل للترجي والتّعليل، تصطلون: من الاصطلاء، وهو الدّنو من النّار للدفء يقال: اصطلىٰ، يصطلي إذا استدفأ؛ أي: لعلكم تتدفؤون.

ولو قارنا بعض هذه الآيات من سورة القصص مع بعض الآيات من سورة النمل تجد في سورة القصص: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [آية:٢٩]، في سورة النمل: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [آية:٧].

في سورة القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [آية:٢٩]، في سورة النمل: لم يقل امكثوا.

في سورة القصص: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [آية:٢٩]، في سورة النمل: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية:٧].

في سورة القصص: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية:٢٩]، في سورة النمل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية:٧].

هذه الاختلافات لا تدل على تناقض في أقوال موسى، وإنما هي أقوال قالها رداً على الحوار والأسئلة التي حدثت بينه وبين أهله في موقف واحد مثلاً قال: (سآتيكم منها بخبر)، قالوا: سنأتي معك، قال لهم: (امكثوا هنا)، قال: (سآتيكم منها بخبر) بكل تأكيد، ثم رجع عن قوله بالقول (لعلي)؛ لأنه غير متأكد، قال: (شهاب قبس) ملتهبة، ثم قال: (إذا لم أجد آتيكم منها بجذوة)، فالله سبحانه ينقل لنا الصورة الحقيقية لما حدث في تلك الليلة. ارجع إلى سورة النمل، وسورة طه لمزيد من البيان والمقارنة.

[٣٠] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، لما.

﴿أَتَىٰهَا﴾: من الإتيان، المجيء بسهولة، ولازال في طريقه للوصول إلى المكان المقصود لم يصل بعد، ولم يقل: فلما جاءها: المجيء فيه صعوبة والمجيء أعم ويعني قد وصل إلى المكان المقصود.

والطّريق إلى الطّور قسم منه قد يكون سهلاً، وقسم قد يكون صعباً ووعراً.

﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: من شاطئ الوادي الأيمن بالنّسبة لموسى أو القادم إلى الطّور. والشاطئ: اسم للبر الملاصق للبحر.

﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: البقعة: اسم للجزء من الأرض، وفي سورة طه آية (١٢) قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾: أن تفيد التّوكيد واليقين.

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾: أنا: بصيغة المفرد للدلالة على التّوحيد، الله: اسم العلم الدّال على ذات الله العليَّة واجب الوجود، اسمه الجامع لكل صفاته وأسمائه الحسنى.

﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: رب بصيغة توحيد الرّبوبيـــة والرّب الخالق الرّزاق والمدبر والمربي، فهو سبحانه جمع بين الألوهية والرّبوبية معاً واصفاً ذاته العلية قبل أن يوحي إلىٰ موسىٰ ما أوحىٰ، وفي ذلك تثبيت لقلب موسىٰ في ذلك المقام الرهيب.

ولو قارنا هذه الآية من ســـورة القصـــص مع آيات ســـورة النمل لوجدنا اختلافات أخرىٰ مثل:

في سورة القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [آية:٣٠]، في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾.

في ســـورة القصص: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [آية:٣٠]، في سورة النمل: ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [آية:٨].

في ســـورة القصص: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية:٣٠]، في ســـورة النمل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية:٩].

تفســـير ذلك: أتاها (وهو في طريقه لم يصل بعد): ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولما جاءها (وصل إلىٰ النـــار): ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: وأن: تدل علىٰ البطء، وعدم التســـرع، ورأينا هذا في سورة الأعراف الآية (١١٧): ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ﴾، بينما في ســـورة النمل قال تعالىٰ لموسىٰ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ﴾ التي تدل علىٰ المباشرة في النداء بدون استعمال (أن).

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما بمعنىٰ حين.

﴿رَءَاهَا﴾: رأىٰ العصا قد تحولت إلىٰ حية تهتز كأنّها جانٌّ تتحرك كالجان أو حركة الجان، أي: بسرعة شديدة يمنة ويسرة.

﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾: انصرف راجعاً مولّياً ظهره للحية.

﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾: ولم يلتفت إلىٰ الوراء.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ﴾: ناداه ربه: يا موسىٰ ارجع ولا تخف من الحية، وكان ذلك في أول اختبار لموسىٰ مع العصا حيث ظهرت عليه علامات الخوف، وولىٰ هارباً كما رأينا في سورة طه آية (٢٠)، وسورة النمل آية (١٠).

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾: إنّك: للتوكيد. الآمنين: جمع آمن والآمنين جملة اسمية تفيد الثّبوت، أي: أمان ثابت مستمر.

ولو قارنا هذه الآية من سورة القصص مع آيات سورة النمل؛ لوجدنا اختلافات أخرىٰ مثل:

في سورة القصص: ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ [آية:٣١]، في سورة النمل: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ [آية١٠].

في سورة القصص: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ﴾ [آية:٣١]، في سورة النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ [آية:١٠].

في سورة القصص: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ [آية:٣١]، في سورة النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [آية:١٠].

أحداث ومشاهد لموقف واحد. ارجع إلىٰ سورة النمل وسورة طه للمزيد من البيان والمقارنة.

[٣٢] ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ

مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾:

هذه آية أخرىٰ إلىٰ فرعون وملئه.

﴿ ٱسْلُكْ ﴾: أدخل يدك في جيب قميصك (وهو الشّق الّذي يدخل معه الرّأس في الثّوب ليلبس) فتحة القميص العليا، والّتي تكون للرقبة يدخل منها الرّأس، وهكذا كان اللباس القديم. اسلك: أسهل من أدخل، واستعمل سلك؛ لأنه كان يعتري موسىٰ الخوف، ولأنه يريد أن يخفف عنه، فقال: اسلك بدلاً من أدخل التي تدل علىٰ الصعوبة.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾: بيضاء ناصعة منورة (وموسىٰ أسمر اللون).

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، غير سوء: من غير مرض مهما كان نوعه حتّىٰ لا يظن النّاس أنّها برص أو مرض أزال الله هذه الفرضية فقال: من غير سوء.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾: الجناح جناح الإنسان عضده وساعده، واضمم إليك جناحك (العضد والسّاعد) وهو الجناح إلىٰ صدرك يذهب عنك الخوف وتعود يدك لا نور فيها أي: اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء هذا هو الجزء الأول.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾: (طرفك العلوي) إلىٰ صدرك يختفي الرّعب والخوف وتعود يدك إلىٰ لونها العادي.

ولو قارنا هذه الآية من سورة القصص مع آيات سورة النمل لوجدنا اختلافات أخرىٰ مثل:

في سورة القصص: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ ﴾ [آية:٣٢]، في سورة النمل: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ [آية:١٢]. ارجع إلىٰ سورة النمل، وسورة طه لمزيد من البيان والمقارنة.

﴿فَذَٰنِكَ﴾: الفاء للتوكيد، ذانك: اسم إشارة للمثنىٰ والكاف للخطاب إشارة علىٰ معجزتي العصا واليد، فذانك تقرأ مخففة مثنىٰ ذاك أو تقرأ مشدَّدة مثنىٰ ذلك.

﴿بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾: البرهان: الحُجَّة القاطعة هو أعلىٰ درجات الإثبات، ويتضمن حسن عرض الحُجَّة، برهانان علىٰ قدرة الخالق الحق وعلىٰ صدق نبوة موسىٰ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: ولم يقل: إلىٰ فرعون وقومه؛ لأنّ الملأ هم أشراف القوم وسادتهم؛ أي: المحيطون بفرعون هم الملأ وهم أقل دائرة أو أصغر بكثير من دائرة القوم التي هي أوسع؛ أي: أكثر عدداً، فإذا آمنوا هم بموسىٰ أولاً فالقوم أتباع لرؤسائهم، فهم سيؤمنون كذلك ورؤية البرهانين يسهل تنفيذه أمام فرعون وملئه مقارنة بفرعون وقومه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: أي: فرعون وملئه كانوا فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالىٰ. الفاسقين: جملة اسمية تفيد الثّبوت والاستمرار. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لبيان معنىٰ الفسق والفاسقين.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسىٰ.

﴿رَبِّ إِنِّى﴾: إني للتوكيد.

﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: أي: الّذي وكزه حين دخل المدينة علىٰ غفلة من أهلها منذ أكثر من عشر سنوات. ارجع إلىٰ الآية (١٥) من نفس السّورة فهو لا يزال يذكر ذلك ولا يزال خائفاً.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: الفاء للتوكيد، أخاف: إذا رأوني، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، يقتلون: أي: يقتصون مني فيقتلون، ولم يقل: يقتلوني؛ لأنّ موسىٰ قوي البنية ولا يتوقع أن يقتل، ولو كان ضعيفاً، ولا يستطيع أن يقاوم لقال: يقتلوني. ارجع إلىٰ الآية (١٥٠) من سورة الأعراف للمقارنة.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أبْيَنُ وأطلقُ مني لساناً في الكلام وإقامة الحُجَّة والبرهان للدعوة وتبيان الحق وتبليغ الرسالة.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، أرسله: حتىٰ يكون معاوناً مساعداً لي أي: مُعيناً لي حين أذهب إلىٰ فرعون وملئه، الرّدء المعين يقال: ردَأت الحائط دعمته بخشب أو حجارة لئلا يسقط.

﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: لا يعني أن يصدق أخيه، فهذا لا فائدة منه ولا يقول أمام الملأ لأخيه: صدقت.

وإنما يصدقني يعني: يوضِّح ويبيِّن ما أقوله لهم إذا احتاج الأمر ويجادل ويبلغ معي رسالتك.

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ﴾: الخوف: هو الشّعور الّذي ينتاب النّفس من توقُّع الضرر أو العقاب المشكوك في وقوعه.

﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾: حذف الياء؛ لأنّ هناك من سيصدقه وأكبر دليل علىٰ أنّ السّحرة آمنوا له، وكذلك بنو إسرائيل ومؤمن آل فرعون وامرأت فرعون ولو كذبه الكل لقال: أخاف أن يكذبوني.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه لموسىٰ.

﴿سَنَشُدُّ﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: العضد من الكتف إلىٰ المرفق: وقوة اليد مستمدة من قوة العضد كلما قوي العضد تقوىٰ اليد، وقوة اليد تعني الغلبة، فقوله تعالىٰ: سنشد عضدك بعضد أخيك، أي: سنقويك أو سنعينك بأخيك هارون، الباء للإلصاق والمصاحبة، وكلّ مُعين يعتبر عَضُداً، ولن نكتفي بذلك وسنؤيدك بآياتنا.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾: هو الحجة القوية التي لا تدحض لقوة دلالتها، والسّلطان هو إما سلطان الحُجَّة والبرهان أو سلطان القوة والقهر، والسّلطان هنا يعني سلطان الحُجَّة والبرهان، أي: اذهبا بآياتنا اليد والعصا وغيرهما فهي سلطان لكما. فتكونا أنتما ومن اتبعكما الغالبين.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافية.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: بسوء أو أذىٰ أو قتل، حين يرون تلك المعجزات يخافون أن يمسوكم بسوء.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: الباء باء السّببية أو التّعليل بآياتنا.

﴿أَنتُمَا﴾: موسىٰ وهارون.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا﴾: من المؤمنين.

﴿الْغَالِبُونَ﴾: المنصورون الغالبون علىٰ عدوكم بالحُجَّة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات:١١٦].

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ
لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

سورة القصص [الآيات ٣٦ - ٤٣]

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للمباشرة، لما: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: بالآيات التّسع: العصا واليد، والسنين والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدّم، ونقص في الثمرات.

﴿قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ﴾: ما: النّافية، الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: سحر: ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه.

﴿مُّفْتَرًى﴾: مختلق كذب وليس آية أو بينة أي: سحر افتريته كسائر أنواع السّحر؛ لأنّه أثر في نفوسهم وكانت آيات خارقة للعادة، وكانوا يظنون كلّ شيء خارقاً للعادة سحراً أو يشبه السّحر.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما يفيد توكيد النّفي.

﴿سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾: بالذي تدعونا إليه إلى عبادة الله وحده (أي: بالتّوحيد)، والباء بهذا: للتوكيد.

﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في ظرفية، أيْ: ما سمعنا أحداً من آبائنا على هذا

الدّين أو يتكلم بما تقــول فهم قد حاروا وضاقت بهم الحجج للإجابة على هذه الآيات إلا بزعمهم الكاذب أنّها ســحر أو أنهم ما ســمعوا بهــذا التوحيد الذي يدعوهم إليه من آبائهم.

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾:

قال موســىٰ راداً علىٰ قولهم: ما هذا إلا سحر مفترىٰ، وما سمعنا بهذا في آبائنا، قال: ربي أعلم بمن جاء بالهدىٰ.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾: بدلاً من القول قال موســىٰ جاء بالواو: للتوكيد، علىٰ قول موسىٰ: أنّه الحق، وما زعم فرعون ومَلَؤُهُ أنّها سحر هو الباطل.

﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ ﴾: لــم يقل موســىٰ ويعلن لهم أنا جئتكم بالحق وأنتــم علىٰ ضلال أو أنا علىٰ حق وأنتم علــىٰ باطل، وإنما قال: ربي أعلم بمن هو علىٰ الهدىٰ، وبمن هو علىٰ الباطل، وهذا أسلوب من أساليب الدّعوة إلىٰ الله، وخطاب النّاس والحوار باللين والرّحمة فهو أطلق القول وترك للعقول أن تميز وتختار ما تشــاء، أعلم بمن: الباء للتوكيد، من: اســم موصول بمعنىٰ الّذي، ولم يقــل: يعلم، بل قال: أعلم بصيغــة المبالغة، جاء بالهدىٰ من عنــده؛ أي: من عند الرب فهو أعلم من هو المهتــدي ومن جاء بالحق ولم يقل لهم: أنا جئت بالهدىٰ مع العلم أنّه جاء بالهدىٰ من عند ربه، من عنده: ولم يقل: منه، من عند أخص وأقرب. ومنه تســتعمل للشــيء العام والهدىٰ شيء خاص ومهم جداً، ولذلك استعمل من عنده وأحياناً يستعمل من لدنه.

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: مـــن: بمعنى الّذي أنا أم أنتـــم، تكون له عاقبة الدّار: الدّار الآخرة أي: الجنة، فالدّار الدّنيا مزرعة للحسنات والسّيئات والعاقبة إما الثّواب أي: الجنة أو العقاب والعذاب.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إنّـــه للتوكيد، لا يفلح: لا النّافية، يفلح: لا يفوز بعاقبة الدّار (الجنة) الظّالمون: الكافرون أو المشركون، الظّالمون: جملة اسمية تفيد الثّبوت والاستمرار.

والظالمون: جمع ظالم والظالـــم كلّ من يخرج عن منهج الله يعتبر ظالماً لنفسه.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: وقـــال فرعـــون: ارجع إلى ســـورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. يا النّـــداء، والهاء: للتنبيه، الملأ: أعيان القوم ورؤساؤهم وزعماؤهم ممثلو الشّعب. ارجع إلى سورة الشّعراء آية (٣٤).

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿عَلِمْتُ لَكُم﴾: لكم تفيد الخاصة، اللام لام الاختصاص، والعلم هو اعتقـــاد فرعون الباطل أنّه هو الإله وليس هناك إله آخر، ولم يقل: ما عرفت لكم. العلم يتعلق بالصفات أو الأوصاف والمعرفة بالذوات.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية للتوكيد.

﴿إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾: معبود سواي.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾: هامان: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة للبيان.

أوقد لي يا هامان على الطّين: أي: اصنع الأَجُر المشوي.

﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾: أي: ابن لي قصراً عالياً أو برجاً عالياً، وكما قال تعالى في سورة غافر آية (٣٦-٣٧): ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾.

﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: لعلّي للتعليل، وفيها معنى عدم التّأكد وغير جازم لعلّي أصعد إليه أو أقف عليه وأنظر إلى إله موسى الّذي يدعيه، وأراد بذلك القول التّهكم والاستهزاء بموسى.

وقبل بناء الصّرح وقبل أن يحاول أن يرى إله موسى حكم على موسى بأنّه من الكاذبين.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾: إنّي للتوكيد، لأظنه: اللام لزيادة التّوكيد، أظنه: الظّن هنا يعني اليقين أو الاعتقاد الرّاجح في عقل فرعون أنّ موسى من الكاذبين.

﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: من ابتدائية، الكاذبين: في قوله أنّ هناك إلهاً آخر غيري أو في إثباته أنّ هناك إلهاً غيره. والكاذبين: جملة اسمية تفيد الثّبوت، أيْ: صفة الكذب ثابتة وملازمة لأقواله وأفعاله.

والسّؤال: هل بنى هامان له الصّرح؟ طبعاً لا، وإنما قال ذلك افتراء وسخرية

من موسىٰ ليصرف أنظار الملأ عن موسىٰ عليه السلام، وهو أيْ: فرعون يعلم أنّ له رباً خالقه وخالق غيره، ويعلم بصحة قول موسىٰ عليه السلام، ولكن استكباره هو الّذي منعه من تصديق موسىٰ عليه السلام.

ولنقارن هذه الآية مع آية أخـرىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر:٣٦ـ٣٧].

في سورة القصص قال: وإني لأظنه من الكاذبين.

وفي سـورة غافر قال: وإني لأظنه كاذباً، ما هو الفرق: من الكاذبين أقوىٰ في التّوكيد مـن كاذباً. لأنّه طلب من هامان بناء الصرح أمـام الملأ فأكّد بقوله: من الكاذبين، أمّا في سـورة غافر فحين طلب من هامان بناء السّـد لم يكن الملأ حاضراً.

طلب فرعون من هامـان ببناء الصّرح يدل علىٰ مـدىٰ جهل فرعون بالله وصفاته، ودل علىٰ غباوته حيث ظن أنّ الله سـبحانه في مكان ما وأنّه يسـتطيع رؤيته من ذلك الصّرح، ويدل علىٰ غبـاوة ملئه حيث كانوا يصدقونه فهو جاهل وهم أجهل منه؛ لأنّه يستخف بعقولهم.

[٣٩] ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: اسـتكبر فرعـون وجنوده في أرض

مصر من دون مبرر للكبر، استكبروا لأنّهم ظنوا أنه لا بعث ولا حساب ولا عقاب، وأنّهم لا يُرجعون، والاستكبار هو إظهار عظم شأنهم فوق ما يستحقون.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أيْ: بالباطل والإثم والعدوان، والقتل والفساد والظّلم، وهل هناك استكبار بحق ربما مثلاً حين يستكبر إنسان ما لحماية الضّعيف أو يفعل ذلك لكف ظالم عن ظلمه، والاستكبار الحق لله تعالىٰ وحده.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: فرعون وجنوده، من الظّن: والظّن هو الاعتقاد أو الظّن الرّاجح. المبني علىٰ الباطل ومن دون دليل وبرهان.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا﴾: أنّهم للتوكيد، إلينا: تقديم إلينا للحصر، إلينا وحدنا.

﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾: لا النّافية، يُرجعون: للمحاسبة ونيل العقاب، يرجعون رغم أنوفهم وبغير إرادتهم (بعكس لا يَرْجعون بفتح الياء الّتي تدل علىٰ إرادة الرّجعة إلىٰ الله من دون إكراه، أيْ: برغبة.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، أخذناه: الأخذ يعني: الانتقام بشدة وبقوة؛ أي: بالغرق أهلكناه وجنوده أي: الأخذ شمل الجميع فرعون وجنوده.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، النّبذ: هو إلقاء الشّيء، استهانة به واستغناء عنه؛ لأنّه ليس له أهمية؛ أي: أغرقناهم.

﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: في البحر.

﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، انظر نظرة قلبية فكرية.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتّعجب.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: حين يذكر العاقبة في القرآن يعني: العذاب بأن يقول كان عاقبة، وحين يؤنث العاقبة بأن يقول كانت عاقبة يعني: حسن العاقبة أو الجنة، الظّالمين: المشركين الكافرين، الظّالمين: جملة اسمية تفيد الثّبوت. جمع ظالم والظالم هو كلّ من خرج عن منهج الله.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: أيْ: في الدّنيا قادة في الكفر أو قدوة أو دعاة أيْ: فرعون وملأَه، أئمة: جمع إمام وهو من يؤتم به. وعادة يكون إماماً في الخير ويدعو إلىٰ الحق، وليس إماماً في الشّر ويدعو إلىٰ الباطل والضلال.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: أي: الرؤساء يدعون أولياءَهم أو أتباعهم ليسلكوا طريقهم في الكفر والشّرك والمعاصي، أيْ: هم أئمّة ودعاة إلىٰ النّار في الدنيا، وهذه الإمامة سوف تستمر في الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ﴾ [هود:٩٨].

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا يجدون ولياً ولا نصيراً، ينصرهم أو يمنعهم من العذاب أو يحميهم أو يدافع عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾:

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: أيْ: طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا

في الدّنيا فانتهى بهم الأمر إلى الغرق، وأتبعناهم قد تعني كلّ من جاء خلفهم لعنهم في هذه الدّنيا، لعنة باقية دائمة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم﴾: للتوكيد، من المقبوحين: المطرودين أيضاً عن رحمة الله في الآخرة ومأواهم جهنم وبئس المصير، إذاً أتبعناهم في هذه الدّنيا لعنة ولعنة أخرى يوم القيامة.

﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: جمع مقبوح ومبعد مطرود عن الخير أو رحمة الله، وقد تعني مشوّهين الخلقة. كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[طه:١٠٢].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. وانظر إلى مجيء الجملة الفعلية (واتبعناهم) ثم مجيء الجملة الاسمية بعدها (من المقبوحين) للدلالة على أن اللعنة انتهت بهم إلى الغرق، وأما القبح الذي سيحصل لهم يوم القيامة سيكون دائماً ثابتاً لا يزول.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، قد: للتحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: آتينا: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة معنى الإيتاء والعطاء، الكتاب: التّوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: من ابتدائية، وتعني: القرب.

﴿مَآ﴾: النّافية.

﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾: قوم نوح وعاد وثمود ومدين ولوط.

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾: جمع بصيرة؛ أي: البينات والآيات الكاملة العلم والمعرفة التي توضح أو تميز الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، والرشاد من الغي؛ أيْ: كتاب التّوراة فيه بصائر لبني إسرائيل، وليس بصيرة واحدة، يبصرون فيه كلّ ما يحتاجونه في أمور دينهم ودنياهم؛ أي: وفيه آيات واضحة دالة على وجود الخالق الحق ووحدانيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد من البيان في معنى بصائر.

﴿وَهُدًى﴾: مصدر هداية، يهدي للحق وللغاية.

﴿وَرَحْمَةً﴾: وقاية من الوقوع في المعاصي أو لدفع الضّر وجلب ما يسر.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلَّ للتعليل، يتذكرون: أيْ: لعلهم لا ينسون ما أنزل عليهم في التّوراة من المنهج والعمل بها وعدم الغفلة عن الأوامر والنّواهي والأحكام.

❖ ❖ ❖

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

سورة القصص [الآيات ٤٤ - ٥٠]

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

﴿وَمَا كُنتَ﴾: ما النّافية، كنت يا رسول الله ﷺ حاضراً (ولو مجرَّد الحضور).

﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾: من البقعة المباركة من الشّجرة بجانب الطور الغربي الذي تم فيه الميقات.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للماضي. بمعنى حين.

﴿قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: قضى بمعنى أمرنا أو أعلمنا موسى، أيْ: كلمنا موسى بالرّسالة وبالذّهاب إلى فرعون وملئه ودعوتهم للإيمان، ومن معاني قضى: حتم، أمر، صنع، حكم، أعلم، انتهى.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: جمع شاهد والشّاهد للشيء يعني: عالماً به، أيْ: لم تكن عالماً بما أمرنا موسى وأعلمناه، أيْ: لم تكن حاضراً ولا شاهداً حينما كلم الله سبحانه موسى، والفرق بين حاضر وشاهد فقد تكون حاضراً وغير منتبه لما يحدث حواليك أو مراقباً، وأمّا الشّاهد فهو يعلم ما يحدث حواليه ويراقب، وتكرار ما كنت لتوكيد النّفي وفصل كلّ من الحضور والشّهادة أو كلاهما معاً.

[٤٥] ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾:

﴿ وَلَٰكِنَّآ ﴾: الواو استئنافية، لكنا: لكن: للاستدراك، والنّون في لكنا: نون الجمع، نون التّعظيم.

﴿أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: الإنشاء هو الإيجاد والصّنع وفيها معنى التّكوين والنّمو والتّطور من بعد موسى، قروناً: عديدة وليس قرناً واحداً، جمع قرن والقرن: القوم الّذي يعيشون في زمن واحد، والقرن يعادل (١٠٠) عام، فتطاول عليهم العمر: أي: انقطع الوحي عنهم لأمد طويل أو طالت أعمارهم فنسوا العهود والشّرائع الّتي جاء بها أنبياؤهم.

انتبه هنا حدث حذف المستدرك بعد لكن، وهو فأرسلناك أو جئنا بك رسولاً إلى كافة النّاس بشيراً ونذيراً، وجاء بالسّبب على إرسال الرّسول محمّد ﷺ بدلاً من المستدرك، فيكون تقدير الكلام: وما كنت بجانب الغربي وما كنت من الشّاهدين، ولكنا أرسلناك إليهم كافة بعد أن تطاول انقطاع الوحي عنهم ونسيانهم العهود والشّرائع الّتي جاء بها أنبياؤهم من قبل، ثمّ ذكر تعالى استدراكين آخرين بعد ذلك فقال: وما كنت ثاوياً في أهل مدين وما كنت بجانب الطّور إذ نادينا، وأوحينا إليك، أيْ: أعلمناك بما جرى لموسى في مدين، وبما جرى له بجانب الطّور.

فأنّى لك العلم بذلك لأنك ما كنت ثاوياً في أهل مدين:

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾: مقيماً. والثواء: الإقامة مع الاستقرار، والمثوى: مكان الإقامة.

﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾: أيْ: تقرأ عليهم آياتنا الّتي أُخبرت بها عن النّبي شعيب وما قال قوم شعيب وحدث لهم.

﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: ولكنا أرسلناك وأخبرناك بقصتهم أو بما حدث لهم لتكون برهاناً ودليلاً على صدق نبوتك ورسالتك.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: ما كنت: ارجع إلى الآية (٤٤) السابقة. بجانب الطور: بجانب الجبل الذي كلمه الله سبحانه موسى، والطور: أقل من الجبل حجماً وارتفاعاً. إذ: ظرف للزمن الماضي بمعنى حين نادينا موسى، ولكن نحن أخبرناك بذلك، وأرسلناك وكلا الأمرين رحمة من ربك.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ اللام لام التّعليل والتّوكيد، قوماً ما (النّافية)، أتاهم من نذير أتاهم: العرب أو أهل مكة.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: أيْ: لم يُرسل إليهم رسول من قبلك ينذرهم، وهذا هو الثّابت، فلم يأت العرب رسولٌ بعد إسماعيل إلا أنت لتنذرهم كما أنذر آباؤهم.

والإنذار: هو الإعلام مع التّحذير.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلهم: للتعليل، لعلهم يتذكرون ما أنذروا به ولا ينسونه مرة أخرى، ولعلّهم يتذكرون ما حدث لموسى وفرعون وملئه والأقوام الّتي أُهلكت من بعدهم ولا ينسون ذلك، فيؤمنون بالله ويتوبون إليه.

[٤٧] ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: الواو عاطفة، لولا: حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لعدم إرسال رسول إليهم من قبلك ينذرهم ويحذرهم ويبيِّن لهم ما هو مطلوب منهم.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: الباء تعليلية، ما قدَّمت أيديهم: أي: ما قدَّمت أيديهم يؤهلهم لأن تصيبهم مصيبة إنزال العذاب بهم، ولكنا لم نفعل ذلك لأننا ما أرسلنا إليهم رسولاً، ولو عذَّبهم الله تعالىٰ دون إرسال رسول إليهم لكانت حُجَّة لهم لعدم إرسال الرّسول.

﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ لولا: أداة حضٍّ وتحريضٍ وحثٍّ، أيْ: هلا أرسلت إلينا رسولاً يبيِّن لنا المطلوب منا ويبيِّن لنا الإيمان والتّوحيد.

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾: أيْ: نؤمن بك ونعمل بهديك ونكون من المؤمنين، وقد قيل: لا عقوبة إلا بتجريم ولا تجريم (الشعراوي) وذكرته الكثير من القوانين الدولية؛ إلا بنصٍّ ولا نصَّ إلا بإعلام، ولا يعذر أحد بالجهل بالقانون، ولا يُعفىٰ من العقاب.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: الرّسول ﷺ الّذي كانوا ينتظرونه؛ أي: هو ﷺ الحق لا غيره.

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: أهل مكة والمشركون الّذين لم يأتهم رسول من قبلك كما

ادعوا على وجه التّعنت والاستكبار، وليكون حُجَّة لهم على استمرارهم على الشّرك والكفر.

﴿لَوْلَآ﴾: أداة حضٍّ وحثٍّ.

﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: لولا أوتي محمّد ﷺ مثل ما أوتي موسى من المعجزات والآيات الكثيرة كالعصا واليد والمن والسّلوى وشق البحر أو التّوراة جملة واحدة.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: أو لم: استفهام إنكاري، والواو في أولم لزيادة إنكارهم بما أوتي موسى، لم: النّافية، يكفروا بما أوتي موسى في التّوراة في نعت وصفات محمّد ﷺ، أو يكفر أمثالهم من اليهود بما أوتي موسى في تلك الآيات، ولم يؤمنوا بها.

﴿مِن قَبْلُ﴾ في زمن موسى أو حين أخبر بعض مسلمي أهل الكتاب مشركي مكة أن نعت محمّد ﷺ في التّوراة، فلم يؤمنوا به وقالوا: سحران تظاهرا.

﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾: قالوا: أي: مشركو مكة ومن قبلهم قوم فرعون، قالوا: القرآن والتّوراة سحران تظاهرا: انتشرا وتعاليا وصدق كلّ منهما الآخر، وإنا بكل من القرآن والتّوراة كافرون أو بمحمد ﷺ جاء بسحر، وموسى عليه السلام جاء بسحر.

[٤٩] ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ أيْ: للكافرين بالقرآن والتّوراة: إن لم تؤمنوا وتصدّقوا بالقرآن والتّوراة.

﴿فَأْتُوا۟﴾: الفاء للتوكيد، أتوا: من الإتيان: أحضروا إليّ أو أنزلوا عليَّ.

﴿بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: بكتاب ثالث: الباء للإلصاق، كتاب نكرة، أيْ: كتاب على شرط أن يكون من عند الله أوّلاً.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾: الشّرط الثّاني أهدىٰ من كلاهما كي أتبعه.

﴿أَتَّبِعْهُ﴾: أي: كي أتبعه وأدين به إن كان أبلغ وأهدىٰ من القرآن إن كنت من الصادقين.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية تستعمل للأمر المشكوك فيه؛ أي: صادقين أنّهما سحران تظاهرا.

[٥٠] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الشّك والاحتمال والنّدرة، أيْ: يستجيبوا لك.

﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾: يستجيبوا لطلبك بالإتيان بكتاب هو أهدىٰ منهما ومن عند الله تعالىٰ. وانتبه إلىٰ كيف فصل بين فإن وبين لم في هذه الآية بينما جمع بين فإن وبين لم في سورة هود آية (١٤) فقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾، وقيل في تفسير ذلك: أنه فصل بينهما؛ لأن المخاطب في آية القصص رسول الله ﷺ وحده ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾، والسياق في الإتيان بكتاب أهدىٰ من القرآن والتوراة. وأما في آية هود المخاطب الجمع لقوله ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾، (ولم يقل لك)، والسياق في أمر واحد (١٠ آيات) وليس أو بين؛ فريما جمع بين فإن ولم فقال: فإلم لهذه الأسباب والله أعلم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا﴾: الفاء للمباشرة، أنما: كافة ومكفوفة تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: جمع هوىٰ، والهوىٰ: ما تميل إليه النفس باطلاً وبلا دليل، وبعيد عن الحق، والهوىٰ: يغلب عليه الذم، ويختص بالأداء والاعتقادات.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: من استفهامية بمعنىٰ النّفي، أيْ: لا أضل منه أحد، أو ليس هناك أشد ضلالاً ممن اتبع هواه.

﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بغير حُجَّة أو دليل من كتاب من الله تعالىٰ أو رسوله ﷺ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنّ للتوكيد، لا يهدي: لا النّافية لكلّ الأزمنة، يهدي القوم الظّالمين: أيْ: هداية الإيمان والتّقوىٰ، أيْ: إنّ الله لا يهدي هؤلاء الّذين اختاروا طريق الضّلالة والشّرك واستقاموا عليه وابتعدوا عن طريق الإيمان والتّقوىٰ بعيداً، ولم يتوبوا وينيبوا إلىٰ الله فلا تتوقع أن يهديهم الله سبحانه بعد أن ضلوا ضلالاً بعيداً. ارجع إلىٰ سورة الجمعة آية (٥) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

الحزب ٤٠

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى الْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

سورة القصص [الآيات ٥١ - ٥٩]

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق، وصلنا: بالتّشديد وهناك من قرأها بالتّخفيف أيْ: ربطنا آيات القرآن بعضها ببعض، أو أنزلناه بشكل متواصل بلا انقطاع يتبع بعضه بعضاً على مدة (٢٣) عاماً.

﴿لَهُمُ﴾: اللام لام الاختصاص قريش والعرب.

﴿ٱلْقَوْلَ﴾: القرآن. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٦٨) لمزيد من البيان في معنى القول.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: للتعليل. الضمير يعود على قريش أو أهل الكتاب.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون ويتذكرون فلا ينسون، ولعل تكرار التّذكرة لهم يفيدهم فيؤمنون ويصدقون بربهم. يتذكرون، ولم يقل تتذكرون، بتاء واحدة؛ لأنهم لا يحتاجون إلى طول تذكر (زمن أطول) لاتباع أو تذكر ما أنزل إليهم من ربهم؛ لأننا أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً بشكل متواصل.

[٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الّذين اسم موصول، آتيناهم الكتاب: (أي: اليهود والنّصارى) كتاب التّوراة والإنجيل من الّذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: أيْ: من تفيد الزّمن القريب، قبله: تعود إلى القرآن أيْ: من قبل نزوله.

﴿هُم بِهِۦ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، هم: أمثال عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من أهل الكتاب، به: بالقرآن أو بمحمّد ﷺ أو كلاهما فمن يؤمن بأحدهما يؤمن بالآخر.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون به لكونه مطابقاً لما ذكر في كتبهم التّوراة والإنجيل.

[٥٣] ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني، يتضمن معنىٰ الشّرط ويفيد الحتمية.

﴿يُتْلَىٰ﴾: يقرأ القرآن عليهم أيْ: علىٰ المؤمنين من أهل الكتاب، وهناك فرق بين التّلاوة والقراءة التّلاوة من القرآن فقط ولها أجر كلّ حرف بعشر حسنات والتّلاوة تعني: قراءة الآية تلو الأخرىٰ؛ يتلىٰ عليهم بشكل متجدد ومتكرر.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾: أعلنوا إيمانهم وتصديقهم بالقرآن وبما أنزل فيه، ولم يقولوا به آمنا تقديم به يفيد الحصر؛ لأنه عليهم أن يؤمنوا بالقرآن وبالله وبرسله وكتبه.

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾: إنّه: للتوكيد وتعود علىٰ القرآن وعلىٰ محمّد ﷺ، الحق: أي: الوحي الأمر الثّابت الّذي لا يتغير المنزل من الله تعالىٰ.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾: إنا: للتوكيد والمدح من قبل نزول القرآن أو من قبل مجيء رسول الله ﷺ وقد تعني كلا الأمرين.

﴿مُسْلِمِينَ﴾: لله وحده ومخلصين موحدين ومسلمين: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت.

[٥٤] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وتشير على مؤمني أهل الكتاب الّذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل على محمّد ﷺ ويؤمنون بما أنزل إليهم من التّوراة والإنجيل.

﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: الإيتاء هو العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

الأجر: مقابل العمل الأجر: الثّواب، مرتين: أيْ: أجرهم مضاعف؛ لأنّهم آمنوا بما أنزل إليهم وآمنوا بالقرآن، أو لأنّهم آمنوا بموسى وبمحمّد عليهم السلام.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: الباء للإلصاق أو السّببية، صبروا: على إيذاء قومهم وعلى طاعة ربهم وإيمانهم.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: الدّرء: الدّفع بسرعة أي: لا ينتظرون زمناً طويلاً بعد فعل السّيئة حتّى يفعلوا الحسنة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]، ويكون ذلك بالتّوبة والإنابة إلى الله بسرعة، أما الفرق بين الدّفع والدّرء فهو: أن الدّفع يكون بقوة وشدة، والدّرء يكون بسرعة.

ويدرؤون بالحسنة السّيئة قد تعني: يقابلون المسيء إليهم بالقول الحميد والعمل الصّالح ولا يقابلون السّيئة بالسّيئة.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠١) لمزيد من البيان في معنى الحسنة.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: من بعضية أيْ: من بعض ما رزقناهم، ينفقون: بالصّدقات والزّكاة والإنفاق على أعمال الخير، ومما رزقناهم ينفقون أوسع

وأشـــمل من القول ويؤتون الزّكاة، يؤتون الزّكاة تنطوي تحت آية ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: وبصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والاستمرار.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

لازالت الآيات تتحـــدث عن مؤمني أهل الكتـــاب وغيرهم من المؤمنين (العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب).

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للماضي والحاضر والاستقبال وشرطية تفيد حتمية وقوع ما بعدها؛ أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾: سمعوا الكلام السّقط الّذي لا فائدة منه، واللغو: السّب والشّتم والكلام السّيِّئ القبيح.

ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٣) لبيان معنى اللغو.

﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: لم يصغوا إليه أو حاولوا تجنبه والابتعاد عنه.

﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: أيْ: أعرضوا عنه ولم يشـــاركوا فيه، ولم يكتفوا بذلك وقالوا: لنا أعمالنا ولكـــم أعمالكم، أي: لا تزر وازرة وزر أخرى، أو لكم دينكم ولنا دين، أيْ: يتبرؤون مما يعمله الآخرون من الشّـــرك أو اللغو أو الباطل أو الكلام المحرم.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: ســـلام توديع ومفارقة وليس سلام تحية، ســـلام عليكم: لأصحاب اللغـــو كقول إبراهيـــم لآزر: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم:٤٧]، لا نبتغـــي الجاهليـــن: لا النّافيـــة، أيْ: لا نريد صحبتهم ولا الجلوس إليهم أو الاستماع إلى لغوهم، ولا نريد أن نكون من أمثالهم فنكون من

الجاهلين، أي: أصحاب السّفه والطّيش. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٦٣) لبيان معنىٰ الجاهلين، وارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٦٤).

[٥٦] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:

أسباب النّزول: كما في الصحيحين، وأجمع المفسرون أنّ هذه الآية نزلت في أبي طالب عم الرّسول ﷺ حين طلب منه ﷺ أن يشهد أن لا إله إلا الله فلم يفعل أبو طالب، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد والمخاطب رسول الله ﷺ.

﴿لَا تَهْدِي﴾: لا النّافية، تهدي: هداية الدّخول في الإسلام والشّهادة، هداية الإيمان والتّوفيق، أي: الهداية الخاصة، أمّا هداية الدّلالة والإرشاد فهذه يمكن القيام بها، مثلاً: تدل إنسان علىٰ الإسلام وتبيِّن له محاسنه ومكارمه وشروطه، ولكن لا تستطيع أن تدخله في الإسلام هذا بيد الله تعالىٰ. إذن هداية التّوفيق بيد الله تعالىٰ، وهداية الدّلالة والإرشاد فهذه بيد الرّسول ﷺ وغيره من المؤمنين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: من: ابتدائية، أحببت إشارة إلىٰ أن النّبي ﷺ يحب عمَّه أبا طالب، أيْ: لا تهدي من أحببت هدايته رغم أنك تحبه.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك للتوكيد.

﴿اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: يهدي هداية التّوفيق والمعونة الهداية خاصة من استغراقية كلّ من يشاء.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: وهو للتوكيد أعلم علىٰ وزن أفعل، بالمهتدين من خلقه في الماضي والحاضر والمستقبل.

لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة القصص والآية (٥٢) من سورة الشّورىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الآية في سورة القصص تتحدث عن الهداية الخاصة هداية الدّخول في الإسلام والآية في سورة الشّورىٰ تتحدث عن الهداية العامة، والدّعوة إلىٰ التّعريف بالإسلام والتّبليغ. ارجع إلىٰ سورة الشورىٰ آية (٥٢) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: أيْ: ناس من قريش كما قال ابن عباس.

﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك؛ أي: تستعمل في الأمر المشكوك في حدوثه. نتبع الهدىٰ معك: إن دخلنا في دينك وآمنا بك واتبعناك وخالفنا العرب ونحن قلة.

﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾: ولم يقولوا نُخطف من أرضنا، وإنما نتخطف مبالغة في الخطف، والتخطف: الانتزاع بسرعة؛ أيْ: نخاف أن ننتزع بسرعة من أرضنا وندخل في حرب مع أعدائك، وقد نُقتل أو نؤسر، وهذا مجرَّد ظن وحُجَّة لعدم إسلامهم وعذر باطل؛ لأننا مكنا لهم حرماً آمناً، ويدل علىٰ شدة خوفهم من الهلاك أو الأسر. من أرضنا: من مكة.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: أو لم استفهام للإنكار عليهم والتّقرير، والواو للتوكيد، نمكن: من التّمكين ويعني الاستخلاف والحكم والقدرة علىٰ ممارسة شعائر الدّين والأمن والغنىٰ في مكة، كقوله تعالىٰ: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾: الحرم المكي، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: يجبىٰ: من جبىٰ الماء أيْ: جمعه، تحمل

إليه وتجمع فيه كلّ أنواع الثّمار من سائر البلدان وكلّ أصناف الطّعام والشّراب والرّزق والمتاع، وتقديم إليه يفيد الحصر.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾: رزقاً خاصاً من عند الله، من لدنا ولم يقل رزقاً منا؛ لأنّ هذا الرزق رزق عام.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن للاستدراك والتّوكيد، أكثرهم: قريش وغيرهم، لا يعلمون: أنّ الرّزق والأمن والقتل والموت والحياة كلّه بيد الله ومن عند الله، ولو علموا ذلك لما خافوا الفقر والتّخطف، ولما قالوا ذلك ولكن علتهم الجهل بعظمة الله والشّرك. وهناك القلة الذين يعلمون ذلك.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو استئنافية، وكم هنا هي كم الخبرية وتفيد الكثرة، أيْ: كثير من القرىٰ أهلكناها والقرية تعني: البنيان وأهل القرية معاً.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية.

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: أي: كفرت بأنعم الله، والبطر: قيل: هو سوء استعمال النّعمة وعلىٰ رأسها عدم شكر المنعم أو استعمال النّعمة في معصية الله، أو أن يرىٰ النّعمة أقل من مستواه أو تتجبر أو تتكبر علىٰ النّعمة فلا ترضىٰ بها، وتطلب أعلىٰ منها، والبطر: يشمل التّبذير والتّمرد والطّغيان، والأكل من رزق الله وعبادة غيره.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تلك: اسم إشارة واللام للبعد، مساكنهم: منازلهم.

﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأنّهم لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم من ولد

ولم يتركوا أحداً يسكن فيها، إلا أداة حصر قليلاً؛ أي: المسافرون ومارُّ الطريق كما قال ابن عباس.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾: نحن ضمير منفصل يفيد التّوكيد، الوارثين: أيْ: لم يتركوا من يرثهم وكنا نحن الوارثين بقيت مهجورة وخراباً.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: ما النّافية، كان ربك: أيْ: من السنن الكونية الثّابتة ما كان مهلك أهل قرية من القرىٰ حتّىٰ يبعث فيها رسولاً يتلو عليم آيات الله، وهذا هو الشّرط الأوّل، وأمّا الشّرط الثّاني: أن يكون أهلها ظالمين.

﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾: أيْ: مهلك أهلها. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنىٰ الهلاك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾: البعث يكون لإحياء منهج موجود سابقاً وذلك ببعث رسول أو نبي، أمّها: في العاصمة أو أمّ القرىٰ، أو أعظم القرىٰ. في أمها: ولم يقل: إلىٰ أمها؛ فهذا يدل علىٰ البعث المتواصل، وأكثر من رسول أحياناً.

ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنىٰ البعث.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: ولهدايتهم وتبيان ما أنزل الله تعالىٰ إليهم ودعوتهم للإيمان؛ لإلزام الحُجَّة وإقامتها عليهم وقطع المعذرة والإنذار بالهلاك.

﴿آيَاتِنَا﴾: الآيات التّشريعية أو آيات الكتاب والآيات الكونية والمعجزات أو البينات وإضافة الآيات إليه: تشريف لها وتعظيم لقدرها.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ﴾: ما: النافية لكل الأزمنة. كنا: في الماضي والحاضر والمستقبل. مهلكي: حذف النون للإيغال في النفي بدلاً من مهلكون؛ أيْ: حال كونهم ظالمين، وتكرار ما يفيد توكيد النّفي. القرىٰ: جمع قرية أيْ: أهلها. وقوله مهلك القرىٰ، ثم قوله تعالىٰ مهلكي القرىٰ: تدل علىٰ التوكيد الشديد لن يهلك الله سبحانه قرية أو قوماً بظلم أبداً.

﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ إلا: أداة حصر؛ أي: ما كنا مهلكي القرىٰ في كل حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين، لم يقل: يظلمون: ظالمون أيْ: أصبح الظّلم صفة ثابتة عندهم، يهلكهم حين يتمادون في ظلمهم ويستمرون عليه، ولا يتوبون، والظّلم يعني: الشّرك وفعل المعاصي والطّغيان والكبائر، والخروج عن منهج الله تعالىٰ. ولا ننسىٰ قوله تعالىٰ في سورة الأنعام آية (١٣١) ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: الإهلاك لا يقع مع الغفلة، بل لا بد أن يسبقه إرسال الرسل.

وقوله تعالىٰ في سورة هود آية (١١٧): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾؛ أي: الإهلاك لا يقع أبداً في حال كون أهل القرية مصلحين.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

سورة القصص [الآيات ٦٠ - ٧٠]

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: ما شرطية، أوتيتم من الإيتاء وهو العطاء من دون تملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان والفرق بين الإيتاء والعطاء، من: استغراقية تشمل كلّ شيء، وشيء نكرة يشمل المال والأولاد والزّينة والزّخارف والأنعام والخيل المسومة والمركبات والحدائق والدّور والقصور.

﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: متاع: تعريفه كلّ ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه، ويتمتع به من أثاث البيت والسّلعة والأداة وهو متاع زائل.

﴿وَزِينَتُهَا﴾: الزّينة تشمل المال والذّهب والحلي والفضة والزّينة الشّيء الزّائد عن الضّروريات، أيْ: إنّ الدّنيا وما فيها متاع وزينة كلّ ذلك زائل وفانٍ أو مجرَّد متاع وزينة مؤقتة وزائلة كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد:٢٠].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: ما: اسم موصول تستعمل للشيء غير محدد من الرضوان ورؤية وجهه الكريم، وما عنده من جنات النعيم وما فيها من الطّعام والشّراب والفاكهة والزّينة والقصور والحدائق (من نعيم الجنة)، خير وأبقى: أفضل ودائم لا ينقطع ولا ينفد ولا يزول ولا يقل.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التّعقل وتعجب من ترك التّفكير، ألا: أداة تحمل معنى التّنبيه والحضّ وبمعنى الأمر

أي: اعقلوا، والفاء في أفلا: للتوكيد، تعقلون: لأنّ الإنسان إذا فكر وعقل وتذكر وتدبَّر فسوف يصل إلىٰ الحقيقة، ومن عقل الشّيء عرفه بدليله ومنهجه بأسبابه ونتائجه، أفلا تعقلون تفهمون وتدركون أنّ ما عند الله خير فاسعوا إليه قبل فوات الأوان.

لنقارن هذه الآية (٦٠) من سورة القصص مع الآية (٣٦) من سورة الشّورىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: استعمل الواو استئنافية.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: الفاء في سورة الشّورىٰ تفيد التّعقيب.

في القصص: ذكر ثلاثة أمور بطرت معيشتها وزينتها، ثمّ ذكر زينة قارون ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ وانتهت الآية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لأنّ الآية في سياق قوم فرعون وقارون وأمثالهم.

في الشّورىٰ: لم يذكر الزّينة علىٰ الإطلاق، لأنّ الآية في سياق الّذين آمنوا وعلىٰ ربهم يتوكلون، فهؤلاء ليس غايتهم زينة الحياة الدّنيا.

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام تفيد إنكار التّسوية بين الّذي وعدناه وعداً حسناً والذي هو يوم القيامة من المحضرين في العذاب.

﴿وَعَدْنَٰهُ﴾: من الوعد والوعد يعني: بالخير إذا أطلق ولم يقيد، وإذا قيد قد يأتي في سياق الخير أو العذاب؛ أي: المؤمن الّذي يعمل الصّالحات.

﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾: الوعد الحسن الوعد بالجنة.

﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾: الفاء للتوكيد، وهو للتوكيد أيضاً، لاقيه: مدركه حاصل عليه محقِّقه.

﴿كَمَن﴾: الكاف للتشبيه، من اسم موصول بمعنى الّذي وتفيد العاقل.

﴿مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مُتِّع بشيء فانٍ وزائل أو يزول عن قريب أو متاع الغرور.

﴿ثُمَّ﴾: للبعد بين الوعدين الزّائل الفاني والباقي الدّائم، وقد تعني للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿هُوَ﴾: يفيد التّوكيد.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: في العذاب وفي جهنم جمع مُحضر مرغم على الحضور من قِبل الملائكة تحضره للحساب والجزاء. وكلمة المحضرين لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن، وكلمة من المحضرين تعني أيضاً لكي لا يظن أن بإمكانه الهرب.

[٦٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم (يوم القيامة).

﴿يُنَادِيهِمْ﴾: أي: الّذين أشركوا بالله.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: إضافة فيقول للتوكيد والاهتمام بما سيأتي خبره وكان بالإمكان حذفها والقول ويوم يناديهم: أين شركائي الّذين كنتم تزعمون، أين: استفهام إنكاري للتوبيخ والتّهكم، شركائي: من الأصنام أو الأوثان أو الطّواغيت والملائكة وغيرهم.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كُنتُمْ﴾ في الدّنيا.

﴿تَزْعُمُونَ﴾: أنّهم شركائي لي، تزعمون: من الزّعم وهو القول الّذي ليس له دليل وأقرب إلى الباطل والكذب أو ادّعاء العلم، أو تزعمون أنّهم سيشفعون لكم أو ينصرونكم أو يقربونكم إلى الله زلفى.

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: أيْ: أئمّة الضّلال، الرّؤساء أو المتبوعين الّذين أضلوا غيرهم وأغووهم.

﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: أيْ: وجب وثبت لهم العذاب في المستقبل ولم يقع بعد.

﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب، الآن يعترفون بربهم ويقولون: ربنا: نداء استعطاف.

﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾: الّذين اسم موصول، أغوينا: في الدّنيا، أيْ: أضللناهم في العقيدة والدِّين، والفساد والعدول عن الحق. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٤٢) للبيان، أغوينا.

﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: لنكون سواء في الخسران أغويناهم بالوسوسة والتزيين والضلال وليس بالقسر والقهر ولا فرق بين غيِّنا وغيِّهم هم غووا باختيارهم ونحن غوينا باختيارنا فنحن سواء.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾: تبرأنا إليك من عبادتهم وطاعتهم إيانا ومن أعمالهم وعقائدهم.

﴿مَا كَانُوٓاْ﴾: ما النّافية، كانوا في الماضي.

﴿إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾: بل كانوا يعبدون أهواءَهم ويقلِّدون آباءَهم.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾: لينصروكم أو يدفعوا عنكم العذاب أو ينقذوكم من الذّل والخسران، والقصد من هذا السؤال هو التّوبيخ والتّقريع.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: بالفعل نادوا عليهم فلم يستجيبوا.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: بأعينهم فاشتدت حسرتهم وبرزت الجحيم للغاوين، وودُّوا لو كانوا في الدّنيا مهتدين.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط وتمنٍّ.

﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾: أنّهم: أن للتوكيد، كانوا: في الدّنيا، يهتدون: أيْ: تمنوا لو اهتدوا ولو بعض الهداية، أو لو كانوا مسلمين كقوله تعالىٰ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

[٦٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٦٢) للبيان.

﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: استفهام وتقرير وتقريع ماذا كان جوابكم للرسل الّذين أرسلوا إليكم، عن التّوحيد ولا إله إلا الله وعبادة الله تعالىٰ هل آمنتم به واتبعتموهم أم كذبتموهم وحاربتموهم، الغرض من تكرار هذه النّداءات للتوبيخ والتّقريع.

توبيخهم وتوبيخ الّذين عبدوهم واتبعوهم من دون الله.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل والأنبياء، ومن يكذب رسولاً أو نبياً فكأنما كذب كل الرسل؛ لأن رسالتهم واحدة هي: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود:٥٠].

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾:

﴿فَعَمِيَتْ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، عميت: من عمىٰ البصيرة لم يعد يستطيعوا التّفكير أو يتذكروا، أيْ: حُجَّة أو معذرة أو قول والتزموا السّكوت.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: أصلها عموا عن الأنباء؛ أي: لم يهتدوا إليها، لا بل أسوء من ذلك جعل الأنباء لا تهتدي إليهم؛ أي: كأن الأنباء لها أعين لا تبصر بها، فلذلك لا تهتدي إليهم للإشارة إلىٰ شدة الموقف آنذاك.

﴿عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: الحجج.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم العرض والحساب، يومئذ: ارجع إلىٰ سورة الحاقة آية (١٥) للبيان.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يملكون إلا الصمت ولا يسأل بعضهم بعضاً، ولا يدري ما يقول بعضهم لبعض؛ لأنّهم علموا أنّهم صالو الجحيم.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾:

﴿فَأَمَّا مَن﴾: الفاء للتوكيد، أما: شرطية، من: ابتدائية.

﴿تَابَ﴾: من هؤلاء المشركين أو غيرهم في الدنيا ورجع عن ضلاله وشركه وكفره. ارجع إلىٰ الآية (١٨) من سورة النّساء لمعرفة التّوبة أنواعها أركانها.

﴿وَءَامَنَ﴾: آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: الفرائض والنّوافل وغيرها من الباقيات الصّالحات.

﴿فَعَسَىٰٓ﴾: الفاء للتوكيد، عسى: أداة رجاء تسبق الرّجاء الّذي غالباً ما يحصل ويتم تحقيقه.

﴿أَن يَكُونَ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية.

﴿ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: الفائزين: بالجنة والناجين من النّار.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) للبيان.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المشركين وشركائهم وسؤالهم ليشفعوا لهم ولينصروهم يوم القيامة فلا يستجيبون لهم ويتبرؤون منهم وتعمى بصائرهم يوم القيامة فهم لا يتساءلون، وما يشاؤون ويختارون كله باطل لا وجود له، وما يشاء الله سبحانه ويختار هو الحق.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: ما للعاقل وغير العاقل وما تستعمل للشيء غير المحدد، أيْ: تشمل كلّ شيء يخلقُ، ويختار ما يشاء وليس لأحدٍ الأمر والاختيار فهو يخلق ما يشاء خلقه ومشيئته مقرونة بالحكمة فهو لا يخلق عبثاً.

الاختيار يكون من بين أشياء غير متشابهة، ولذلك لم يقل: يصطفي

(الاصطفاء من أشياء متشابهة) فهو يختار الرّسل ويختار الأنبياء والملائكة والرّسل ويختار من الشّهور والأيّام والليالي والجبال والأماكن ما يشاء.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: ما: نافية، كما قال ابن عباس وأكثر المفسرين؛ أي: ما كان لهؤلاء المشركين ولا لأصنامهم حق الاختيار؛ لأنهم لا يخلقون شيئاً، ولا أصنامهم تخلق شيئاً، ولا تختار أيضاً، والله وحده له حق الاختيار المطلق، وليس لأحد غيره؛ لأنه هو الخالق وحده، ولكونه الحكيم لا يفعل إلا الصالح والأصلح، وهو الذي يحدد ما هو صالح أو أصلح، وليس نحن الذين نحدد؛ لأنه يعلم ونحن لا نعلم. الخيرة: تعني: الاختيار في شيء؛ الخيرة: اسم مصدر بمعنى: الاختيار.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: التسبيح: تنزيه الله سبحانه من أي نقص، أو مشابهة المخلوقين وتعالى عن إشراكهم. ارجع إلى الآية (١) من سورة الحديد والآية (١) من سورة النّحل لمزيد من البيان في معنى التسبيح.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا﴾: أيْ: كلّ شيء. ما: تشمل؟؟؟؟؟

﴿تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: من الكنّ وهو الإخفاء والكتمان، ما تكنُّ صدروهم من الشّرك والحقد والعداوة والكيد والنفاق.

﴿وَمَا﴾: اسم موصول، وتكرار ما للتوكيد، وفصل كلا الأمرين الإكنان والإعلان.

﴿يُعْلِنُونَ﴾: يقولون بألسنتهم ويظهرون من الأفعال ويعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون بشكل دائم ومستمر. وما يتكلمون في آنٍ واحدٍ، وبشكل جماعي.

[٧٠] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: هو للتوكيد، الله واجب الوجود المعبود الحق. الواحد الأحد...

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿لَهُ﴾: له حصراً وقصراً.

﴿ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: له الحمد في الدّنيا؛ لأنّ كلّ ما في الدّنيا هو خلقه ومن فضله وإنعامه من أرض وسماء وشمس وقمر وطعام وشراب وحياة وحركة وسكون، فكلّ ذلك يوجب الحمد المطلق الدائم حمداً دائماً.

ارجع إلى سورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان...

﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: وله الحمد في الآخرة على رحمته ولمغفرته وفضله وإحسانه للنجاة من النّار والفوز بالجنة، نحمده على الآخرة، ونحن لا زلنا في الدّنيا عسى أن يرحمنا ويكفِّر عنا سيئاتنا ويدخلنا مع الأبرار.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: تكرار وله يفيد التّوكيد والحصر والقصر، الحكم: فهو الحاكم المطلق فلا راد لحكمه ولا مبدل لحكمه في الدّنيا ولا في الآخرة، وهو الحكم: العدل.

﴿وَإِلَيْهِ﴾: تقديم إليه يفيد أيضاً الحصر.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء، ترجعون إليه سبحانه بغير إرادتكم أو اختياركم قسراً.

❖ ❖ ❖

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

رفع الحزب ٤٠

سورة القصص [الآيات ٧١ - ٧٧]

[٧١] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾:

المناسبة: ذكر هذه الآية والّتي تليها دلائل أخرىٰ علىٰ عظمته وقدرته الموجبة للعبادة والوحدانية.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أي: أخبروني بشيء من العلم والتّوكيد، الرّؤية هنا رؤية قلبية فكرية ورؤية حقيقية بصرية.

﴿إِن جَعَلَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الأمر المشكوك في حدوثه؛ أيْ: علىٰ سبيل الافتراض، جعل: صيَّر.

﴿ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: سرمداً دائماً لا ينقطع، والسّرمد دوام الزّمان من ليل ونهار أي: الدّائم المستمر الذي لا ينقطع، أي: جعل الليل دائماً بلا انقطاع أو من دون نهار علىٰ طوال حياتكم، واستمر ذلك إلىٰ يوم القيامة.

وهذا يعني أنّه لا تستقيم أي حياة علىٰ الأرض ولن يستطيع أي مخلوق أن يقاوم ذلك.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: من استفهامية تفيد التّوبيخ والتّقرير فلما لا تعبدونه وتقرون بعظمته ووحدانيته، غير الله: سوىٰ الله يأتيكم بضياء (نور أبيض + حرارة) صادر عن الشّمس، أغلب أشعة الشّمس مثل الأشعة السينية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء، وغيرها من أشعة الشّمس لا تصل إلينا بفضل

نطق الحماية حول الأرض، وما يصل إلينا هو حزمة من الأشعة تسمّى حزمة الضوء المرئي الّتي هي عبارة عن ألوان الطيف السبعة (الأحمر والبنفسجي والأزرق والأخضر والنيلي والبرتقالي والأصفر) هذه الحزمة متى وصلت إلى الغلاف الغازي للأرض تمتزج بها فيطلع لنا النور الأبيض المسمّى ضياءً.

وما يصدر عن القمر والكواكب المشابهة هو نور فالضوء أو الضياء يختلف عن النّور، الضياء أو الضوء هو كلّ إضاءة صادرة عن مصدر مشتعل كالشّمس أو النجوم أو نار ملتهبة، وإذا سقط هذا الضوء على جسم معتم كالقمر انعكس وأصبح نوراً، ولذلك يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥]، فالقمر لا يضيء، وإنما يعكس أشعة الشّمس.

جواب الاستفهام محذوف، أيْ: لا أحد.

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ على عدم السّماع والتّعجب من ترك السّماع والفاء للتوكيد، ألا: أداة تنبيه وحضٍّ للاستماع والاستفادة بما نسمع من آيات ومواعظ ووعيد، سماع فهم وتدبُّر وقبول وعمل بما نسمع وقوله: أفلا تسمعون، تعني: اسمعوا، واختار السّمع لليل؛ لأن آلة السّمع وهي الأذن لا تغلق وتبقى تسمع في اللّيل، أمّا العين في اللّيل بسبب الظّلمة فتعطل ولا عمل لها، ولذلك لم يقل: أفلا تبصرون.

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

قدّم في الآية السّابقة الليل على النّهار؛ لأنّ الليل هو الأصل أو الظّلام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: النّهار: النّهار في القرآن يعني: من طلوع الشّمس حتّى غروبها، ويعادل (١٢) ساعة.

النّهار: اسم للضياء والحاصل من سقوط أشعة الشّمس على الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض الّتي تجعلها تضيء.

ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس لبيان معنى النّهار.

أيْ: جعل الله عليكم النّهار سرمداً: أيْ: مستمراً دائماً بلا انقطاع؛ أي: بلا ليل.

﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: من السّكن وهو الانقطاع عن الحركة أو الحد منها والرّاحة والنّون في تسكنون للتوكيد، فيه ظرفية زمانية، أيْ: خلال الليل. ولولا جعل الليل والنّهار (أي: خلق الليل والنّهار) الضروريان لما استقامت الحياة على هذا الكوكب فأغلب الكائنات الحية لا تتحمل العيش في الظلام باستمرار ولا في النّور باستمرار، فهذه الآية تبادل الليل والنّهار من أعظم الآيات الكونية الدّالة على عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته الّتي تشير أنّه الإله الحق الّذي يجب أن يطاع ويُعبد، وإذا نظرنا في الآية: نجد أنه سبحانه قيد الليل فقال: تسكنون فيه، بينما أطلق النهار (الضياء) ولم يقيده بصفة؛ لكثرة فوائده، وما يجري فيه من حركة وسعي، ولنعلم السنين والحساب.

﴿أَفَلَا﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿تُبْصِرُونَ﴾: من البصر والبصيرة، البصر يتم بالعين وهو الرّؤية، والبصيرة الرّؤية القلبية الفكرية وهي ناتجة عن تكامل العلم والمعرفة.

واختار العين وهي آلة البصر في النّهار فقال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فيها حثٌّ وحضٌّ على البصر في آيات الله وتأملها والنّظر فيها بتدبُّر وفهم وعمل بما نبصر بتكرار وتجدُّد واستمرار، وليس مرة واحدة، تبصرون بصيغة المضارع لتجديد البصر والتّفكر بآيات الله.

[٧٣] ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: ومن: الواو: استئنافية؛ من: ابتدائية بعضية؛ أي: ومن آثار رحمته تعالىٰ، والرّحمة: هي جلب كلّ ما ينفع ودفع كلّ ما يضر.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: خلفه، يخلف كلّ منهما الآخر أيْ: يتعاقبان، لا الليل سابق النّهار ولا النّهار سابق الليل. وفي هذا إشارة إلىٰ كروية الأرض ودورتها حول محورها، فالجزء المقابل للشّمس والحاوي للغلاف الغازي حين تسقط عليه حزمة الضوء المرئي من أشعة الشّمس (ألون الطيف السبعة) تضيء، ويبدأ النّهار، وأما الجزء غير المقابل للشّمس فيكون ليلاً، فتعاقب الليل والنهار من أكبر الآيات الكونية الدّالة علىٰ عظمة الله تعالىٰ ومقدرته الداعية للإيمان به وتوحيده.

﴿لَكُمُ﴾: اللام لام الاختصاص، خاص بكم وقدَّم الليل علىٰ النّهار؛ لأنّه هو الأصل (الظّلام هو السّائد والأصل في الكون) فالليل لتسكنوا فيه والنّهار لتبتغوا من فضله.

والليل ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: اللام لام التّوكيد، تسكنوا فيه: ارجع إلىٰ الآية (٧٢) السّابقة.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: واللام للتوكيد، تبتغوا من فضله: أيْ: تطلبوا وتبحثوا عن رزقكم، الفضل هو الزّيادة علىٰ الاستحقاق، أيْ: لترتاحوا في الليل من التّعب، ثم تعودوا في النّهار لمزاولة أعمالكم بنشاط.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الواو: واو الجمع؛ أي: لعلكم تشكرون الله علىٰ هذه النعمة (نعمة الليل والنهار) وغيرها من النعم. لعلكم: للتعليل، تشكرون: المنعم

على نعمه الّتي لا تعدُّ ولا تحصى، ومنها اختلاف الليل والنّهار، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان:٤٧].

وإذا قارنا هذه الآية ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ والآية ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾[الأنعام: ٩٦].

سكناً: جملة اسمية تدل على الثّبوت ولتسكنوا فيه: جملة فعلية تدل على تكرار وتجدُّد هذه النّعمة نعمة الجعل. أيْ: جعل نعمة الليل ثابتة وتتجدَّد وتتكرَّر في نفس الوقت. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٧٤] ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٦٢) للبيان.

والسّؤال هنا: لماذا كرَّر سبحانه النّداء في الآية (٦٢) والآية (٦٥) والآية (٧٤).

- أولاً: هذا ليس تكراراً كما قد يظن البعض.

- فالآية (٦٢) هو نداء أو سؤال للذين أشركوا: بإحضار شركائهم، فكان الرّد على النّداء: فدعوهم فلم يستجيبوا لهم.

- والآية (٦٥) هو نداء أو سؤال للذين أشركوا: ماذا أجبتم المرسلين فكان الرّد: فعميت عليهم الأنباء فهم لا يتساءلون.

- والآية (٧٤) هو نداء وسؤال الّذين أشركوا: هاتوا برهانكم على صدقكم، فكان الرّد: وَضَلَّ عنهم ما كانوا يفترون، أيْ: كان كلّ ذلك كذباً وافتراء على الله تعالى، كما سيرد في الآية.

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: نزعنا أخرجنا بشدة كقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء:٣٣].

﴿مِن كُلِّ﴾: من: استغراقية، كلّ: للتوكيد.

﴿أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أيْ: رسولها أو نبيها الّذي يشهد عليها بالتّبليغ، أو ليكون شاهداً عليها كقوله تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، قلنا بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على أنّ لله شركاء أو أنداداً، مع العلم أن رسلي أنذروكم أن لا تشركوا بي شيئاً.

والبرهان: هو الحُجَّة القاطعة على صحَّة أن لله سبحانه شريكاً أو ولداً.

﴿فَعَلِمُوا﴾: والفاء للترتيب والمباشرة أيْ: علموا علم اليقين مباشرة آنذاك أن الحق: الحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر، أي: الألوهية لله وحده، أو هو الإله الواحد الأحد ولا إله إلا هو لا شريك له ولا ولد.

لله: اللام لام الاختصاص والملكية والاستحقاق.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: ضل: غاب عنهم ولم يجدوا برهاناً ولا شريكاً ولا وليّاً ولا نصيراً ينصرهم ولا يشفع لهم ولا يعترف بعبادتهم.

﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما اسم موصول تستعمل للشيء غير المحدَّد وتشمل غير العاقل والعاقل؛ تشمل أنواع الافتراء، يفترون: من الافتراء وهو اختلاق الكذب، ما كانوا يكذبون عمداً باطلاً في الدّنيا، بأن لله شركاءَ وولداً أو وليّاً أو صاحبةً. يفترون بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار.

[٧٦] ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿قَٰرُونَ﴾: قيل: هو ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسىٰ هو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: قيل: هو ابن عم موسىٰ كما ذكر ابن عباس وقتادة وجرير وكثير من أهل العلم، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كان قارون أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولذلك قال: إنما أوتيته علىٰ علم عندي؛ أي: استحقاقي لذلك، وقيل: علم الكيمياء؛ أيْ: من عشيرة موسىٰ، من قوم موسىٰ، أيْ: من بني إسرائيل، ولم يقل: من بني إسرائيل، واكتفىٰ بالقول من قوم موسىٰ، وهذا القول يعني أقرب بني إسرائيل إلىٰ موسىٰ، وكان من الغريب أن يكون جاحداً لنعم الله عليه وأن يكون مصيره أغرب من مصير فرعون، وقيل: إنّ فرعون أسند إليه الإمارة علىٰ بني إسرائيل.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ بني إسرائيل، البغي: هو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف أو بغىٰ عليهم بسبب ماله وتجبر وتكبر، أيْ: ظلم وتجاوز الحدِّ في الظّلم، وأصبح عدواً لموسىٰ وأتباعه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: جمع كنز وهو المال المدَّخر. من الذهب والفضة والمال...

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾: ما إن: ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، إنَّ: للتوكيد.

مفاتحه: مفردها مَفْتح: أيْ: خزانة، ومفاتحه: الخزائن المليئة بالكنوز وليس مفاتحه تعني مفتاح؛ لأنّ مفتاح جمعها مفاتيح.

ومنهم من قال: مفتح لها معنيان: مفاتح خزائن، ومفتح ما يُفتح به الباب باب الخزائن.

﴿لَنَنُوأُ﴾: اللام للتوكيد، من ناء الشّيء ينوء: ثقل عليه.

﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، العصبة (١٠-٤٠ رجلاً) وقيل: من (٣-١٠) أفراد، والعصبة كلمة مشتقة من جماعة يتعصب بعضها لبعض لمبدأ من المبادئ ويُعين بعضهم بعضاً كأنّهم يدٌ واحدة.

﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾: أصحاب القوة، إذن خزائن لا يقدر على حملها العصبة حوالي (١٠ أفراد) من أولي القوة أو يثقل عليهم حملها أو حمل مفاتيحها للدلالة على كثرتها.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي بمعنى حين.

﴿قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾: قومه من بني إسرائيل من المؤمنين منهم وليس من الفراعنة، لا النّاهية تفرح بأموالك، والفرح نوعان فرح بحقٍّ وفرح من دون حقٍّ. والفرح المذموم هو البطر، والمرح وهو شدة الفرح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾: جمع فرح، من فرح: بطر، لا يحب البطرين. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنوعه، وارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السّورة لبيان معنى البطر.

[٧٧] ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَٱبْتَغِ﴾: اقصد، اطلب.

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: أنفق وتصدق في سبيل الله مما أنعم الله

عليك من المال والخير الكثير، وتقرب إليه بذلك وبالشّكر، فابتغ بها ما عند الله من الثّواب والأجر والحسنىٰ، وابتغ الحلال في كلّ الأمور، وتجنب الحرام مثل التّبذير والإسراف والبطر والمن.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: استمتع بالحلال بما أنعمنا عليك وبما يرضاه الله فنحن لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك فكل واشرب والبس واسكن واركب وعلىٰ الموسع قَدَرُه.

أو المعنىٰ: اعمل لآخرتك؛ لأنّ الدّنيا مزرعة للآخرة ونصيبك في الآخرة ما عملته في الدّنيا من الأعمال الصّالحة أي: الحسنات، وقيل: لا تنسَ أن نصيبك من الدّنيا هو الكفن الّذي تخرج به، أو ما تأخذه إلىٰ القبر، هذا هو نصيبك... إذن نصيبك من الدّنيا ما تتمتع به من الحلال، أو ما فعلته من الحسنات.

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أحسن إلىٰ عباد الله بالصدقة والزّكاة ومساعدة الفقير وإغاثة الملهوف، أنفق مما جعلك الله مستخلفاً فيه.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الفساد هنا يعني: إمساك حق الفقراء من الزّكاة والصدقة؛ مما قد يؤدّي إلىٰ السرقة بسبب الجوع والفقر والجريمة، وبالتالي نشر الفساد، والظلم كذلك يعني: الفساد والبغي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: إن للتوكيد، الله لا يحب: لا النّافية، المفسدين: جمع مفسد، وهو الّذي يعمد إلىٰ ما خلق الله تعالىٰ فيحدث فيه تغييراً ليفسده، وأما إذا غيَّره ليُحدث فيه إصلاحاً فلا مانع أو يتركه علىٰ حاله كما خلقه الله تعالىٰ.

ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنىٰ الفساد.

❖ ❖ ❖

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

سورة القصص [الآيات ٧٨ - ٨٤]

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

في هذه الآية يردُّ قارون على نصائح قومه له، فيقول:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾: أوتيته بجهدي وعلمي وكسبي أو معرفتي، قيل: كان عالماً بالتّوراة والتّجارة وصناعة الذّهب ولم ينسب أيَّ نعمة أو علم إلى فضل الله عليه، وكأنّه يقول: الله أعطاني ذلك المال: لأنّي أستحقه، قال ذلك بطراً والبطر الطغيان في النّعمة وعدم شكرها.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو للتوكيد أَوَلَمْ يعلم من قراءته للتوراة حيث كان يعلم التّوراة أن الله أهلك الكثير من القرون من قبله.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق.

﴿أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: جمع قرن والقرن جماعة من النّاس عاشوا في زمن واحد والقرن (١٠٠) سنة.

﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾: القوة هي القدرة الّتي يتمكن بها الحيُّ من مزاولة أفعاله.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾: للمال وأكثر جماعة وعدداً.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المجرمون هم الكافرون أو المشركون

والظّالمون ومرتكبو الكبائر وكل من قطع كلّ روابطه بربه. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنى المجرمون.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ﴾: لأنّ الله مطلع على ذنوبهم وأعمالهم فلا يحتاج إلى سؤالهم سؤال استفهام أو عتاب، وإنما قد يسألون سؤال توبيخ وتقريع أو تقرير، وقيل: القيامة مواطن يسألون في موطن دون موطن أو في حال دون حال.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: ولم يقل: فخرج إلى قومه.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد الاستعلاء والتّكبر، خرج على هيئة المتكبر أو المتعالي، وعادة تقول: خرجت إلى المسجد.

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾: في موكب عظيم يوم العيد والنّاس ينظرون إليه وهو يتقدَّم الموكب أو العرض وقيل: خرج معه عدد كبير من الجنود على خيولهم المزينة بالأرجوان.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: يبغون الحياة الدّنيا: أيْ: يتمنون الحياة الدّنيا بزخارفها وزينتها وأموالها وعرضها ومتاعها، يريدون: بصيغة المضارع الدّالة على التّجدُّد والتّكرار.

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾: يا ليت: أداة تمنٍّ تستعمل للأمور المستحيل حدوثها أو تحقيقها.

﴿مِثْلَ مَآ﴾: ما اسم موصول بمعنى الّذي ما أوسع شمولاً من الّذي تشمل كلّ شيء...

﴿أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾: الإيتاء هو العطاء – وهناك اختلاف بين الإيتاء والعطاء. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان...

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَذُو﴾: اللام للتوكيد.

﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: نصيب وافر من المال والدّنيا، أيْ: هو محظوظ.

والحظ يأتي غالباً في سياق الخير والنصيب يكون في المحبوب والمكروه...

[٨٠] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: العلم الشّرعي أو المعرفة في الدِّين، ولم يخاطبهم بالذين آمنوا أو المتقين؛ لأنهم يمتازون بالإيمان والتقوىٰ+ العلم؛ أي: العلماء المتقون ومخاطبتهم بأولي العلم فيها مدح وثناء الذين وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. خاطبوا أولئك الذين تطلعت قلوبهم إلىٰ مال قارون.

﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾: ويلكم من الويل: وهو العذاب. وتعني: الهلاك والدّمار للذين يخالفون ويتجاوزون حدود الله.

﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾: أي: الجنة ورضوانه. وقدم ثواب الله علىٰ الإيمان والعمل الصالح للاهتمام؛ أي: التشويق للثواب، وتمكين الثواب في عقول السامعين.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل من الدّنيا ومتاعها وزينتها.

﴿لِّمَنْ﴾: اللام للتوكيد، من: اسم موصول بمعنىٰ الّذي.

﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٧) من نفس السّورة. وقدم ثواب الله علىٰ لمن وعمل صالحاً ليكون الثواب هو المطمع الحقيقي الذي يجب أن يتطلع إليه المرء.

﴿وَلَا﴾: لا النّافية.

﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: يفهمها أو يلقاها يوفق لها ويُرزَقها، أي: الجنة فهي المثوبة.

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: إلا أداة حصر، الصابرون: عن المعصية وعلىٰ ما أصابهم في سبيل الله من الفقر والبأساء والضّراء، وعلىٰ طاعة الله تعالىٰ وتجنب نواهيه، أهل الإيمان الّذين أصبح الصّبر صفة ثابتة وراسخة فيهم.

[٨١] ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾:

﴿فَخَسَفْنَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، خسفنا: جعلنا الأرض تنشق وتبتلع قارون وحاشيته، قيل: حدث بعد فترة من يوم خروجه في زينته انتقاماً منه لكفره وبطره وكبريائه.

﴿بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: أيْ: به وبكنوزه وخزائنه وممتلكاته، ولم يكتف بقول: به، بل زاد علىٰ ذلك وبداره وكل من شارك معه في البغي والإجرام.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد ما النّافية.

﴿كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ﴾: من بعضية، فئة نكرة، أيْ: جماعة يمنعونه من الهلاك بالخسف أو يدفعون عنه عذاب الله وينصرونه أو يشفعون له.

﴿وَمَا كَانَ﴾: تكرار ما يفيد توكيد النّفي.

﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: من استغراقيّة، أيْ: لم يكن قادراً علىٰ أن ينجي نفسه من الخسف، أو ينقذها بأن يفتدي بكل ما لديه من مال ومتاع. أيْ: من الناجين من عذاب الله رغم قوته وجمعه، يقال:نصره من عدوه، أيْ: منعه منه.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَأَصْبَحَ﴾: بمعنىٰ صار ولا يقصد بها الزّمان.

﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُۥ﴾: أي: الّذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: أيْ: منذ زمن قريب ولا تعني البارحة. وهذا يدل على أن الخسف لم يحدث في نفس الزّمن أو اليوم الّذي تمنى به الّذين تمنوا مكانه، فالخسف حدث بعد فترة زمنية.

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾: ويكأن مركبة من كلمتين وي + كأن، وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب، ولها معنى كيف، فالمعنى (عجباً كيف).

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: أيْ: عجباً كيف يبسط الله الرّزق لمن يشاء من عباده ويقدر أو تدل على الحسرة والنّدم على ما حدث منهم عندما تمنوا أن يكون لهم ما كان لقارون.

وبعد أن شاهدوا ما حدث لقارون من الخسف ندموا وعلموا أنّهم أخطؤوا. أيْ: عجبوا كيف بسط الله الرّزق لقارون بهذا الوسع، ثم خسف به وبداره الأرضَ.

﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: (مثل قارون)، ويقدر؛ أي: يُضيق أو يقبض لو شاء عليه، ولكنه لم يفعل، ولكن خسف به الأرض، ولم يقل له؛ لأنه سبحانه لو شاء لفعل ذلك، ولكن خسف به الأرض؛ أي: عاقبه عقوبة أشد من التضيق، وحرمه من العيش ولو يوماً واحداً.

هذه الآية خاصة بقارون بسط الرّزق له، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر. ارجع إلى سورة سبأ آية (٣٦) و(٣٩) للمقارنة.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾: لولا شرطية، أن: حرف مصدري، يفيد التّعليل، من الله علينا: رحمنا ولم يعاقبنا ولم يصبنا مثل ما أصاب قارون، لخسف بنا: أي: الأرض كما خسف بقارون، والمن يكون في العطاء أو المنع وهو هنا بمنع وقوع الخسف بهم...

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أيْ: وليس عجباً، لا يفلح الكافرون: أمثال قارون أو ليس عجباً كيف لا يفوز الكافرون بالنّجاة من النّار ويدخلون الجنة.

[٨٣] ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد التعظيم، ويشير إلى الجنة أو دار الآخرة.

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ﴾: فجعلها دار الخلد، للذين اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: علوّاً على عباد الله بالتّكبر والظّلم والبغي: كلّ علوٍّ فساد، وليس كلُّ فساد علوّاً.

والعلو: الغرور بالقوة والمال والجاه والزّينة.

﴿وَلَا فَسَادًا﴾ تكرار (لا) يفيد النّفي أولاً العلو وثانياً الفساد.

فالفساد هو ثمرة العلو، الفساد: هو إهلاك الحرث والنّسل وارتكاب الكبائر والمعاصي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الفساد.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: والعاقبة الحسنة، أي: الجنة، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، للمتقين: جمع متقٍّ، وهو من أطاع أوامر الله وتجنب نواهيه واستمر على ذلك، المتقين: جملة اسمية تدل على الاستقامة والثّبات والاستمرار على التّقوى لنيل العاقبة.

[٨٤] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: الحسنة: هي كلّ عمل خير من قول أو فعل يورث ثواباً، جاء بالحسنة: أيْ: عملها والباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، له: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: أحسن منها، فهذا خير من هذا وكلاهما فيه خير، أو أخير، أو أحسن والحسنة بعشر أمثالها أو أكثر؛ لأنّ ثوابها هو خير دائم لا ينقطع.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: ارجع إلىٰ مقدم الآية نفسها، السّيئة: المعصية أو بالأمر المنهي عنه أو كلّ ما يسيء إلىٰ النفس.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط تفيد التّوكيد، لا النّافية.

﴿يُجْزَى﴾: من الجزاء، ويكون مقابل العمل الصّالح أو السّيِّئ والمكافئ له؛ أي: مثله.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذّنوب الصغيرة أو الكبائر، وتكرار عملوا، ويعملون: يدل علىٰ التوكيد، ولم يقل ومن جاء بالسيئة فلا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا﴾: أي: الّذي أو مصدرية. وأوسع شمولاً من الّذي تشمل كلّ شيء.

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ولم يقل: ومن جاء بالسّيئة فله أشرُّ منها أو أسوأ منها قياساً علىٰ الحسنة؛ لأنّه سبحانه لا يضاعف السّيئة، كما يضاعف الحسنة، وهذا من رحمته فهو يجازي بمثلها جزاءً وفاقاً، أيْ: علىٰ قدرها. ويعملون: بصيغة المضارع تدل علىٰ حكاية الحال؛ أي: تحضر ما كانوا يعملون أمام عينيك الآن لترىٰ بشاعته.

وما كانوا في الدّنيا يعملون: العمل يضم الأقوال والأفعال.

❖❖❖

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤١

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

سورة القصص [الآيات ٨٥ - ٨٨]

[٨٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

سبب النّزول: إنّ الرّسول ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، ونزل الجحفة بين مكة والمدينة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى جبريل بهذه الآية. كما رُوي عن مقاتل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى﴾: إن للتوكيد، الذي: اسم موصول.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزل عليك القرآن وسمّى إنزال القرآن فرضاً لما في القرآن من تكاليف أوجب العمل بها، أيْ: فرض العمل بها.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: اللام لام التّوكيد، معاد: اسم مكان من فعل عاد، ومعاد الرّجل: البلد الّذي كان فيه ورسول الله كان في مكة، لرادك إلى مكة منتصراً فاتحاً (فتح مكة) بعد الهجرة، والرّد هو الرجوع أو العودة مجبراً من دون اختيار بينما الرّجوع يكون باختيار العبد.

ارجع إلى الآية (٧) من نفس السّورة للبيان.

أيْ: سنردك إلى المكان الّذي تحن إليه، أيْ: مكة، وقد يكون معادك إلى الجنة ولا مانع من احتمال المعنيين والمرجح مكة، والفرق بين معاد وميعاد: الميعاد للزمان والمكان ومشتق من الوعد زمن التّواعد أو مكان التّواعد، المعاد للمكان فقط.

وهـذا الوعد بردِّه إلىٰ معـاده من أنباء الغيب، وفيه بشـارة وليطمئن قلب النّبي ﷺ.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: وقـل لهـم إذا اتهموك بأنك صبأت عن دين آبائك، أي: خرجت عن دين آبائك.

قل لهم: ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: الله أعلـم ولم يقل: يعلم، أعلم علىٰ وزن أفعل صيغة مبالغة في العلم، من: اسـم موصول بمعنىٰ الذي، جاء بالهدىٰ: من عند الله؛ أي: النّبي ﷺ.

﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: من: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد. في: ظرفية، ولم يقل: ومن هو من الضالين؛ لأن في: تعني منغمس في الضلال، وراسخ فيه سابقاً، وفي ضلال مبين: جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت، وشـدة ضلالهم وإحاطة ضلالهم بهم من كل جانب؛ أيْ: أنتم أيها المشـركون الضّالون، في ضـلال مبين، ضلال مبين: انحراف وبعد عـن الصّواب والحق، ضـلال مبين: واضح وبين لكل فـرد ينظر فيه ومبين لنفسـه لا يحتاج إلىٰ دليل وبرهان.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾:

المناسبة: هوِّن عليك واطمئن يا محمّد ﷺ، ولا تستبعد أن نردك إلىٰ مكة فاتحـاً منتصراً، فهل كنت ترجو أو تتوقّع أن يُلقىٰ إليك الكتاب، أيْ: ينزل عليك القرآن أو الوحي قبل بعثتك.

﴿وَمَا كُنتَ﴾: ما النّافية، كنت قديماً.

﴿تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: ترجو من الرّجاء هو الظّن بوقوع الخير

أو تأمل أن تكون رسولاً أو نبياً إلىٰ النّاس كافة، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل، يُلقىٰ إليك الكتاب: أي: القــرآن، يُلقىٰ: يُنزل، ويلقىٰ: فيها معنىٰ أن يقرأ أو يُتلىٰ علىٰ سمعك، أو ما كنت تتوقع أو تأمل أن يقرأ (يلقي) جبريل إليك القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: رحمة: رحمة لك وللعباد وللمســلمين وللمؤمنين وللعالمين، والرّحمة معناها بشــكل عام هي جلب ما يَسُرُّ ودفع ما يَضُرُّ. فالقرآن رحمة للعالمين، أيْ: فيه الخير والفائــدة وفيه ما يقيهم ويدفع عنهم ما يضرهم، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية.

﴿تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: الخطــاب وإن كان موجَّهاً إلىٰ رســوله ﷺ، ولكن المقصود به أمته ﷺ والنّون في تكونن للتوكيد أيضاً ظهيراً للكافرين: عوناً أو معيناً للكافرين بأيِّ حال من الأحوال، أو تلين لهم طمعاً في إيمانهم، أو تساعد أحداً علىٰ ارتكاب معصية أو تضله عن دينه أو تمنعه من فعل الخير.

ظهيراً: مشــتقة من ظهر. ارجع إلىٰ الآية (٥٥) من سورة الفرقان لمزيد من البيان.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا النّاهية.

﴿يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أيْ: لا يمنعــك أو يصرفنــك

والصّـــد هو المنع عن قصد والمنع قد يكون قصداً أو غير قصد، يصدنك: أصلها يصدونـــك والنّون للتوكيد وحذفت الواو لالتقاء السّـــاكنين، عن آيات الله: عن تلاوتها وتبليغها للناس أو العمل بها.

ارجع إلى سورة الشّعراء آية (٢) لبيان معنى الآيات.

﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: بعـــد إذ: ظرف للزمـــان الماضي، أنزلت إليك من ربك: إليك ولم يقل: عليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أيْ: إلى ســـبيل ربك (إلى دينـــه) موحِّداً ومخلصاً له الدّين من دون رياء وبالحكمة والموعظة الحسنة والخطاب وإن كان موجَّهاً إلى الرّسول ﷺ، ولكن المقصود به أمته؛ لأنّه حاشا للرسول أن يكون من المشركين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ســـماعاً لهم أو مخالطاً لهم حين تدعوهم إلى ربك، ولا في الولاية والنصرة.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَلَا تَدْعُ﴾: لا النّاهية، تدع: تعبد مع الله إلهاً آخر، أو تشرك به شيئاً.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود إلا هو ســـبحانه. ارجع إلـــى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ﴾: كلّ شـــيء للتوكيد، شيء نكرة تشمل كلَّ شيء وجنس على الأرض.

﴿هَالِكٌ﴾: ميِّت، والهلاك ليس بالضّرورة عقوبة، ويشمل الإنس والجن والنّبات والحيوان.

ويعني هالك كانت له حياة تناسبه، فكل شيء له حياة خاصة به، هالك أيْ: فانٍ أو ميِّت.

ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنىٰ هالك.

﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: حصراً وقصراً وجهه سبحانه وتعالىٰ، أي: ذاته سبحانه والوجه وهو أكرم أعضاء البدن، ويمثل الذّات (إطلاق الجزء وإرادة الكل).

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: في الدّنيا والآخرة. يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وبين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من المعتقدات والشرائع.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: للحساب في الآخرة والجزاء إليه جار ومجرور، وتقديم إليه يعني: حصراً وقصراً إليه وحده ترجعون، تُرجعون: رغماً عن عدم إرادتهم أيْ: قسراً، ولم يقل: إليه ترجعون: بفتح التاء، أيْ: بإرادتكم ومشيئتكم.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤١

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

سورة العنكبوت [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن (٢٩)، وترتيبها في النّزول (٨٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾:

﴿أَحَسِبَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، حسب: اعتقد، وحسب؛ يعني: الظّن الرّاجح، وتشمل الحساب الحسي والقلبي القائم على النّظر والتّجربة والحساب.

﴿النَّاسُ﴾: الإنس والجن (الثّقلان)، والنّاس مشتقة من: النّوس وهو كثرة الحركة.

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل، يتركوا بلا فتنة.

﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أن: تكرارها يفيد التّوكيد، أن يقولوا آمنا: بالقول فقط أو القول والفعل معاً، أو باللسان أو بالقلب صدقاً أم كذباً.

﴿وَهُمْ﴾: هم لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا النّافية، يفتنون: من الفتنة: والفتنة لغة: أصلها عرض الذّهب على النّار حتّى تزول منه الشّوائب فيزداد صفاءً وجودةً، واصطلاحاً: هي نوع من البلاء والاختبار يجريه الله تعالى على عباده لاختبار صدق إيمانهم

وحقائق نفوسهم، ومعرفة مدىٰ صلاحهم أو فسادهم وشدة تحملهم للتكاليف وصبرهم وصدقهم وكذبهم.

والفتنة أشد من الاختبار وأبلغ وتكون في الخير والشّر، فهي لا تذم ولا تمدح إلا بالنّتيجة، والفتنة تكون في الدّين والإيمان والمال والولد والشّهوات والشّبهات وغيرها.

ويفتنون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ أنّ الفتنة سوف تتجدد وتتكرر في حياة النّاس، والفتنة في القرآن لها معانٍ مختلفة منها: الاختبار والابتلاء، ومنها القتل والشّرك والحُجة وغيرها حسب السّياق.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿فَتَنَّا﴾: من الفتنة، ارجع إلىٰ الآية السّابقة (الفتنة أشد وأبلغ من الاختبار).

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم السّابقة فالفتنة سنَّة قديمة جارية علىٰ كلّ الأمم وبأنواع وأشكال مختلفة من الكوارث الجوية أو الجدب أو الفيضانات، أو المرض أو القتل. من قبلهم، ولم يقل قبلهم: (من) تفيد قرب الزّمن، و(قبلهم) لا يحدد قد يكون منذ زمن طويل أو بعيد أو زمن قريب.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، واللام والنّون لزيادة التّوكيد، فليعلمن الله: الله سبحانه يعلم منذ الأزل وقبل خلقهم من الّذين صدقوا ومن هم الكاذبون، وليس هو بحاجة لفتنتهم وإنما فتنتهم أو اختبارهم هو لإقامة الحُجة عليهم وليطّلعوا علىٰ نتيجة اختبارهم بأنفسهم؛ حتّىٰ لا يدَّعوا يوم القيامة ويقولوا: ربنا لو فتنتنا لكنّا من الصابرين أو الصادقين أو من المجاهدين أو غيرها، فالله يفتنهم في الدّنيا ليريهم عاقبة أعمالهم في الدّنيا أو في الآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: أي هل صدقوا في إيمانهم أو ما وعدوا الله ورسله والنّاس أجمعين؟

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: كذبهم في إيمانهم وغيره، وتكرار (وليعلمن) للتوكيد، وفصل كلاهما عن الآخر، أو ليعلمن الصّادق منهم من الكاذب.

والسّؤال: لماذا قال: الّذين صدقوا (جملة فعلية) والكاذبين (جملة اسمية)، ولم يقل الّذين صدقوا والّذين كذبوا؟

الّذين صدقوا: جملة فعلية في الماضي تعبّر عن قوم حديثي العهد بالإسلام، والّذين آمنوا برسول الله في بداية الإسلام، وكانوا كفاراً فهم لا زالوا سائرين في طريق الصّدق؛ ليصبحوا صادقي الإيمان في النّهاية وقد يستقيموا على الإيمان أو يرتدّوا، وأما الكاذبين: جملة اسمية تدل على الثّبوت؛ أي: الكذب عندهم ونزلت في كفار قريش فهم استمروا على كذبهم قبل الإسلام وبعد مجيئه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والتّوبيخ، وأم (المنقطعة)

﴿حَسِبَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يعملون صيغة مضارع تدل على التّجدد وتكرار ارتكابهم السّيئات. والسيئات: جمع سيئة. قيل: هي الصغائر التي تحتاج إلى تكفير، وأما الذنوب: هي الكبائر التي تحتاج إلى توبة ومغفرة كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿يَسْبِقُونَا﴾: ينجوا من عذابنا، مشتقة من: السّبق وهو الفوت؛ أي: الهرب فلا ننتقم منهم.

﴿سَآءَ﴾: أصل ساء: يسوء؛ فعل من أفعال الذّم مثل بئس: تستعمل للذم العام، وساء: تستعمل للذم الخاص.

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أو مصدرية؛ أي: بئس أو ساء حكمهم وهو ظنهم أنّهم يفوتون من عذاب الله تعالى فلا يحاسبهم على أعمالهم.

[٥] ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية للعاقل وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: يرجو: من الرّجاء وهو الظّن بوقوع الخير الّذي يعتري صاحبه الشّك فيه، وغالباً ما يقرن بالخوف أو بأحد معانيه، أو يرجو: يأمل لقاء الله، لها معانٍ عدّة: اللقاء الحقيقي: الاجتماع والمواجهة والتّحدث، والحساب أو الثّواب.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾: الفاء وإنّ، واللام في لآت كلها للتوكيد، وآت: صيغة اسم الفاعل للتوكيد أربع توكيدات على حصول الأجل، أجل الله: الموت أو البعث والحشر، الأجل: الوقت المضروب لانقضاء عمر الإنسان، أجل الإتيان وهو المجيء بسهولة، واختار لآت؛ لأنّه لم يأت بعد.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد في السّر والعلن والجهر والنّجوى.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأعمالهم وما في صدورهم وما يعلنون بنياتهم ونجواهم وأسرارهم، والسّميع العليم: صيغ مبالغة، كثير السّمع وكثير العلم لا يَعزُب عنه مثقال ذرة في السّماء ولا في الأرض.

وفي هذه الآية حث على الاستعداد للقاء الله تعالى القادم لا محالة بالقول الطّيب والعمل الصّالح.

[٦] ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿جَٰهَدَ﴾: الجهاد لغةً: بذل أقصىٰ الطاقات؛ أي عمل أقصىٰ ما في وسعه من الجهد للقيام بما أمره الله به، والجهاد نوعان: جهاد النّفس: بالصّبر علىٰ الطّاعات وتجنّب المنهيات والصّبر علىٰ الابتلاءات، وجهاد العدو: إذا اعتدىٰ علىٰ الدّيار أو الأموال أو الأعراض، وجهاد الشيطان، والجهاد في الله كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]؛ أي: جهاد لمعرفة الله تعالىٰ؛ أي: جهاد المقاصد الذي يؤدي إلىٰ الإحسان، جهاد باللسان والقلب والمال، وبذل الطاقة والزمن لنيل رضاه.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾: اللام في (لنفسه) لام الاختصاص والاستحقاق؛ أي: يجاهد لفائدة نفسه ومنفعتها؛ أي: إنقاذها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إنّ: للتوكيد، لغني عن العالمين: اللام في (لغني) لزيادة التّوكيد؛ أي: إنّ الله ليس بحاجة لجهاد أيّ إنسان كقوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:٧]، لغني عن عباده وعبادتهم وعن كلّ من في السّموات ومن في الأرض وليس هو فقط غني عنهم بل سبحانه يُغنيهم ويمدّهم من فضله. وانظر إلىٰ هذه الآية التي بدأت بها سورة العنكبوت: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وإلىٰ الآية (٦٩) التي انتهت بها سورة العنكبوت وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ
فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا
مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

سورة العنكبوت [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُواْ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض وما أمر الله به، وقدّم الإيمان على العمل الصّالح؛ لأنّه الأصل، فالعمل الصّالح بدون الإيمان والتّوحيد لا جدوى منه، وحين يقول: الّذين يعملون الصّالحات تعني: الاستمرار في عمل الصّالحات والتّجدد والتّكرار والارتقاء في العمل الصّالح.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾: اللام للتوكيد، وكذلك النّون لزيادة التّوكيد، كان بالإمكان القول لنكفر عنهم سيئاتهم، والتّكفير يعني السّتر؛ أي: يسترها على العبد في الدّنيا؛ أي: يمحوها ولا يعاقب عليها في الآخرة.

﴿عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: ولم يقل من سيئاتهم، (عنهم سيئاتهم) تشمل كلّ السّيئات: جمع سيئة؛ أي: الصغائر (صغائر الذنوب)، وأما الكفر والشّرك والكبائر، فلا بد من التوبة (بأركانها)، والسيئة: وهي المعصية أو الأمر المنهي عنه، أمّا قوله: (من سيئاتهم)؛ أي: بعض سيئاتهم كقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام والنّون كلاهما للتوكيد.

﴿أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فالله سبحانه لا يقف عند محو السّيئات والعفو بل يجازيهم: يثيبهم على فعل الحسنات ولا يطرح السّيئات من الحسنات، وهذا

من كرمه وتفضله، الّذي كانـوا يعملون؛ أي: في الدّنيا، (الّذي) هنا تحمل معنىٰ شـيء محدد، ولم يقل أحسـن ما كانوا يعملون، كما في سورة النّحل آية (٩٧) ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِى﴾: تستعمل للعاقل وغير العاقل وتستعمل للأشياء المحددة، و(ما) تستعمل لغير العقلاء وصفات العقلاء وتستعمل للأشياء العامة غير المحددة.

ولمقارنـة هذه الآية (٧) من سـورة العنكبوت مع الآية (٩٧) من سـورة النّحل، ارجع إلىٰ سورة النّحل للبيان.

وأمّا الفرق بين قوله: (بأحسـن) سورة النّحل الآية (٩٧) و(أحسن) سورة العنكبوت الآية (٧): الباء للإلصاق تفيد التّوكيد، وأحسـن تعني: الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر من ذلك إلىٰ (٧٠) أو (٧٠٠) ضعف.

فالذين آمنوا في سـورة النّحل أكثر إيماناً وأشـدّ من الّذين آمنوا في سورة العنكبوت.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

أسـباب النزول: روىٰ مسـلم وغيره والواحدي في أسباب النزول: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبوت، فوالله لا يظلني سـقف بيت من الضح والريح، ولا آكل ولا أشرب حتىٰ تكفر بمحمد، وترجع إلىٰ مـا كنت عليه، أو أموت فتعير فيقال يا قاتل أمه، وكان باراً بأمه، فأبىٰ سعد فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل بظل حتىٰ خشـىٰ عليها، فأتىٰ سعد النبي ﷺ وشـكا ذلك إليه فأنزل هذه الآية، وقال سعد إليها: يا أماه لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما آيست منه أسلمت وأكلت.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: ووصّينا: مـن وصّىٰ، وصّينا: ألزمنا، كلّفنا، وهناك فرق

بين وصّىٰ وأوصىٰ، ووصّىٰ: تستعمل لما هو أهم مثل أمور الدّين والأمور المعنوية، ويستعمل أوصىٰ للأمور المادية، إلا في آية واحدة: ﴿وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١]، لاقتران الصّلاة بالزّكاة. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١) لمزيد من البيان.

﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾: الباء باء الإلصاق، وقوله: (بوالديه) فيها تغليب أو تذكير بالوالدة (الأمّ) علىٰ الوالد، ولم يقل بأبويه؛ فيه تغليب الأب علىٰ الأم، ولو كان الأمر يتعلق بالأب لجاء بكلمة أبويه. وانتبه عندما يوصي الله تعالىٰ الأولاد بالوالدين يقول: (ووصينا الإنسان بوالديه)، يأتي بالباء الّتي تفيد الإلصاق والمصاحبة؛ أي: الاستمرار والدّوام أو التّوكيد ويستعمل كلمة وصّىٰ.

وحينما يوصي الله تعالىٰ الوالدين بالأولاد لا يأتي بالباء مثال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، ويستعمل كلمة أوصىٰ، ولم يقل بأولادكم؛ لأنّ الوالدين أو الأبوين لا يحتاجان إلىٰ التّوكيد؛ لأنّ الوصية وحبهما لأولادهما أمر ثابت في قلوب الآباء للأبناء.

﴿حُسْنًا﴾: أي تقول لهم قولاً حسناً أو تعاملهم معاملة حسنة، وقيل: الحُسن بضم الحاء: هو الاسم الجامع لكلّ معاني الحُسن، وأمّا الحَسن بفتح الحاء هو البعض من معاني الحُسن، والإحسان أعلىٰ درجات البر والحُسن. والإحسان أمكن من حسناً وأعلىٰ درجة وأقوىٰ؛ تعني: معاملة حسنة وزيادة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٢) لمعرفة معنىٰ الإحسان.

﴿وَإِن﴾: شرطية تحمل معنىٰ الاحتمال والشّك؛ أي: تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه وهو الشرك في هذه الآية.

﴿جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾: أي لنفرض أنّهما والدان كافران غير راضيين عنك لأنّك أسلمت، فإن جاهداك؛ أي: بذلا أيّ جهد لحملك لتشرك بالله أو العودة إل الكفر والشرك، فلا تطعهما.

بينما في سورة لقمان الآية (١٥) قال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ففي هذه الآية الوالدان يشترطان علىٰ الولد الشّرك، فالمجاهدة هنا أشد وأقوىٰ مقارنة بالمجاهدة في آية العنكبوت، ولذلك جاء بكلمة (علىٰ) لتفيد المشقة والعلو.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية، تطعهما: في كلا الحالتين، أو في أيّ أمر يخالف أمر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ فلا طاعة لمخلوق مهما كان في معصية الخالق.

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة. وقدم إلي: للحصر؛ أي: إليه وحده مرجعكم. مرجعكم: اسم مكان أو زمان من فعل رجع وقد يكون مصدراً.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد والمباشرة؛ أنبئكم: أخبركم؛ بما: ما اسم موصول أوسع شمولاً من الذي كنتم تعملون في الدّنيا، وتضم ما كنتم تقولون وما كنتم تفعلون من خطأ أو صواب أو حق وباطل، الباء: للإلصاق، ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، مع الآية (٨٣) من سورة البقرة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وبقية الآيات المشابهة في سورة النّساء الآية (٣٦) والأنعام الآية (١٥١) ولقمان الآية (١٤-١٥) والإسراء الآية (٢٣-٢٥) والأحقاف الآية (١٥) للمقارنة، ولمعرفة أوجه الاختلاف في كل الآيات التي توصي الإنسان بوالديه.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧) السّابقة.

﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾: اللام والنّون للتوكيد علىٰ إدخالهم.

﴿فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في ظرفية؛ أي: هم الآن في الدّنيا من الصّالحين

وسنلحقهم في الصّالحين في الآخرة وهذه بشارة حسنة أو وعد من الله تعالىٰ للذين لم يشركوا بالله ويطيعوا آباءهم الذين أمروهم بالشرك بأن يدخلهم في الصالحين عوضاً عما حدث لهم من جفاء وتفرقة بينهم وبين آباءهم بسبب إيمانهم بالله تعالىٰ. والصالحين: جمع صالح. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٠) لبيان معنىٰ الصالحين.

[١٠] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: الواو استئنافية، من: ابتدائية بعضية، النّاس: تشمل الإنس والجن، وكلمة النّاس مشتقة من كلمة: النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: من اسم موصول بمعنىٰ الّذي، يقول آمنا بالله: أي إيمان عقيدة ودين، وكلمة (يقول) ولم يقل قال: تدل علىٰ تجدد قوله وتكراره وهو: آمنت بالله، وهو كما سنرىٰ إيمان بالقول واللسان فقط وليس إيماناً في القلب.

﴿فَإِذَآ﴾: الفاء تدل علىٰ التّعقيب والمباشرة، إذا: ظرفية شرطية تدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾: أصابه أذىٰ من قول أو فعل بسبب إيمانه بالله من قِبَل الكفار والمشركين أو غيرهم.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ﴾: صيّر فتنة النّاس؛ أي: العذاب أو الأذىٰ الّذي يلحق به بسبب إيمانه، يصده عن الإيمان والثّبات عليه، الكاف: كاف التّشبيه؛ أي: خاف من عذاب النّاس، أو أعتقد أن فتنتهم مساوية لعذاب الله تعالىٰ، ولذلك ارتدّ أو نافق وهو تقدير أو قياس خاطئ؛ لأنّ عذاب الله بسبب ارتداده أو نفاقه أشد وأبقىٰ من عذاب النّاس مهما طال واشتدّ؛ لأن عذابه سيكون دائماً،

وفتنة النـــاس أو عذابهم زائل غير دائم يزول بالمـــوت، والمؤمن الصّادق يصبر ويثبت على ما أصابه في سبيل الله تعالى؛ لأنّ ما عند الله خير وأبقى.

وهذه الآية تشـــبه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:٢٢].

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾: الـــلام في (لئـــن) للتوكيد، إن: شـــرطية تفيد الاحتمال أو الشـــك، جاء نصـــر من ربك: النّصـــر: الغلبة على العـــدو بالقتال والغنيمة، وأمّا الفتح الغلبة بدون قتال.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾: ليدعـــي بالوقـــوف إلى جانبكـــم وأيدكم على عدوكـــم أو أليس نحن إخوانكم في الدّين، أو لم نقف ضدكم فأعطونا نصيباً من الغنيمة.

﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ﴾: الهمـــزة للاســـتفهام والتّقرير، والـــواو في (أوليس) للتوكيد، بأعلم: الباء للإلصاق، أعلم صيغة مبالغة من علم.

﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اســـم موصول بمعنى الّذي، في صدور العالمين: من كذب ونفاق وكفر أو صدق وإخلاص، والجواب على أوليس؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾:

وليفتنهم في الدّنيا بما قدّر عليهم من ابتلاءات؛ ليريهم أعمالهم في الآخرة، فتكون حجة لهم أو حجة عليهم، وليظهر علمه سبحانه فيهم كما سبق منذ الأزل فيجازيهم بما ظهر منهم ويتبيّن الّذين آمنوا منهم ويتبيّن المنافقين.

وإذا قارنّا الآية (٣) ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

والآية (١١) ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

الآية (٣) جاءت في سياق الإيمان الظاهر بالقول والعمل (والكاذبين)، والآية (١١) جاءت في سياق الإيمان بالقلب (والنفاق) الإيمان الباطن.

أو الآية (٣) جاءت في سياق الصدق والكذب في الإيمان.

والآية (١١) جاءت في سياق الإيمان بالقلب أو بلسان (النفاق).

[١٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾:

هذه الآية مظهر من مظاهر فتنة بعض المسلمين عن دينهم من زعماء قريش، وتحذر الآية من الاستماع لكذبهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من زعماء قريش دعاة الكفر والضّلال.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من أهل مكة، آمنوا بالله ورسوله كما قال مجاهد.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾: أي ديننا، ارجعوا عن دينكم الّذي جاء به محمّد واتبعوا ديننا ودين آبائكم وأجدادكم.

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: اللام في (لنحمل) للتوكيد، خطاياكم: ذنوبكم عنكم، فقد كانوا يفترون عليهم الكذب فليس هناك بعث ولا حساب، فإن كان هناك بعث أو حساب وكان عليكم إثم أو ذنب، فسوف نحمله عنكم.

فردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم﴾: ما النّافية، هم: للتوكيد، بحاملين من خطاياهم: من ابتدائية، خطاياهم: جمع خطيئة، من شيء: من استغراقية تستغرق أيّ شيء، وشيء نكرة؛ أي: لن يحملوا عنهم لا خطيئة ولا لمماً ولا سيئةً ولا إثماً ولا ذنباً.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام للتوكيد، كاذبون جملة اسمية تعني: صفة الكذب صفة ثابتة لهم؛ أي: لا يتوقفون عن كذبهم؛ كذبهم مستمر.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾: اللام والنّون للتوكيد.

﴿أَثْقَالَهُمْ﴾: أي أوزارهم: ذنوبهم وخطاياهم.

﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي أوزاراً مع أوزارهم (وهي أوزار الّذين يضلونهم). ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لبيان الأوزار، وسورة النحل آية (٢٥).

﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: اللام والنّون للتوكيد، سؤال توبيخ وتقريع.

﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: عما (عن + ما) عن تفيد المجاوزة؛ أي: بعد مرور زمن ليسئلن، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، ليسئلن عن هذا الكذب وغيره.

كانوا يفترون: الافتراء هو اختلاق الكذب المتعمد؛ أي: ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يختلقون من الكذب المتعمد (عما كانوا يكذبون). يفترون: تدل على التجدد والتكرار وأن افترائهم لم يتوقف.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥) من سورة هود.

نوحاً: هو ابن لامك بن متوشلح بن إدريس من ولد شيث بن آدم، كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون كما في صحيح البخاري عن ابن عباس.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾: اللبث: أي أقام يدعوهم في زمن محدد (اللبث: الإقامة المحددة بزمن) أما المكث: الإقامة غير محددة بزمن.

يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده وترك عبادة الأصنام الّتي انتشرت في زمانه.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: ولم يقل ألف سنة إلا خمسين سنة، كلمة سنة في القرآن، تستعمل في سياق الشّدة والبأساء مثل القحط والفقر فهي لا تحمل في معناها الخير، وأمّا كلمة عام في القرآن تستعمل في سياق الخير والبركة والمطر والنّعمة فنوح عليه السلام عاش (٩٥٠) سنة وكانت كلها سني شدة؛ لما لاقاه من قومه من تكذيب وتحدٍّ وإعراض، ثمّ عاش (٥٠) عاماً بعد الطّوفان أعوام أمن ورخاء وسراء، ولذلك سماها عاماً بدلاً من سنة.

فقد قيل: بعث نوح على رأس (٥٣ سنة) ودعا قومه (٩٥٠) سنة وعاش بعد الطّوفان (٦٠) عاماً.

وقد قيل: بعث على رأس (٥٣) ودعا قومه (٩٥٠) سنة وعاش بعد الطّوفان (٤٧) عاماً، وهناك أقوال أخرى.

وقال تعالى: (ألف سنة إلا خمسين عاماً) بدلاً من تسعمائة وخمسين سنة كاملة.

استعمل رأس العدد ألف؛ لأنّه أوقع في النّفس؛ من القول تسعمئة وخمسين سنة، ولكي يبين زمن الفترة التي عاشها نوح بعد ذلك وأنها كانت مغايرة لما سبقها.

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: الأخذ معناه العذاب أو الهلاك وفيه معنى الأخذ بشدة، الطّوفان: ما طاف وأحاط بكثرة وغلبة، وهو هنا المطر الشّديد الّذي أدى إلى الغرق والهلاك، أو ما يسمى: تسونامي نتيجة البركان الّذي حدث.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿ظَالِمُونَ﴾: لأنفسهم بالشّرك جمع: ظالم، والظّلم هو الشّرك؛ أي: وهم مشركون أو كافرون، ظالمون: جملة اسمية تفيد الثّبوت، ثبوت صفة الظّلم؛ أي: الشّرك عندهم، فقد كانوا يعبدون الأصنام الّتي ذكرت في سورة نوح آية (٢٣).

❖ ❖ ❖

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
(١٥) وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

سورة العنكبوت [الآيات ١٥ - ٢٣]

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب؛ أي: مباشرة من الطّوفان أنجينا نوحاً، أنجيناه تدل على السّرعة والقوة الّتي تمت فيها عملية الإنجاء، ولم يقل فنجّيناه الّتي تدل على البطء والزّمن الطّويل. كما في سورة يونس آية (٧٣) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ التي تدل على النجاة من قومه بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: الّذين ركبوا معه فيها سمّاهم أصحاب السّفينة، وقيل: كان عددهم (٣٠-٨٠) ولأنّ السّفينة صنعت من أجلهم فهي ملكهم جميعاً، فقال: أصحاب السّفينة؛ وهم نوح وأولاده الثّلاثة: سام وحام ويافث، ومن آمن معه، وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: وقد اكتشفت هذه السّفينة في شرقي تركيا على جبل الجوديّ في عام (١٩٤٨) وكان طولها يقارب (٣٠٠) ذراع وعرضها (٢٠) ذراعاً، آية وعبرة ودلالة ومعجزة تدل على عظمة الله وقدرته، فهي أول سفينة تصنع على الأرض، للعالمين: اللام لام الاختصاص، للعالمين: للمؤمن وللكافر.

وقدّم آية على العالمين؛ لأنّها الآية الوحيدة الّتي سيتعظ بها كلّ النّاس أو

عبرة للعالمين؛ لأنه يتحدث عن السفينة، ولم يقل للعالمين آية كما قال تعالىٰ في سورة الفرقان آية (٣٧) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ فتقديم الناس علىٰ الآية في هذه؛ لأنه يتحدث عن إغراق قوم نوح كما أغرق غيرهم من الناس. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٣٧) للبيان.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَاهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٢٤].

قوله تعالىٰ: (آية للعالمين) لأنّ السّفينة بقيت في مكانها تراها الأجيال بعد الأجيال وأثرها باقٍ إلىٰ اليوم في بعض المتاحف.

أما قوله تعالىٰ: (لآيات لقوم يؤمنون) لأنّ إحراق إبراهيم عليه السلام ونجاته في ذلك الوقت كان عبرة لمن شاهده وآمن به، ونحن نؤمن بذلك؛ لأنّ الله تعالىٰ أخبرنا بذلك فهي آيات وليست آية وخاصة بالمؤمنين.

[١٦] ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: الواو عاطفة؛ أي: ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه وأرسلنا إبراهيم. حذف كلمة أرسلنا؛ لأنّ المعنىٰ مفهوم من سياق الآيات.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين، أو اذكر إذ قال لقومه.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه: أي أطيعوا أوامره وتجنبوا نواهيه؛ أي: اتقوا سخطه وغضبه اتقوا نار العزيز الجبار. وقد يسئل سائل كيف يقول لقومه في هذه الآية: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱتَّقُوهُ﴾، وفي سورة الزخرف آية (٢٦) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، ولنعلم أن آية العنكبوت جاءت في سياق قومه الذين آمنوا بعد الهجرة، وإسماعيل وذريته الذين كانوا في مكة، والذين دعا الله أن يرزقهم من الثمرات. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٣٧)، وأما آية الزخرف (٢٦) جاءت في قومه وأبيه قبل الهجرة من العراق إلىٰ الشام.

ولمعرفة معنىٰ العبادة ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٧٣).

والتقوىٰ لغةً: الوقاية والحماية من عضب الله وسخطه وبالتالي من النار، وذلك باتباع أوامره وطاعته سبحانه واجتناب نواهيه، والعبادة تؤدي أو ثمرتها التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

في هذه الآية عطفت التّقوىٰ علىٰ العبادة؛ أي: اعبدوا الله تعالىٰ؛ لتتقوا غضب الله وسخطه وناره، أو اعبدوا الله وحده واتقوه؛ أي: اتقوا أن تشركوا به؛ لأن التّقوىٰ: هي كفُّ النّفس عما نهىٰ عنه الشّارع.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: العبادة والتّوحيد والتّقوىٰ، ولم يقل ذلك وإنما قال: ذلكم؛ للمبالغة وأهمية العبادة والإخلاص والتقوىٰ، ولأنّ الأمر يشمل عدة أمور و(ذلك) تستعمل للأمر الواحد والأقل توكيداً.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم (علىٰ وزن أفعل) من عبادة الأوثان والأصنام أو عبادة غير الله تعالىٰ، لكم: اللام لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة.

﴿إِن كُنتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: ما فيه صلاحكم وفلاحكم ونجاتكم، أو ما هو خير لكم.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار على عبادتهم للأوثان.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿أَوْثَٰنًا﴾: جمع وثن، الوثن: كلّ ما يُعبد من غير الله، وليس له جسم أو صورة، فإن كان له جسم أو صورة إنسان أو حيوان فهو صنم.

الأوثان: كلمة عامة تشمل الأصنام، فكل وثن صنم وليس كلّ صنم وثناً.

وقيل: الصنم يصنع من خشب أو معدن كالذهب والفضة والنّحاس، أما الوثن من الحجارة، وما ذبح على النصب هي حجارة؛ أي: أوثان.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: الإفك هو الكذب المتعمد، وتخلقون إفكاً: أي ذا إفك وباطل وتخلقون إفكاً: حين تسمون الأوثان آلهة أو تصفونها بأنها آلهة، وهي ليست بآلهة، وأنها شركاء وتشفع وتقرب من الله، فكل ذلك كذب مختلق ومتعمد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: إن للتوكيد، الّذين تعبدون من دون الله:

(من غير اللـــه) من هذه الآلهة والأوثان، وبدل القول مـــا تعبدون وقال: (الّذين تعبدون)؛ أي: أعطىٰ الأوثان صفة العاقل؛ لأنّهم يعبدونها كأنها تعقل.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا النّافية لكل الأزمنة، يملكون لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، رزقاً: رزقاً نكرة؛ أي: لا يقدرون علىٰ رزقكم بأيّ نوع من أنواع الرّزق (الطّعام والشّـــراب والمال) لأنّهـــم لا يملكون القدرة علىٰ أيّ شيء، لا يملكون في السّابق ولا الحاضر ولا في المستقبل.

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: أي اطلبـــوا من اللـــه وحده الـــرّزق فهو الرّزاق الكريم، والفاء للتوكيد، وعرّف الرّزق بأل التّعريف؛ أي: رزق الله تعالىٰ. والرّزق لا يعني المال فقط وإنما يشمل العلم والصحة والأهل والولد والأخلاق وغيرها. انظر كيف نكّر الرزق ثم عرّفه، نكّره ليشمل كل أنواع الرزق، وعرّفه؛ أي: كله من عند الله وحده، وفي سورة الذاريات آية (٧٥) قال تعالىٰ: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾؛ أي: هو سبحانه غني عنكم وأنتم الفقراء إليه ليرزقكم.

﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: وحده؛ لأنّه خلقكم فهو ربكم.

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾: فعـــل أمر، ولم يقل واشـــكروه، وإنما قال اشـــكروا له: اللام في (له) تفيـــد الاختصاص والإخلاص؛ أي: اشـــكروا نعمة الله لله؛ أي: لذاته اشـــكروا المنعم بغضّ النّظر عن كونه أنعم عليكـــم تلك النّعمة أم لا فهذا هو الأكمل، فشـــكر النّعمة لا بأس به ولكن شكر الله أفضل وأدوم، وما دام الله فالنّعمة تدوم وتصل إليكم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠): لمزيد من البيان في معنىٰ الشكر.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه تقديـــم الجار والمجرور يفيـــد الحصر؛ أي: إليه

وحده لا إلىٰ غيره تُرجعون: بضم التاء؛ أي: لا خيار لكم ولا إرادة، تُرجعون إليه بعد البعث للحساب والجزاء. ولو قال تَرجعون: بفتح التاء لكان ذلك يعني الرجوع بإرادتكم ومحبتكم. وهناك فرق بين تُرجعون وقوله تعالىٰ: ﴿تُقْلَبُونَ﴾ كما سيأتي في الآية (٢١) من نفس السورة. ارجع إلىٰ الآية (٢١) للبيان.

[١٨] ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: إن تكذبوا بما أعظكم، فلا يضرني تكذيبكم؛ لأنّه قد كذّب أمم من قبلكم، (فقد) الفاء رابطة لجواب الشّرط تفيد التّوكيد، (قد) للتحقيق.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾: ما النّافية. علىٰ الرسول: أو الرسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: البلاغ: هو إعلامكم بما أنزل إليكم ربكم. والمبين: يعني الواضح البيّن والكامل التام.

انتبه إلىٰ قوله: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ﴾ ولم يقل فقد كذبت، كذب تدل علىٰ القلة، وكذبت تدل علىٰ الكثرة، فلماذا استعمل كذب الّتي تدل علىٰ القلة؟ الجواب: لأن الأمم الّتي سبقت قوم إبراهيم قلة مثل قوم نوح وعاد وثمود.

القاعدة: جمع التّذكير يدل علىٰ القلة وجمع التّأنيث يدل علىٰ الكثرة كقوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:١٢-١٤].

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والواو في (أولم) تدل على شدة الإنكار (إنكار البعث).

﴿يَرَوْا﴾: الرّؤية هنا قلبية؛ أي: يعلموا.

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام وعادة تستعمل للسؤال عن الحال.

﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: في كلّ عام أو كلّ مرة كيف يحيي الله الأرض بعد موتها، فمن هو قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى. ارجع إلى الآية (٢٠) القادمة لبيان الفرق بين بدأ ويُبدئ الخلق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: تدل على التّراخي في الزّمن.

﴿يُعِيدُهُ﴾: يعيد خلقه أو إحياءه من جديد.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يفيد البعد ويشير إلى أن إعادة الخلق (البعث) على الله يسير.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هيّنٌ وسبحانه، ليس عنده ما هو هيّنٌ أو ما هو صعب فالكل متساوٍ (الخلق أو إعادة الخلق) وذكر يسير أو هيّن هو تبيان للناس على قدر ما تفهم عقولهم، وقوله: (إن ذلك على الله يسير) يقصد بها إعادة الخلق فهم يقرّون بالخلق الأوّل كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزّخرف:٨٧]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

ففي ميزان البشر إعادة الخلق هو أهون من بدء الخلق، فلمَ يقرّون بأنّ الله قادر على بدء الخلق وليس إعادته!

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: السّير الانتقال، الارتحال من مكان إلىٰ مكا ن للسفر والسّياحة، سيروا في الأرض ليس سيروا علىٰ الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوي المحيط بالأرض يعتبر جزءاً من الأرض.

﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة؛ أي: سافروا للتأمّل والتّفكر والعبرة، فانظروا نظرة تأمل وتفكر نظرة قلبية كيف بدأ الخلق؛ أي: لأوّل مرة؛ أي: النشأة الأولىٰ؛ أي: الخلق الأوّل منذ ملايين السّنين، أما لو قال كيف يبدأ الخلق؛ يعني: يكرر ويجدد، وإعادته بعد الخلق الأول كما نرىٰ في إحياء الأرض بعد موتها كلّ عام. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (١١)؛ للمقارنة بين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ [النمل:٦٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ [الأنعام:١١].

﴿ثُمَّ اللَّهُ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: يعني البعث: بعث الخلائق يوم القيامة للحساب، وهذه كذلك نظرة قلبية؛ لأنها ستحدث في المستقبل.

الخلاصة عندنا ثلاثة أنواع:

١ - الخلق الأوّل (بدء الخلق).

٢ - يبـدأ الخلق (يعني إعادة الخلق كلّ عـام أو كلّ زمن كما في إحياء الأرض، وخلق البشر المستمر).

٣ - النّشأة الآخرة هي البعث للحساب.

وانتبـه إلىٰ قوله تعالىٰ: (كيف بدأ الخلق) أضمـر أو حذف ولم يذكر الله فقـال: (كيف بدأ الخلق)؛ لأنّ الكل ومنهم الكافرون يؤمنون بأن الله هو الخالق كما بيّنّـا في آية الزّخرف (٨٧) ولقمان (٢٥) ولكـن المصيبة هي عدم إيمانهم بالبعث أو النّشـأة الأخرىٰ ولذلك ذكر وأفصح عن اسـمه فقال: (ثمّ الله ينشئ النّشأة الآخرة).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد، علىٰ كلّ شيء قدير. ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان. لا يعجزه خلق أو بعث أو إعادة.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾:

كما ورد في الآية السّـابقة ينشـئ النّشـأة الآخرة؛ أي: يبعث الله العباد للحسـاب والجزاء علىٰ أعمالهـم فيعذب أهـل الكفر والشّـرك والمكذبين بالله ورسـله والعصاة إذا لم يتوبوا، ويرحم أهل طاعتـه أو الّذين آمنوا وعملوا الصّالحـات. وبدأ بذكر العـذاب في هذه الآية قبل ذكـر الرّحمة، وكذلك قدم العذاب علىٰ المغفرة في آية أخرىٰ فقط في سياق السارق والسارقة، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة:٤٠]. ارجع إلىٰ تلك الآية لمزيد من البيان. بينما في آيات أخرىٰ يقدّم المغفرة علىٰ العذاب كقوله تعالىٰ: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة:١٨]، وقدّم العذاب في هذه الآية؛ لأنّها جاءت في سـياق المكذبين

بالبعث والمعرضين عن آيات الله، فناسب ذكر العذاب قبل الرّحمة لإنذار هؤلاء الأشقياء.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: أي وإليه ترجعون.

١ - تقديم إليه (بدلاً من القول تقلبون إليه) تقديم الجار والمجرور للحصر والقصر؛ أي: إليه وحده تقلبون للحساب والجزاء.

٢ - استعمل (تقلبون) بدلاً من ترجعون؛ لأنّ الرّجوع يكون عودةً للحالة الأولىٰ الّتي خرج فيها أو كان فيها، أما (تقلبون) ففيه معنىٰ الرّجوع ولكن إلىٰ حالة جديدة غير الحالة الأولىٰ، فهم كانوا في الدّنيا وبعد البعث يقلبون للعذاب أو للرحمة إما النّار وإما الجنة، ولو أنّهم يرجعون إلىٰ الدّنيا لقال إليها يرجعون. وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء، وهكذا قد يكون في الدنيا، أو في الآخرة.

٣ - تقلبون: بغير إرادتكم أو مشيئتكم؛ أي: قسراً وقهراً.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَآ أَنتُم﴾: الواو استئنافية، ما النّافية، أنتم: للتوكيد والمخاطب المكذبين الكافرين والمعرضين والعاصين.

﴿بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، معجزين: جمع معجز وهو الّذي يُعجز غيره؛ أي: يفلت من غيره، وما أنتم بمعجزين في الأرض: نفىٰ

عنهم، ليس فقط القدرة على الهرب، بل نفى عنهم حتّى التّفكير بالهرب، فالهرب ليس وارداً بحقهم من أقطار الأرض ولا في الأرض نفسها.

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: تكـرار (لا) يفيد توكيد نفي العجز عن كلّ واحدة لا في الأرض ولا في السّماء ولا كلاهما، السّماء: تشمل السّموات السّبع وكل ما علا الإنسان.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: وما لكـم: الواو: عاطفة. ما: نافية. لكـم: خاصة المكذبون بالبعـث والآخرة في زمن إبراهيـم من غير الله تعالى. من: استغراقية تستغرق كل ولي ونصير، والولي: هو القريب الّذي يُعينك ويُكِنّ لك المحبة والمودة، النّصير: هـو الّذي ينصرك بالقوة ويدافع عنك، فقد يكون هناك من هو ولي ولا يستطيع أن ينصرك، أو هناك من هو نصير وليس ولياً لك، فالنّفي شمل كلاهما. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٠٧) لمزيد من البيان.

أوّلاً: لنقارن هذه الآية (٢٢) من سـورة العنكبوت: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ مـع الآيـة (٣١) من سورة الشّورى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

نجد أولاً: في سـورة العنكبوت أضاف كلمة السّماء إلى الأرض، أما في سورة الشّـورى اقتصر على كلمة الأرض، السّـبب: الآية في سورة العنكبوت جاءت في خطاب قوم إبراهيم وفي النّمرود الّذي كان يظن أنّه قادر على الصّعود إلى السّـماء، فالتحدي في آية العنكبوت أشـد من التّحدي في سورة الشّورى، ولذلك أضاف السّماء في العنكبوت وحذفها في الشّورى (خطاب عام).

ثانياً: وفي آية العنكبوت إشارة إلىٰ الصّعود إلىٰ السّماء، وقد رأينا هذا منذ حوالي (٥٠) عاماً حتّىٰ الآن، كيف يصعد روّاد الفضاء إلىٰ السّماء ورغم ذلك فهم غير معجزي الله وهم تحت رحمة الله، وبإذنه يصعدون، وكم تحطم الكثير من المركبات الفضائية ولم ينجو أحد منها.

ثالثاً: إذا نظرنا إلىٰ الآية ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وهناك آية أخرىٰ مشابهة ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة الشّورىٰ الآية (٨): فالاختلاف يعود إلىٰ (من دون الله) فحين يذكر (من دون الله) فالآية في سياق الدّنيا والخطاب إلىٰ الأحياء، وحين لا يذكر (من دون الله) فالآية في سياق الآخرة؛ أي: المخاطبون هم أهل الآخرة؛ لأن في الآخرة ليس هناك سواه سبحانه حتّىٰ يتخذوا ولياً أو نصيراً، فلا داعي لذكر (من دون).

[٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنية والكونية والمعجزات الدّالة علىٰ نبوة الرّسل، كفروا: أي لم يؤمنوا بها أو يصدقوها، والباء للإلصاق والتّمسك بالكفر.

﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: أي كفروا بالبعث والحساب والدّار الآخرة، ولقاء الله سبحانه والعرض عليه كقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود:١٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد ويفيد الدنو.

﴿يَيِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾: يئسوا من اليأس: وهو انقطاع الأمل والرّجاء. من رحمتي: عفوي ومغفرتي أو من جنتي.

والمؤمن لا ييأس من روح الله مهما حدث ولا من رحمة الله؛ لأنّه لا ييأس من روح الله (فرج الله) إلا القوم الكافرون كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: إعادة (أولئك) للتوكيد، لهم عذاب أليم، لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاب أليم: في الدّنيا والآخرة شديد الإيلام لا يستطيع أن يطيقه أو يتحمله أحد.

❖❖❖

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

سورة العنكبوت [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَا كَانَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب وما النّافية.

﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: بعد أن دعاهم لعبادة الله وحده ونهاهم عن عبادة الأصنام، وقوله لقومه: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون، فقد كان جواب قومه جواب المتكبر الجبار الّذي ليس لديه ما يقوله من حجة أو برهان إلا التّهديد والبطش والقتل.

فما كان جواب قومه: أي فما كان رأي قومه؛ لأنّه لم يكن هناك سؤال أصلاً، وإنما جاء رأي قومه الّذي أجمعوا عليه في صورة الجواب.

﴿إِلَّآ﴾: للحصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿قَالُوا۟﴾: قال بعضهم لبعض، أو قال أحدهم واستمع الآخرون، أو قال بعضهم: اقتلوه، وبعضهم قالوا: حَرِّقوه، المهم كانوا جميعاً شركاء في الجريمة (القتل أو الحرق).

﴿ٱقْتُلُوهُ﴾: القتل هو هدم بنية الجسم بحيث يصبح غير صالحٍ لسكن الرّوح، فتجبر الرّوح على مفارقة البدن فيحدث الموت.

﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: (أو) هنا قد تكون للتخيير وقد تعني الإضراب الإبطالي؛ أي: بل حرّقوه.

فأيهما أشد وأبلغ القتل أو الإحراق؟: القتل حتماً نتيجته الموت، والإحراق قد يؤدي إلى الموت أو يبقى الإنسان حياً بعد معالجته.

وأيهما أشد عذاباً طبعاً الإحراق؛ لأنّ ألمه شديد وقد يطول وهو أبشع وسائل القتل.

وحرّقوه، وليس أحرقوه؟ حرّقوه فيها مبالغة في الإحراق؛ أي: أوقدوا له ناراً شديدة لتحرقه، إحراقاً كاملاً رأسه وجسمه ووجهه ويديه ورجليه يؤدي إلى الموت.

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: الفاء للمباشرة؛ أي: أنجاه الله سبحانه مباشرة بعد أن ألقوه في النّار، أنجاه: تدل على سرعة النّجاة، فليس هناك متسع من الزّمن، ولم يقل فنجّاه الّتي تدل على البطء.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك اسم إشارة يفيد البعد، لآيات: اللام لزيادة التّوكيد، ولم يقل لآية وإنما آيات: جمع آية؛ أي: عجائب ودلائل وعبر كثيرة خارقة للعقل في إحراق إبراهيم ونجاته من النّار، وكيف أصبحت برداً وسلاماً على إبراهيم، والسّؤال ألم يكن سبحانه قادراً على أن ينجيه قبل حرقه بالهجرة أو بالهرب مثلاً، وكذلك ألم يكن سبحانه قادراً على

أن يطفئ النّار حين أشعلوها ولكنه لم يفعل وإنما كانت الآية أنّه سلب من النّار قدرتها على الإحراق وأبدلها ببرد وسلام وهذا في دلالة أكبر على عظم قدرته سبحانه والنّار آية وجند من جنود الله سبحانه.

آيات: دلالات وبينات تدعو إلى الإيمان والتّوحيد وتدل على قدرة وعظمة الخالق، وأنّه هو الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد ويُحمد.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يؤمنون: ينتفع بها المؤمنون خاصة فتزيدهم إيماناً مع إيمانهم، وقد بيّن الله سبحانه في سورة الصّافات الآية (٩٧-٩٨) كيف تمَّ إحراقه فقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[٢٥] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾:

﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم بعد أن أنجاه الله من النّار ورجع يدعو قومه إلى الإيمان مرة أخرى: إن لم تؤمنوا بكل هذه الآيات الدّالة على عظمة وكمال قدرة الله تعالى.

﴿إِنَّمَا﴾: للتوكيد والحصر والقصر على اتخاذ الأوثان من أجل المودة لإظهار حمقهم وسفاهة عقولهم، وكذلك تكبرهم وعنادهم.

﴿ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي إنما عبدتم هذه الأوثان مودة بينكم؛ أي:

١ - لتتوادوا من دون الله، أو للألفة بينكم والتّحابّ لاجتماعكم على مذهب واحد وعقيدة واحدة باطلة هي عبادتها وتعظيمها.

٢ - أو تعني: اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم؛ أي: تودون بعضكم بعضاً بسبب الأوثان.

٣ - أو اتخذتموها مودة لتودّوا آباءكم الأولين وسيراً على منهجهم.

٤ - أو تحبوها حباً شديداً لا أنها لا تضر ولا تنفع.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: أي هذه المودة بينكم وبين بعض، بينكم وبين هذه الأوثان أو بينكم وبين آبائكم الأولين، وكلّ هذه الصّلات والرّوابط في هذه الحياة الدّنيا ستزول وتنقطع يوم القيامة ولا يقف الأمر عند ذلك بل سيكفر بعضكم ببعض؛ أي: سيتبرأ بعضكم من بعض؛ أي: القادة من الأتباع أو الّذين استكبروا من الّذين استضعفوا.

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يلعن الأتباع المتبوعين ويلعن الرؤساء الضعفاء، ويلعن عبدة الأوثان الأوثان، واللعن: الدّعاء بالبعد والطّرد من الخير أو رحمة الله والدّعاء عليهم بالعذاب.

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: مكانكم ومستقركم ومنزلكم النّار، والمأوى اسم مكان من: أوى يأوي، والمأوى: المنزل.

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: ناصرين: جمع نصير، نصير: صيغة مبالغة، والنصير: أقوى من الناصر. ما للنفي، لكم: اللام لام الاختصاص، لكم عبدة الأوثان، من: استغراقية تستغرق؛ أي: تشمل كل نصير؛ أي: لا نصير ولا ناصر

ينصرونكم من عذاب الله؛ أي: يمنعونكم أو يشفعوا لكم أو يخففوا عنكم العذاب، وكما قال في آية أخرىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. فالمودات تنقلب إلىٰ عداوات إلا المحبة في الله فهي التي تدوم في الدّنيا والآخرة.

[٢٦] ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، آمن له مباشرة بعد أن نجا من النّار، آمن له: ولم يقل آمن به، آمن له تعني: صدّقه، صدّق نبوته؛ أي: صدّق لوط بإبراهيم مباشرة وهو أوّل من آمن بإبراهيم، وقيل: كان لوط ابن أخيه.

﴿وَقَالَ إِنِّى﴾: أي إبراهيم، قال إنّي: للتوكيد.

﴿مُهَاجِرٌ﴾: قال ذلك بعد أن نجا من النّار، مهاجر: يعني أنّه لم يهاجر برغبته وإنما آذاه قومه فاضطر إلىٰ الخروج؛ أي: مرغم علىٰ الهجرة، أما هجر تعني: تركها برغبته ولم يُجبر علىٰ الخروج.

﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: إلىٰ حيث أمرني ربي أو مهاجراً امتثالاً لأوامر ربي الّذي أمرني بالهجرة، مهاجر من الكوفة في العراق إلىٰ بلاد الشّام وكان عمره حوالي (٧٥) ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة، وقيل: هو أوّل من هاجر في سبيل الله.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إنّه للتوكيد، هو: للتوكيد والحصر.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه، والحكيم من الحكمة فهو أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) للبيان المفصل.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: الواو: واو العطف والجمع؛ أي: وهبنا لإبراهيم إسماعيل من قبل، ووهبنا له إسحاق ويعقوب، وإسحاق ابن إبراهيم، ويعقوب الحفيد (ابن إسحاق)، الهبة: عطية تفضُّل من الواهب إلى الموهوب له، الواهب هو الله تعالى، الموهوب إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ سارة كانت عجوزاً عقيماً. ارجع إلى سورة ص آية (٣٠) وسورة إبراهيم آية (٣٩): لمزيد من البيان.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾: كلّ الأنبياء والرّسل الّذين جاؤوا من بعد إبراهيم كانوا من ذرية إبراهيم ومنهم إسماعيل ورسول الله ﷺ، والكتاب: اسم جنس يعني التّوراة والإنجيل والقرآن والزّبور كلها أنزلت بعده، وأنزلت على ذريته من الأنبياء والرسل.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: وآتيناه: من الإيتاء وهو: العطاء بدون تملك والإيتاء للأشياء المادية والمعنوية، لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء ارجع إلى (٢٥١) من سورة البقرة للبيان. أجره في الدّنيا؛ والأجر: هو جزاء على العمل في الدعوة والتبليغ بالصلاة عليه والثّناء الحسن والذّرية الطّيبة والنّبوة وعلوّ القدر، الأجر في الدّنيا يكون مقابل التّبليغ والدّعوة، وإنّه في الآخرة لمن الصّالحين: إنّه للتوكيد، واللام في (لمن) لزيادة التّوكيد.

الصالحين: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٠) لبيان معنى الصالحين. وإذا قارنا هذه الآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله تعالى في الآية (١٢٢) من سورة النحل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نجد هناك اختلافين: الأول: الأجر مقابل الحسنة، والثاني: تقديم الأجر على الدنيا، وتقديم الدنيا على الحسن أولاً الأجر أعم من الحسنة؛ الحسنة نوع من أنواع الأجر، وجاء الأجر في آية العنكبوت في سياق الدعوة إلى الله والتبليغ، وجاءت الحسنة في النحل لكونه شاكر لأنعم الله، وتقديم الدنيا على الحسنة؛ أي: حسنة تخص الدنيا، أو ينالها في الدنيا، وأما الأجر فليس خاص بالدنيا فقط، بل الدنيا والآخرة.

[٢٨] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: أي واذكر إذ قال لوط لقومه أو حين قال لوط لقومه.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾: إنكم تفيد التّوكيد، واللام في لتأتون لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: إتيان الرجال شهوة من دون النساء.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ما النّافية، سبقكم بها: ما فعلها أو قام بها أحدٌ من قبلكم، من: استغراقية، أحد: للتوكيد، من العالمين: الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ

ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتّوبيخ على فعلهم الفاحشة، وتكرار أئنّكم لتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرّجال: توكيد لتقبيح عملهم وذمهم وتوبيخهم، أنكم: للتوكيد.

﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾: اللام في لتأتون لزيادة التّوكيد، تأتون الرّجال شهوة.

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: تقطعون الطّريق على المارّة بالاغتصاب وسلب أموالهم، أو بالفاحشة أو قطع النّسل للعدول عن النّساء إلى الرّجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾: النّادي: مشتقة من الفعل ندا، يندو: مجلس تجمّع القوم للحديث واللعب والمشاورة وغيرها، المنكر: كلّ ما خالف الشّرع يقال له: منكر من قول وفعل مثل: فعل الفاحشة مجاهرة، وسوء الخلق والعُري، والسّخرية من المارة والصفير، وتشبّه الرجال بالنّساء والنّساء بالرّجال وغيرها من الأعمال الّتي تخالف الفطرة السّليمة من العادات القبيحة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: الفاء تدل على المباشرة، ما النّافية، جواب قومه: ردّ قوم لوط.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾: قالوا ذلك استهزاءً وكفراً وتحدياً للوط عليه السلام، وظناً منهم أنّ الله لم يحرّم عليهم تلك الفاحشة أو تلك الفواحش والمنكرات.

﴿إِن كُنتَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو النّدرة.

﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فهم غير متأكدين من صدقه، ولذلك لم يُخفهم التّهديد والوعيد بالعذاب. وفي سورة النمل آية (٥٦): ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، كيف نجمع بين الآيتين، نجمع بينهما بالقول عند التشاور، قال فريق: أخرجوه من قريتكم، وفريق قال: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

قال لوط: ربّ انصرني على القوم المفسدين في الأرض بفعل الفاحشة والمجاهرة بها وارتكاب المعاصي وقطع السّبيل، على: تفيد الاستعلاء والمشقّة، المفسدين: جمع مفسد، بقطع الطّريق وارتكاب المعاصي والفاحشة والمنكر، والمفسدين: جملة اسمية تدل على ثبوت فعل الفساد فيهم، فهم كانوا فاسدين في أنفسهم ومفسدين غيرهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١): للبيان.

❖ ❖ ❖

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

سورة العنكبوت [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ: وحين، متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالبشرىٰ بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب (الحفيد)، رسلنا: أي ملائكتنا، ولم يذكر البشرىٰ في هذه الآية وإنما ذكرها في آيات أخرىٰ فقال تعالىٰ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذّاريات:٢٨]، بالبشرىٰ: والبشرىٰ هي الخبر السّار لأوّل مرة. ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٨٩) لمزيد من البيان.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي رسلنا (الملائكة).

﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: إذن هم جاؤوا لإهلاك قرىٰ لوط، وفي طريقهم مروا علىٰ إبراهيم عليه السلام وبشروه بإسحاق ويعقوب، وأخبروا إبراهيم بما سيحل علىٰ قوم لوط من العذاب، القرية هنا قرية سدوم وهي المركز أو العاصمة لقوم لوط وتمثل بقية قرىٰ قوم لوط، والتي سماها الله سبحانه (المؤتفكات) [الحاقة آية:٩]، وفي سورة النجم آية (٥٣) سماها (المؤتفكة أهوىٰ).

مهلكو أهل القرية بما قدمت أيديهم حين خرجوا عن منهج الله وارتكبوا الفاحشة الّتي ما سبقهم بها من أحد من العالمين.

﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾: إنّ للتوكيد، أهلها: سكان هذه القرية.

﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: لأنفسهم بارتكاب الفاحشة الّتي حرمها الله علىٰ العالمين والفساد في الأرض بقطع الطّريق وإتيان المنكر في ناديهم. ظالمين: جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: مستمرين بالظلم.

[٣٢] ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال إبراهيم للملائكة.

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: ولوط عليه السلام لم يكن من أهل هذه القرية بل كان مهاجراً إليها وهو فيها الآن حاضراً؛ لذلك لم تشمله الآية السّابقة (مهلكو أهل هذه القرية) ويبدو أنّ إبراهيم عليه السلام شُغل بقصة لوط ولم يسأل عن البشرى.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: قالوا: الملائكة (الرّسل)، نحن أعلم: على وزن أفعل، وصيغة مبالغة للعلم.

﴿بِمَن فِيهَا﴾: الباء للإلصاق، من اسم موصول بمعنى الّذي فيها؛ وهو لوط، وفيها: ظرفية مكانية.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾: اللام والنّون للتوكيد؛ أي: لوط وأهله.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: ابنتيه.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: امرأته: إذن هي من أهله، ولكنه استثناها منهم وقال امرأته، ولم يقل زوجته. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) للبيان. الباقين في العذاب في حكم الله وعلمه الأزلي، ارجع إلى سورة النّمل الآية (٥٧): للبيان.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين متضمنة الشّرط.

﴿أَن﴾: هنا تدل على طول الزّمن أو التّراخي في الزّمن؛ أي: كأنه كان ينتظر

بفارغ الصبر وقد طال الانتظار لمجيء هؤلاء الرّسل لإهلاك قوم لوط الّذين تمادوا في فعل الفاحشة.

﴿جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾: أي الملائكة الّذين قدموا من عند إبراهيم.

﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾: أي أصابه السّوء بمجيئهم حين رآهم قادمين عليه، أحزنه، ساءه مجيئهم بدل أن يفرح ويسعد بهم (لأنّه لا يعلم أنّهم ملائكة) لأنّهم قدموا عليه بصورة بشر شبان حسان المنظر.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: أي اشتد عليه الشّعور بالضيق في صدره من مجيء الرسل إليه والخوف عليهم من قومه وظن أنه غير قادر على حمايتهم من قومه عندئذٍ أخبروه بقولهم: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود:٨١]. وأصل ضاق ذرعاً؛ أي: ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع.

﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: الخوف هو توقع الضّرر المشكوك في وقوعه، لا: النّاهية، تخف من قومك علينا؛ لأنّهم لن يصلوا إليك، ولا تحزن: الحزن: هو الألم النّفسي المستمر، وتكرار لا يفيد توكيد النّفي بعدم الحزن وبعدم الخوف وبكلاهما.

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿مُنَجُّوكَ﴾: من النّجاة، منجّوك تدل على الثّبوت، وهناك فرق بين النّجاة والفوز، فالنّجاة: هي الخلاص من المكروه، وأمّا الفوز فهو الخلاص من المكروه والوصول أو الحصول على المحبوب.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: الأهل: عادة تطلق على الزوجة والأولاد، وهنا استثنى الزّوجة.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾: إلا أداة استثناء، وقال: امرأتك بدلاً من (زوجتك) لأنّ: الزوج يطلق على الذكر والأنثى وهما زوجان، وهما زوج كلّ؛ أي: منهما يماثل الآخر.

ولأنّها كانت تخالف لوطاً في الدّين والإيمان ولذلك بدل اسم الزّوجة إلى امرأة. من خصوصيات القرآن استعمال كلمة المرأة إذا كانت الزوجة تخالف زوجها

في الدّين أو العادات ويستعمل الزّوجة إذا كانت تحاكي زوجها في الدّين وغيره وليس فيها مرض أو عيب خَلقي. ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب من: غبر، ولها معنيان:

الأول: مضىٰ، والثاني: بقي، فما دامت بقيت مع أهل قريتها فهي أصبحت من الهالكين.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، الملائكة يخبرون لوطاً بما سيفعلون بأهل هذه القرية والقرىٰ الأخرىٰ المماثلة.

﴿مُنْزِلُونَ﴾: الله سبحانه هو المنزل وهم رسل الله تعالىٰ.

﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: سدوم وأخواتها (المؤتفكات).

﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: الرّجز: العذاب من السّماء وهو إنزال الحجارة من سجيل منضود، رجزاً بصيغة النّكرة للتهويل. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٧٤)، وسورة هود آية (٨٢).

﴿بِمَا كَانُوا﴾: الباء للإلصاق والملازمة، باء السّببية، ما مصدرية.

﴿يَفْسُقُونَ﴾: الفسق: هو الخروج عن طاعة الله تعالىٰ بفعل الفاحشة، وبصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد وتكرار الفسق. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لبيان معنىٰ الفاسقين.

[٣٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَد﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام لام التّوكيد، قد: للتحقيق.

﴿تَّرَكْنَا مِنْهَا﴾: تركنا منها: أي من القرية بعض الآثار الدّالة علىٰ تدمير قوم لوط الّتي تعتبر:

﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾: دليلاً وبرهاناً واضحاً على أنّ عذابه هو العذاب الأليم الشّديد، قيل: إنّ جبريل اقتلع القرية من جذورها من الأرض، ثمّ رفعها إلى عنان السّماء، ثمّ قلب عاليها سافلها، ثمّ تركها تهوي على الأرض، ثمّ أمطر الله سبحانه عليها؛ أي: على أهلها، حجارة من سجيل منضود.

ولنعلم أنّ الدراسات الحديثة بيّنت أن هناك بعض الآثار الدّالة على تلك الحجارة من سجيل الّتي اكتشفت في ديار قوم لوط كما يظن بعض علماء الآثار، وتبيّن من تركيبها أنّها حجارة لا تخصّ الأرض. كريات من حجر الكبريت الخالص مدفونة في منحدرات صخرية على خواف البحر الميت، ووجود عظام محروقة هائلة العدد قد يكون لها علاقة بقوم لوط، أو لا الله أعلم.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يعقلون: يتفكرون بالأسباب والنّتائج فيدركون الحقيقة فيتجنبوا تلك الفاحشة؛ لئلا تكون عاقبتهم مثل عاقبة قوم لوط، ارجع إلى سورة الحجر الآيات (٧٤-٧٧): لمزيد من البيان.

[٣٦] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، ارجع إلى الآية (٨٤) من سورة هود للبيان. اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، والعبادة: هي طاعة الله (المعبود) فيما أمر ونهى عنه ولا تكون إلا للخالق، ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة النحل لمزيد من البيان.

﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: أي آمنوا باليوم الآخر بالبعث والحساب واستعدّوا له وخافوه من سيئات أعمالكم وخافوا أهواله وأحداثه.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا النّاهية، تعثوا: من العثي: وهو أشد الفساد؛ أي: لا تبغوا الفساد في الأرض وتتمادوا فيه بإنقاص المكيال والميزان والبغي والكفر وارتكاب المعاصي، وإهلاك الحرث والنّسل انتهوا خيراً لكم،

وقوله: (ولا تعثوا في الأرض) تعني: لا تفسدوا قليلاً ولا كثيراً؛ أي: لا تفسدوا في الأرض بكل أشكال الفساد وبنية أو بغير نية؛ أي: قصد، وقوله: (مفسدين): حال مؤكدة، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للمزيد من البيان.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، كذّبه قومه ولم يصدّقوا ويطيعوا ما أمرهم به أو نهاهم عنه، وأصرّوا على ذلك ولم يتوبوا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الأخذ يعني: الانتقام بشدة وبقوة، والأخذ يعني: الهلاك؛ أي: أهلكتهم الرّجفة الزّلزلة الشّديدة العظيمة، والفاء: تعليلية أو سببية.

انتبه إلى الفرق بين الرّجفة والزّلزلة: الرّجفة: هي الزّلزلة الشّديدة الّتي يصاحبها انفجار شديد في باطن الأرض، فالزّلازل ثلاثة أنواع أو أشكال حسب تحرك الصّفائح القاريّة تحت البحار.

الزّلازل السّطحية أقل من (٦٠) كم والمتوسطة يتراوح عمقها (٦٠-٣٠٠) كم والعميقة الّتي يصل عمقها إلى (٧٠٠) كم.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: الفاء للمباشرة، أصبحوا: صاروا، في: ظرفية، دارهم: بلدهم أو ديارهم؛ أي: مساكنهم أو منازلهم، جاثمين: جمع جاثم: اسم فاعل من فعل جثم، والجاثم: هو من لزم مكانه فلم يبرحه، لم يكن هناك أيّ زمن حتّى ليتحرك خطوة إلى الأمام أو الخلف ليحاول النّجاة أو الهرب، فظل على حاله هلك وهو واقف أو قاعد أو نائم.

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾: وعاداً: الواو لمطلق الجمع وليس للترتيب؛ لأنّ عاد وثمود جاؤوا قبل مدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾: أي وأهلكنا عاداً وثمـــوداً، أو اذكر عاداً وثموداً؛ أي: قبيلة عاد: قوم هود ونبيهم هود عليه الســـلام، سكنت جنوب اليمن حضر موت (الأحقاف)، وقبيلة ثمود: قوم صالح ونبيهم صالح عليه الســـلام، ســـكنت في الحجر في بلاد الأردن شمال الحجاز.

﴿وَقَد﴾: قد: للتحقيق والتّوكيد.

﴿تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾: تبيّن لكم من مســـاكنهم الخالية أو الخاوية علىٰ عروشـــها، إهلاكهم؛ أي: ظهر لكم يا أهل مكة وغيرهم من آثارهم كيف فعلنا بهم وانتقمنا منهم.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مـــن الكفـــر والشّـــرك والمعاصي، زين: من التّزيين: ارجع إلىٰ الآية (٤) من ســـورة النّمل للبيان. زين لهم الشّيطان أعمالهم بالوسوســـة والتّزيين؛ لكي يرىٰ الباطل حقـــاً والحق باطلاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، وزيّن لهم الفاحشـــة والمعاصي باللذة الزّائلة، والشّـــرك والفساد في الأرض، وجحد نِعم الله عليهم والظّلم والطّغيان.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الإيمان بالله تعالىٰ وطاعته وتوحيده ودينه.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: جمع مستبصر من فعل: استبصر، كانوا ذوي عقول وبصائر ومعرفة ببناء المدن والمصانع والقصور، ولكن لم يستفيدوا من عقولهم وبصائرهم فعموا وصمّوا، أو لم يعلموا عاقبة أمرهم من العذاب الّذي ينتظرهم.

❖ ❖ ❖

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

سورة العنكبوت [الآيات ٣٩ - ٤٥]

[٣٩] ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾:

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾: أي وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، وقارون: أهلكناه بالخسف، خسفنا به وبداره الأرض؛ لبغيه في الأرض وكفره، وقدّم قارون على فرعون وهامان؛ لأنّه كان عالماً بالتّوراة وابن عم موسى وكان من المستبصرين أيضاً، ولكن كلّ ذلك لم ينفعه، وفرعون وهامان: أغرقناهما. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون (الأب رمسيس الثاني) أم الابن فرعون (الخروج)؟ ويبدو في هذه الآية أنه فرعون الخروج؛ أي: الابن، وارجع إلى سورة القصص آية (٦) للتعرف على هامان.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالآيات التّسع والحجج الدّالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، الباء للإلصاق والملازمة.

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، استكبروا؛ أي: أظهروا تكبّرهم وعظم شأنهم فلم يؤمنوا بموسى وآياته بل طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وقال فرعون: يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري.

﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: ما النّافية، كانوا سابقين: جمع: سابق، من: سبق وتسابقا وسابقوا، والسّابق يقتضي مسبوقاً، فالله سبحانه سابق كلّ حي أو كائن؛ أي: لا يفوته شيءٌ ولا أحدٌ من العالمين بالهرب أو الإفلات من الحساب، أو البعث والجزاء والعذاب أو العقاب، فقارون وفرعون وهامان وغيرهم لم يكونوا فائتين من العذاب أو معجزين أو ناجين.

[٤٠] ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿فَكُلًّا﴾: الفاء للتوكيد، كلّاً؛ أي: كلّ واحد ممن ذكروا من المكذبين، والتّنوين عوضٌ عن القول: وكلّ واحد ممن ذكروا.

﴿أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ﴾: أهلكناه وعاقبناه بذنبه، الباء للإلصاق باء السّببية أو البدلية بسبب ذنبه، والأخذ فيها معنى القوة والشّدة؛ وتعني: العقاب بشدة وبقوة، وتقديم المفعول على الفعل للاهتمام وبدلاً من القول: وأخذنا كلاً بذنبه قال: فكلاً أخذنا بذنبه.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: أمثال قوم لوط قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر:٣٤]، وكذلك الرّيح العقيم العاصف حينما تهبُّ تحمل الحصى والحجارة وتقلع النّاس.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: ومنهم من أهلكته وقضت عليه، الصّيحة:

صوت الانفجار الّذي يصاحَبَ الرّجفة كما حدث لثمود ومدين. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٨): لبيان معنىٰ الصّيحة.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: كقارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: كفرعون وقوم نوح.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾: ما النّافية. كان: تشمل كل الأزمنة.

﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾: اللام لام التّعليل؛ أي: ليعذّبهم بدون ذنب أو سبب.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: يظلمون أنفسهم بالشّرك والكفر وارتكاب المعاصي والكبائر، والفساد والبغي في الأرض بغير حق، يظلمون: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد والتّكرار.

[٤١] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾: المثل: الصفة كقوله تعالىٰ: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ [الرعد:٣٥]؛ أي: صفة الجنة، وتضرب الأمثال لإزالة الغموض، فمثل الكفار أو المشركين الّذين اتخذوا أولياء مع الله؛ أي: (شركاء آلهة أو أصناماً).

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: (الأنثىٰ دون الذّكر) هي المسؤولة عن بناء بيت العنكبوت المنسوج من خيوط الحرير الّتي تصنعها بنفسها من مادة الحرير،

فقد اكتشفت العلماء أنّ للعنكبوت غدتين: غدة تفرز الحرير لتصنع منها خيوط الحرير، وغدة أخرىٰ تفرز مادة سامة جداً تقتل بها الحشرات أو ما تصطاده.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: فقد كانوا يظنون قديماً أنّ بيت العنكبوت هو أوهن البيوت؛ أي: أضعف البيوت؛ لأنّ الرّيح إذا هبّت عليه يتطاير ويتهدّم ولا يقي من أذىٰ الحر أو البرد، وأنّ حشرة العنكبوت ضعيفة، وتبيّن حديثاً أنّ كلّ هذه المعلومات غير صحيحة وبالعكس إنّ حشرة العنكبوت لها أكثر من (٣٠ ألف) نوع من العناكب (تقرير من العلوم الحية)، وأنّ الأنثىٰ تفرز مادة سامة تؤثر في فريستها فتصيب الجهاز العصبي مما يؤدي إلىٰ شلل الفريسة بعد أن تُصعق ثمّ تموت، ثمّ تقوم حشرة العنكبوت بإحضار الفريسة إلىٰ العش وبالتّالي تتغذىٰ بها، وتبين أنّ خيوط الحرير الّتي تنسجها لصناعة العش من أقوىٰ الخيوط، فهي تعادل (٥) أضعاف الفولاذ؛ أي: الحديد، وتبين أنّ الله سبحانه وصف بيت العنكبوت بأوهن البيوت؛ لأنّ الأمّ أنثىٰ العنكبوت بعد أن تبني بيتها وتلد ويكون لها أولاد وزوج؛ أي: عائلة، إذا ضاقت عليها السّبل ولم تجد ما تأكله تفترس أولادها وزوجها بعد أن تصعقهم بسمها القاتل وتقضي عليهم، فأيّ بيت أوهن وأقبح من هذا البيت الّذي ليس فيه سكن وأمن وطمأنينة؟!

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: لو كان هؤلاء الّذين يتخذون من دون الله أولياء يعلمون أنّ حالهم في عدم الانتفاع من أوليائهم كحال أنثىٰ العنكبوت، الّتي سرعان ما تقضي علىٰ أولادها ورب بيتها لتتغذىٰ بهم حين تضيق بها سبل العيش وتكون سبب هلاكهم وخسرانهم وضياعهم.

[٤٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾:

ليعلم، أو إن قل للكفرة والمشركين والّذين اتخذوا أولياء من دون الله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾: إن: للتوكيد. الله سبحانه واجب الوجود الإله الحق المعبود.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ﴾: يعلم ما يعبدون من دونه وما يشركون به، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أو استفهامية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾: من ابتدائية من غيره، من شيء: من استغراقية تستغرق وتشمل كلّ شيء مهما كان نوعه (شيء نكرة) وشيء هو أقل القليل. شيء؛ أي: صنم أو وثن.

﴿ وَهُوَ ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، وله العزة جميعاً عزة القوة وعزة الغلبة وعزة القهر.

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾: أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين في كلّ ما قضى وأمر ووصى ونهى، وأحيا وأمات، وأهلك وعفا وغفر، في خلقه وكونه وشرعه أحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٤٣] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾:

﴿ وَتِلْكَ ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿ ٱلْأَمْثَالُ ﴾: جمع: مثل، والمثل تعريفه: ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة النّحل.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: اختار سبحانه كلمة (نضربها) بدلاً من نتلوها أو نقصّها؛ لأنّ الضّرب فيه تهييج للنفوس والتّأثير فيها، وكأن ضارب المثل يقرع به آذان السّامع وينفذ بعد ذلك أثره إلى القلب أملاً في تنبيه وهداية السّامع إلى الصّراط المستقيم، وتبيان الحق، وإزالة الغموض.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: العالمون: جمع عالم، والعالمون أعلى درجة وأشرف، وهم قمة العلم، وأمّا العلماء وهي: جمع عالم أيضاً، ولكنهم علماء بجزئية معينة أو واحدة، أو يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا.

ما النّافية، يعقلها: أي ما يفهم ويدرك حقيقتها ومعناها وما تنطوي عليه من أسرار الخلق وعظمة الخالق وقدرته إلا العالمون، إلا: أداة حصر، العالمون: العالمون بالله سبحانه أو العالمون بدين الله وكتابه وشريعته وأحكامه، والعالمون جمع مذكر سالم، والعلماء جمع تكسير، ومعلوم لدينا أن جمع المذكر السّالم هو أفضل وأشرف وأعلى من جمع التكسير.

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير أو يتبدل؛ أي: بالدقة الفائقة والقوانين الثّابتة الّتي تحكم السّموات والأرض وما فيها من أجرام ومجرّات ونجوم وكواكب ثابتة لا تصطدم ببعضها رغم اختلاف حجمها وأبعادها منذ (١٣،٥ مليار سنة) وهذا عمر الكون كما قدره علماء الفلك، وعمر الأرض قدره علماء الفلك بـ(٤،٥ مليار

سنة). ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وفصلت آية (١٠-١١).

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: أي في خلق السّموات والأرض بالحق لآية للمؤمنين.

﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل، للمؤمنين: اللام لام الاختصاص؛ أي: كونه خلق السّموات والأرض فهذه علامة ودلالة واضحة وبينة على أنّه هو الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد ويُطاع، وما دونه هو الباطل.

[٤٥] ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾:

﴿اتْلُ﴾: اتلُ من: التّلاوة وهي القراءة من كتاب الله الكلمة بعد الأخرى، والفرق بين التّلاوة والقراءة: التّلاوة تكون من الكتب المنزلة، وهي أخص من القراءة فكلّ تلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة، والتّلاوة لها أجر كلّ حرف بعشر حسنات، والقراءة العادية ليس لها أجر، والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته ﷺ.

﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أوحي إليك: أوحي إليك عن طريق جبريل عليه السلام، والوحي في اللغة: الإعلام بالخفاء، وفي الشّرع: ما يُلقي الله سبحانه من آيات وتعاليم ووعد ووعيد، ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣): لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: من ابتدائية استغراقية، الكتاب: القرآن وسمي الكتاب؛

لأنّه مكتوب في السّطور. و(ما) أعم وأشمل من (الّذي) فالوحي قد يشمل القرآن وغيره مثل الأحاديث القدسية وغيرها. وأل التعريف تدل على الكمال.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي أتمم وأكمل الصّلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، وسننها وخشوعها ولأوقاتها.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: إنّ للتوكيد، الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: هذا مقصد من مقاصد إقامة الصّلاة وهدف وثمرة من ثمراتها؛ أي: أنّ صلاة العبد تذكّره وتنهاه عن فعل الفحشاء. والفحشاء: هي كلّ ما اشتد قبحه من الأفعال والأقوال، أو كلّ معصية لها حد في الدّنيا، والبدعة والزّنى والمعاصي، والمنكر: كلّ ما أنكره الشّرع وأنكره الطّبع السّليم مثل الشّرك، والبدعة، ويستحق فاعله النّار فإذا لم تنهه عن ذلك فصلاته فيدل ذلك على أنها لم تؤثر في سلوكه، فيجب التوبة إلى الله ومراقبة الله والخوف منه.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: الذّكر أي الصّلاة أو الذّكر العادي من تسبيح وحمد وتهليل وثناء، وذكر الله له عدة معانٍ:

أوّلها: ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد لربه كقوله: اذكروني أذكركم، فذكر الله لعبده في الملأ الأعلى (الملائكة) وذكر الله لعبده بالثّواب والرّحمة والأجر أكبر وأعظم من ذكر العبد لربه.

ثانياً: ذكر الله تعالى في الأوقات خارج الصّلاة أكبر من ذكر الله في الصّلاة؛ لأنّك في الصّلاة مستعد ومهيّأ، ولكن حين تذكر الله تعالى في أوقات الشّغل والحركة وأوقات التّعب أكبر، أو أكثر ثواباً ودرجة عند الله تعالى.

ثالثاً: ولذكر الله تعالىٰ أكبر من كلّ شـــيء آخر من سائر الأعمال الأخرىٰ؛ أي: هو أفضل الطّاعات.

رابعاً: ولذكر الله تعالىٰ أكبر عند الهمِّ بفعل الفاحشة أو المنكر ثمّ الامتناع عن القيام بهـــا؛ لأنّه ذكـــر ربـــه و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣]، وقد تعني كلّ هذه المعاني معاً.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾: ولـــم يقل يعلم ما تعملـــون أو تفعلون؛ لأن فعل الفحشـــاء والمنكر وارتكاب المحرمات يحتاج إلىٰ خبـــرة وجرأة وحيلة، فهي أفعال نادرة ليست عادية، وشبهها بالصنعة الّتي تحتاج إلىٰ من يتقنها.

❖ ❖ ❖

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

سورة العنكبوت [الآيات ٤٦ - ٥٢]

[٤٦] ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الواو استئنافية، لا النّاهية، تجادلوا أهل الكتاب: الجدال هو الحوار الّذي يحدث بين طرفين أو أطراف، ويكون لدفع شبهة أو إثبات حق أو إظهار حُجة، ويجب أن يكون له هدف أو غاية وهي إظهار الحق وإبطال الباطل، وإخراج الإنسان من الكفر إلى الإيمان وليس مجرد جدال لا فائدة منه، أهل الكتاب: أهل التّوراة والإنجيل؛ أي: اليهود والنّصارى.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: إلا تفيد الحصر، فقط جادلوهم بالّتي هي أحسن: أفضل، وهي الحكمة والموعظة الحسنة والرّفق واللين، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: إلا أداة حصر، ظلموا منهم: بالشّرك أو أظهروا لكم العداء والمحاربة، عندها جادلوهم بالمثل.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: آمنّا؛ أي: صدّقنا وآمنّا بالله وملائكته وكتبه ورسله إيمان عقيدة، والّذي أنزل إلينا؛ أي: بالقرآن.

﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: أي التّوراة والإنجيل، ولا يدخل في ذلك ما حرّفوه أو بدّلوه.

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾: الإله: مشتقة من أَلَّه؛ أي: عَبَدَ، فيكون الإله هو المعبود، واحد؛ أي: لا شريك له ولا ولد ولا ندَّ ولا مثيل. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون موحدون منقادون مطيعون، ومسلمون: جملة اسمية تفيد الثّبوت والاستقامة علىٰ ذلك.

[٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ما أنزلنا الكتب السّماوية السّابقة الزّبور والتّوراة والإنجيل أنزلنا إليك الكتاب؛ أي: القرآن.

﴿أَنزَلْنَآ﴾: من أنزل؛ وتعني: جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا، كما أنزلنا الكتب الأخرىٰ التّوراة والإنجيل دفعة واحدة علىٰ موسىٰ وعيسىٰ، ولو قال نزّلنا، لكان يعني منجّماً علىٰ دفعات. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل.

﴿إِلَيْكَ﴾: وليس عليك، ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة البقرة للبيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي القرآن، ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الذين: للجمع أمثال عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب الّذين آمنوا بالرّسول ﷺ. ولم يقل: فالذين أوتوا الكتاب؛ لأن الذين

آتيناهم الكتاب في القرآن تأتي في سياق التكريم والمدح مقارنة بالذين أوتوا الكتاب تأتي في سياق أو مقام الذم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالقرآن الكريم، يؤمنون تفيد التّكرار والتّجدد والاستمرار؛ يؤمنون بأنه منزل من الله عز وجل، ولا ريب فيه، وآخر الكتب المنزلة؛ يؤمنون بما جاء به من الحق، وتوحيد الله وربوبيته وأسمائه وصفاته، وبالتعاليم والآيات والأحكام إيماناً تاماً، ومصدقاً ومهيمناً على غيره من الكتب السماوية.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: من: ابتدائية بعضية، وتأتي في سياق المفرد والمثنى والجمع؛ هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة وتشير إلى أهل مكة، من: اسم موصول بمعنى الّذي، يؤمن به: بالقرآن الكريم أو الكتاب، يؤمن به الآن أو في المستقبل.

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾: ما النّافية، يجحد من الجحود: وهو إنكار الشّيء الظّاهر بقصد وتعمد، أمّا الإنكار: فهو يشمل إنكار الشّيء الخفيّ مثل إنكار النِّعم سواء رافقه علم أو بغير علم، ارجع إلى سورة الأعراف آية (٥١) لمزيد من البيان.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: الباء للإلصاق، آياتنا: جمع آية: اسم علم مؤنث، والآية لغةً: هي العلامة والعبرة والمعجزة والدليل والأمر العجيب والجماعة والبرهان، ومنها الآيات القرآنية أو الكونية أو الدّالة على نبوة محمّد ﷺ أو الرسل والأنبياء، وإضافة الآيات إليه سبحانه للتشريف، وتأتي بصيغة الآيات، آياته، آياتي، آياتنا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: جمع كافر: وهو الّذي يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليـــوم الآخر، والكفر يعني جحود الوحدانية أو النّبوة أو الشّـــريعة، والكافرون تشـــير إلى أن صفة الكفر ثابتة وملازمة لهم، والكافرون تدل على الحدث؛ أي: الفعـــل وهو الكفر، ولم يقل الكفار التي تدل على صنف من الناس، وفيها مبالغة تشمل الكافرين والمشركين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟﴾: ما النّافية، كنت تتلو: من التّلاوة وهي القراءة من القرآن، ولا تكون إلا من القرآن، واختار (تتلو)؛ لأنّك لا تقرأ إلا ما ســـمعت من جبريل، وتتلو: أي تقرأ بعد ما ســـمعت؛ أي: تسمع أولاً ثمّ تحفظ ثانياً ثمّ تقرأ ما حفظت ثالثاً.

والتّلاوة: تعني تتلو آية بعد آية.

﴿مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾: مـــن قبلـــه: أي من قبـــل نزول القـــرآن عليك، من استغراقية، كتاب: نكرة؛ تعني: أيَّ كتاب.

﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: يعني الكتابة؛ أي: كفار قريش أو أهل مكّة يعلمون سيرتك من قبل نزول القرآن عليك، أنّك ما تلوت قبله أيَّ كتاب وما كتبت بيمينك أيَّ كتاب؛ أي: ما علموا من (٤٠) ســـنة قبل البعثة لـــك أيَّ قراءة أو كتابة، ومن الجدير بالذّكر أنّه قد ذكر في التّوراة والإنجيل أنّ محمّداً ﷺ لا يخطُّ ولا يقرأ.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب.

﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الـــلام للتوكيـــد، ارتاب من: الريبة وهي الشّـــك

والاتهـام، المبطلون: جمع مبطل وهـم الّذين يأتون بالباطـل، والباطل هو ما لا وجود له، المبطلون الذين يقولون: هو سـحر أو شـعر أو كذب أو افتراه، أو يعلّمه بشر أو كان يعلم القراءة والكتابة، والمبطلون: مشركو مكة أو كفار اليهود وغيرهم، فبما أنك كنت لا تتلو قبـل القرآن من كتاب ولا تكتب، فلم يعد هناك سببٌ للريبة؛ أي: الشّك واتهامك بالباطل.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: القرآن أو الكتاب.

﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾: آيات قرآنية واضحة بيّنة دالّة على الحق في صدور الّذين أوتوا العلم. ارجع إلى الآية (٤٧) السابقة لبيان معنى آيات.

﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: فـي ظرفيـة، صدور؛ أي: قلـوب الّذين أوتوا العلم: مـن المتقين الحفظة لكتاب الله تعالى، وأوتـوا العلم: علم الدّين أو العالمون والحفّاظ من الصّحابة الّذين كانوا في زمن الرّسـول ﷺ وغيرهم، وكونه في صدور الّذين أوتـوا العلم فهو محفوظٌ بخلاف الكتب الأخرى، وبما أنّه استقرّ في قلوبهم فقد تحوّل إلى عقيدة وإيمان.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا﴾: ارجع إلـى الآية (٤٧) السّـابقة؛ أي: ما يجحد بآيات القرآن.

﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: المشـركون أو كفـار اليهود، أو من يعرفـون الحق ثمّ

ينكرونه. والظالم: جمع ظالم، وهو من يخرج من منهج الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمزيد في معنى الظالمون.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: كفار مكة وكفار أهل الكتاب وغيرهم.

﴿لَوْلَآ﴾: حرف تخصيصٍ وحثٍّ.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أي معجزات أخرى تدل على نبوته مثل ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان:٧-٨]، ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾، ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الإسراء:٩٢-٩٣] وغيرها من الآيات.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: إنما كافة مكفوفة للتوكيد، الآيات: المعجزات الّتي تطلبونها ليست عندي وإنما عند الله تعالى، هو القادر على أن ينزلها عليكم إن شاء.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: إنما للتوكيد والحصر، أنا نذير (الإنذار: الإعلام والتّحذير)، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الرعد:٤٠]، إذن: التبليغ والإنذار فهذه مهمتي، وليس مهمتي إنزال أيِّ آية عليكم، نذير مبين: نذير للكفار وغيرهم ولمن عصى ربه وخالف أمره، مبين: نذير لكلّ فرد بدون استثناء، إنذار واضح لا يحتاج إلى دليل أو حجة أو من يظهره وإنذار تام.

ولم يقل بشـــير ونذير واكتفىٰ بالإنذار؛ لأنّه يتكلم عن الكافرين والظّالمين والمبطلين وهم أهل باطل وجحود فيناسبهم الإنذار فقط، ولو استجاب لهم رب العالميـــن وأنزل عليهم تلك الآيات ولم يؤمنـــوا، لأهلكهم الله كما فعل بالأمم السّابقة. ارجع إلىٰ سورة الفرقان الآية (٥٦) لمزيد في معنىٰ الإنذار.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري والتعجب، الواو تفيد شدة الإنكار.

﴿يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أولم يكفهم دليلاً علىٰ صدقـــك ونبوتك أنّا أنزلنا، أنّا: للتعظيم، أنزلنا عليك الكتاب؛ أي: القرآن. ارجع إلىٰ الآيات (٢-٤) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل، وعليك وإليك الكتاب، يتلىٰ عليهم: ارجع إلىٰ الآية (٤٨) من السّورة نفسها.

أي: يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلىٰ عليهم بدلاً مما يطلبونه من الآيات الأخرىٰ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ للتوكيد، في ظرفية، ذلك اسم إشارة للبعد يشير إلىٰ إنزال الكتاب عليك.

﴿لَرَحْمَةً﴾: اللام تفيد التّوكيد، رحمة: هي كلّ ما يجلب ما يسرّ ويدفع ما يضرّ؛ أي: وقاية لكم.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي إنزال الكتاب يكفي آية لقوم يؤمنون ولا يحتاجون معه إلىٰ آية أخرىٰ، وهو أكبر آية أو معجزة نزلت للبشرية وإلىٰ يوم القيامة، وهو كذلك رحمة وذكرىٰ وهدىٰ لأيّ مؤمن بالله، وهو المعجزة الخالدة علىٰ مر العصور، ولكل الأجيال، وأما الآيات التي يطلبونها آيات مؤقتة غير دائمة.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لكفار مكة وكفار أهل الكتاب.

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: هذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي أخر فيها شهيداً علىٰ بيني وبينكم. انظر في ملحق الآية للإجابة علىٰ هذا السؤال؛ أي يكفي أن يشهد الله عز وجل أنّي رسوله وأنّ هذا كتابه، شهيداً: ولم يقل شاهداً، الشّهيد فيه مبالغة في الشّهادة؛ أي: يعلم تفاصيل ما حدث بيني وبينكم، بالله: الباء للإلصاق والتّوكيد؛ أي: شهيداً علىٰ أنّي رسول الله إليكم، وأنّي قد بلّغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم، الإنذار المبين، والبلاغ المبين.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي كفىٰ به شهيداً؛ لأنّه سبحانه يعلم ما في السّموات والأرض، ولا أحتاج إلىٰ شهيد غيره.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: والّذين آمنوا منكم بالباطل. الباطل لغةً: هو الذاهب الزائل، أو الفاسد، وليس له وجود في الأصل، ويطلق علىٰ الظلم، والشرك والكذب والإحباط والشيطان، وعبادة الأوثان والأصنام وأشركوا، وكفروا بالله: الباء تدل علىٰ كفر العقيدة، جحدوا بوجوده أو وحدانيته مع كلّ هذه الأدلة والبينات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: لأنفسهم يوم القيامة، وسماهم الخاسرون؛ لأنّهم اشتروا الكفر بالإيمان؛ أي: آمنوا بالباطل وكفروا بالله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فهم الخاسرون، ولم يقل هم الأخسرون؛ لأنّ كفرهم وعدم إيمانهم مقتصر عليهم أنفسهم ولم يضلوا غيرهم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١٩)، وهود آية (٢٢)، والحج آية (١١) لمزيد من البيان في التفريق بين الخاسرون والأخسرون والخسارة.

انتبه هذه الآية الوحيدة الّتي آخر كلمة (شهيداً) فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ وفي كلّ الآيات المشابهة قدم شهيداً فقال تعالىٰ: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد:٤٣] وهذا هو الأصل.

فلماذا خرج عن الأصل في آية العنكبوت؟ الجواب: خرج عن الأصل لكي يُتبع الصّفة موصوفها، الصّفة: يعلم، والموصوف شهيداً: فقال تعالىٰ: شهيداً يعلم، ولو قال تعالىٰ شهيداً بيني وبينكم يعلم، لحدث تأخير بين الصّفة والموصوف مما يدل علىٰ ضعف الكلام أو الجملة، وقد يحدث ذلك ويجوز أن يفصل ولو بفاصل طويل إذا كان هناك مبرر أو سبب.

❖ ❖ ❖

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

سورة العنكبوت [الآيات ٥٣ - ٦٣]

[٥٣] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

سبب النّزول كما قال مقاتل قيل: نزلت في النّضر بن الحارث، وقيل: نزلت في أبي جهل كما روىٰ البخاري عن أنس حين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص:١٦].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: السّين والتّاء تعني الطّلب؛ أي: يطلبون منك تعجيل العذاب لهم، وهم كفار قريش أمثال النّضر بن الحارث وأبي جهل، يطلبون ذلك إما لعدم تصديقهم بوقوعه أو استهزاءً وتعنتاً وأنهم لا يخافونه، ولو أيقنوا بوقوعه لخافوا منه وما استعجلوه.

(والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب).

﴿بِالْعَذَابِ﴾: الباء للإلصاق، العذاب عذاب يوم القيامة، أو العذاب في الدّنيا مثل يوم بدر.

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿أَجَلٌ مُسَمًّى﴾: بيّنه الله سبحانه في اللوح المحفوظ متىٰ سيقع وأخّره سبحانه؛ لأنّه غفور حليم ولعلهم يتوبون.

والأجل: زمن، أو هو الوقت المضروب لانقضاء الشّيء أو وقوعه فلكل

عذاب أجل ولكل قوم أجل، وأجل الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره، والأجل قد يكون يوم القيامة أو الموت أو البعث حسب السياق.

﴿لَجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: لجاءهم العذاب عاجلاً؛ أي: في الدّنيا والهلاك والتدمير والأوبئة والكوارث الكونية من فيضانات وحرائق ومجاعة وبرد وحر ومرض وهزيمة وخزي وغيره من أنواع العذاب والذي يسمىٰ العذاب الأدنىٰ، أو العاجل، أو عذاب الخزي، واللام في كلمة (لجاءهم) للتوكيد، والمجيء فيه معنىٰ القسوة والمشقة؛ أي: لن يكون سهلاً عليهم.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾: الواو واو القسم، واللام للتوكيد وكذلك النّون لزيادة التّوكيد، وليأتينهم بغتة: فجأة في الدّنيا أو في الآخرة بغتة، وليس حسب ما يرغبون.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: هم: للتوكيد، لا: النّافية، هم يشعرون: بوقت إتيانه أو وقوعه؛ ولكن شعورهم لا ينفعهم ولا يُغني عنهم شيئاً.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: في الدّنيا، وتكرار يستعجلونك توكيد لإصرارهم وتكرار استعجالهم وطلبهم للإتيان به، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل علىٰ أن طلبهم لم يتوقف واستمر ،والباء للإلصاق والمداومة علىٰ طلب إنزال العذاب بهم تعنتاً واستهزاءً.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إن للتوكيد، لمحيطة: اللام تفيد زيادة التّوكيد، جهنم: مشتقة من كونها بعيدة القعر كريهة المنظر. ارجع إلىٰ الرّعد آية (١٨): اسم من أسماء النّار، محيطة بالكافرين: جملة تعليلية؛ أي: كأن جهنم تحيط بهم الآن من كلّ جانب من الأمام والخلف واليمين والشّمال؛ أي:

الإحاطة تشـــمل الأربع جهات، وجاءت الآية التالية (٥٥) للتأكيد على الجهات الأربع، وكذلك لتخبرنا أنها ســـوف تأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم أيضاً، وهم لا يشعرون بها لغفلتهم، وقوله لمحيطة بهم: تعني قرب يوم القيامة، ووقوع العذاب بهم.

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ يَوْمَ ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم؛ أي: يوم القيامة.

﴿يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أي يحيط بهم من كلّ الجوانب والجهات.

﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾: فوق أو تحت: ظرف مكاني، وتكرار (من) تفيد القرب؛ أي: هم تحت العذاب مباشـــرة، ومن تفيـــد التّوكيد وفصل فوقهم عن تحت أرجلهم، فالعذاب يأتيهم من فوق رؤوســـهم ومن تحت أرجلهم من كلّ ناحية ومن كلا النّاحيتيـــن كقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦]. وتكرار (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) بعد ذكر (جهنم لمحيطة بالكافرين) ذكر الخاص بعد العام؛ لبيان أهميته وتوكيده.

﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ما: اســـم موصول بمعنى الّذي، وهي أوسع شـــمولاً من الّذي، أو مصدريـــة، كنتم: في الدّنيا، تعملـــون: العمل يضم القول والفعـــل؛ أي: تقولون وتفعلـــون، ولم يقل ذوقوا عذاب النّـــار، وإنما: ذوقوا ما عملتم، كأنَّ العمل نفســـه ســـيتحول إلى نار تحرقهم وفي هذا تهديد ووعيد لهم شديد؛ أي: ذوقوا كفركم وشرككم وذنوبكم.

[٥٦] ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾: نـــداء من الأعلى وهو الـــرّب الكريم إلى العباد،

بعكس الدّعاء: نداء من الأسفل إلى الأعلى؛ أي: من العبد إلى الرّب، استعمل يا النّداء للعبد، عبادي: تشريف للعباد بقوله: (عبادي) وعبادي جمع عابد؛ تعني: الّذين أقبلوا على الله باختيارهم فاختاروا أن يكونوا عباداً لله، وهناك فرق بين عبادي وعبيد وعباد. (انظر في ملحق الآية).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: أي آمنوا بالله واليوم الآخر وبما أنزل الله على رسوله، ولازالوا سائرين على درب الإيمان.

﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾: أي إن ضاقت عليكم أرضكم فهاجروا منها واعبدوني في أرض أخرى، إن أرضي: إن للتوكيد، أرضي: أي كلّ الأرض هي أرضي، وتسميتها أرضي تشريفاً لها وهي ملكه وحده، واسعة: أي فهاجروا فيها إذا مُنعتم من ممارسة شعائر دينكم في بلد أو أرض إلى بلد آخر أو أرض أخرى، هاجروا في سبيل الله وفرُّوا بدينكم.

فإياي فاعبدون: فإياي أسلوب حصر وقصر وتوكيد، والفاء للتوكيد والمباشرة، فاعبدون: من العبادة. ارجع إلى الآية سورة النّحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة. ولم يقل فإياي فاعبدوا، فاعبدون: الفاء للتوكيد والمباشرة والنّون لزيادة التّوكيد، فاعبدون: بإخلاص وتوحيد (مخلصون موحدون)، اعبدون: جملة اسمية تفيد الثّبات والاستمرار. وارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) لمقارنة فاعبدون وأن اعبدوني (بزيادة ياء المتكلم).

لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة العنكبوت مع الآية (١٠) من سورة الزّمر وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَ�ٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾.

عبادي تعني: العدد أكبر من عباد، عباد: أقل عدداً، ولكنّهم أعلى درجة

وإيمانـاً وتقوىٰ من عبـادي، وعبادي أفضـل بكثير من العبيـد (منهم الصّالح والطالح)، أرضي واسعة: أوسـع من قوله: أرض الله واسعة، فاستعمل عبادي تعني (العدد الكبير) مع أرضي واسعة (الأوسع) واستعمل مع عباد (الأقل عدداً) أرض الله واسـعة (الّتي هي أقل وسـعاً من أرضي). ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٨٦) للزيادة في معنىٰ عبيد، عبادي، عباد.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: كلّ للتوكيد، نفس: عليها أن تهاجر في سبيل الله حتّىٰ تتمكن أن تعبد الله سـبحانه وتمارس شعائر دينها، ولا تترك الهجرة خوفاً علـىٰ ضياع أموالها وديارها ولا تضيع دينها فيما لـو بقيت في وطنها، أو تهاجر ابتغـاء المال وعرض الدّنيـا وتضيع دينها وأولادها وعقيدتهـا في دار الهجرة، والمهم سـواء هاجرت أو بقيت ليكن إقامة الدّين للـه وحده هو هدفها الأهم، فـلا يمنعها الخوف من الموت من الهجـرة أو تركها؛ لأنّ الموت قادم لا محالة وستذوقه كلّ نفس سواء هاجرت أو لم تهاجر.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إلينا وحدنا.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء ترجعون قسراً دون إرادتكم.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾:

المناسـبة: بعـد أن بيّن الله سـبحانه مـأوىٰ الكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يُبين مأوىٰ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: ارجع إلى الآية (٧) من السّورة نفسها للبيان.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾: اللام: للتوكيد، نبوئنهم: من باء الشيء: رجع، عاد به، وباء بذنبه: أقر واعترف بذنبه، وبوأنا: أنزلنا وأسكنا، وأصل الباءة والمباءة: المنزل، وبوأنا لإبراهيم مكان البيت: هيأنا له وأنزلناه، وبوأت له مكاناً: سويته فتبوأ؛ أي لنسكننّهم، من: ابتدائية، الجنة غرفاً: منازل رفيعة عالية.

ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧) وآية (٩٣) لمزيد من البيان عن بوّأنا.

وارجع إلى سورة الفرقان آية (٧٥): لمزيد من البيان عن غرفاً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم إياها وإلى ما لا نهاية.

﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: نِعم من أفعال المدح العام (أما المدح الخاص مثل حبذا) يطلق على كلّ من تمدحه: تقول: نِعم الأجر، نِعم الطالب، والأجر يكون على العمل على القيام بالتّكاليف المطلوبة منهم.

وفي آية (١٣٦) من سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ أضاف الواو وإضافتها تدل على أنّ أجرهم أعظم من أجر المذكورين في آية العنكبوت.

وفي آية (٧٤) من سورة الزّمر قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ أضاف الفاء بدلاً من الواو والفاء تدل على أنّ أجرهم أعظم من أجر المذكورين في آية آل عمران، فهم قد أُدخلوا الجنة وهم يتبوؤون من الجنة حيث يشاؤون:

فنِعم أجر العاملين أعظم أجراً من: ونِعم أجر العاملين، ونِعم أجر العاملين أعظم أجراً من: نِعم أجر العاملين (بدون واو)، فالأجر ثلاث درجات أعلاها: فنِعم الأجر، ومتوسطها ونِعم الأجر، وأدناها نِعم الأجر.

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾:

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: لم يحدد نوع الصبر على ضيق العيش والفقر، أو صبروا على الابتلاء والقهر والذّل وعلى التّعذيب والاضطهاد سواء بالهجرة أو بغير الهجرة، وكذلك صبروا على الطّاعة وتجنّب المعصية.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: وعلى ربهم تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: يتوكلون على ربهم وحده، ارجع إلى الآية (٨٩) من سورة الأعراف لبيان معنى التّوكل.

[٦٠] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾:

﴿ وَكَأَيِّن ﴾: مركبة من: ك التّشبيه، وأي الاستفهامية، ومعناها: كم وتفيد التّكثير (مثل كم الخبرية) وتفيد الإبهام.

﴿مِّن دَآبَّةٍ ﴾: من: الاستغراقية، الدّابة: كل ما يدب على الأرض، والدابة في العرف العام: كل ما يدب على الأرض إنسان وغير إنسان، وفي العرف الخاص تعني: كل كائن يدب على الأرض غير الإنسان، والدابة: اسم فاعل، ويغلب عليها غير العاقل، وتشمل الذكر والأنثى كقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ [البقرة:١٦٤] تشمل الإنسان وغيره، ولذلك يجب أن ننتبه إلى السياق في الآيات لندرك هل تشمل الإنسان والحيوان، أم الحيوان فقط، وفي هذه الآيات مثلاً الدابة تعني: الحيوان؛ أي: كلّ ما دبّ على الأرض من حيوان.

﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾: لا تدّخر طعامها أو شرابها الله يوفر لها طعامها؛ أي: يطعمها كلّ يوم.

﴿وَإِيَّاكُمْ ﴾: عطف النّاس في الرّزق على الدّواب فقدّم ذكر الدّواب أولاً في الرّزق، مع أنّ الإنسان هو المكرم عند الله تعالى. لماذا هذا التقديم؟

لأنها لا تحمل رزقها (لا تدّخر طعامها ولا شرابها) إلى الغد أو الأيام القادمة فهي تتوكل على الله حق التّوكل أن يوفر لها طعامها وشرابها كلّ يوم، وأمّا الإنسان فهو يدّخر طعامه وشرابه؛ لأنّه يخاف ألا يرزقه الله تعالى، وتوكله على الله في الرّزق قليل، ولذلك قدّم من يتوكل عليه أكثر على من يتوكل عليه أقل، وإذا ظن أحدٌ أنّه يرزق أو يطعم أيّ دابة، فالله سبحانه يرزقها ويرزقكم بحسنتها.

وهو السّميع العليم: وهو ضمير فصل يفيد التّوكيد، المدبّر لأموركم والقيّوم على خلقه.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم حين لا ترزقون وحين ترزقون؛ أي: ما تدعونه، أو تشكرونه، أو لا تشكرونه، أو تقولون كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص:٧٨]، أو ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ [أي: شكركم] أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما في قلوبكم ومما تدّخرونه خوفاً من الجوع أو خشية الفقر، والعليم فيمن يتوكل عليه أو لا يتوكل عليه. العليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

[٦١] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَلَئِن﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ﴾: من استفهامية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: أي لا يقدر على إنكار ذلك أحدٌ حتّى الكافرون يقولون: الله تعالى، وليقولن: اللام والنّون للتوكيد، و(يقولن) تدل على التّجدد والتّكرار، ولبيان معنى خلق السّموات

والأرض وسخر الشّمس والقمر: ارجع إلىٰ الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، وسورة فصلت آية (١٠-١١)، والأعراف آية (٥٤).

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أنّىٰ تعني: كيف ومن أين؟ وتفيد الاستفهام، يؤفكون: من الإفك: وهو الكذب المفترىٰ المتعمد علىٰ الله سبحانه.

أي: كيف يصرفون عن الحق ويعترفون ويقرّون بأنّ الله سبحانه هو الّذي خلق السّموات والأرض وسخر الشّمس والقمر، وكل هذه الآيات والأدلة والبراهين علىٰ أنّه الإله الحق واجب الوجود، ثمّ ينصرفون إلىٰ الشّرك وعبادة غيره، إن ذلك لشيء عُجاب.

يؤفكون: من أفكه عن الشّيء: أي صرفه عنه، وأفكت الأرض: صرف عنها المطر، وقد تعني: قلبه عن الشّيء فانقلب.

ومنها المؤتفكات: جمع مؤتفكة بمعنىٰ: المنقلبة التي يصبح عاليها سافلها.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية كأنها تتمة للآية: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: أي يوسع ويغني من يشاء من عباده امتحاناً له هل يشكر وينفق من ماله؟

﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: ثم يضيّق عليه ويفقره امتحاناً له هل يصبر ويعبد الله تعالىٰ؟ أم ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج:١١].

فهو سبحانه الخالق الرّازق يُغني ويُفقر حسب حكمته ومصلحة عبده؛ لأنّه

سبحانه عليم بكل شيء يعلم ما فيه الخير والأفضل لعباده، وما يصلح عباده. ارجع إلىٰ سورة الشّورىٰ آية (٢٧): للبيان.

وارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٢٦): لمزيد من البيان والمقارنة، وسورة سبأ آية (٣٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: الباء للإلصاق، كلّ شيء عليم: عليم بأحوال عباده من هو غني ومن هو فقير، وعليم بما يصلح كلّ عبد من عباده لا تخفىٰ عليه خافية.

[٦٣] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦١) السّابقة.

﴿نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: نزّل ولم يقل أنزل، نزّل فيها مبالغة وتوكيد أشد من أنزل، نزّل: تعني نزل مرات كثيرة أو تعني بتكرار، أما أنزل تعني مرة واحدة أو القليل. فإذا ما قارنّا هذه الآية من سورة العنكبوت مع الآية من سورة النّحل وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ نجد أنّ آية العنكبوت جاءت في سياق الشّرك والتّكذيب، وهو مقام أشد من آية النّحل الّتي جاءت في سياق تعداد النّعم، فلذلك لا يحتاج إلىٰ توكيد ومبالغة، ولذلك استعمل نزل في آية العنكبوت، وأنزل في آية النحل.

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: الفاء تدل علىٰ المباشرة والتّعقيب، أحيا به الأرض: عادت مخضرّة بعد أن كانت مصفرّة يابسة وخامدة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾: من للقرب؛ أي: بدون فاصل زمني مباشرة فكلّ سنة يحييها من جديد، ولو قال بعد موتها بدون (من) لدلّ ذلك علىٰ إحياء الأرض

بعد فترة طويلة أو قصيرة. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٦٣،٥)، وسورة فصلت آية (٣٩)، والأنعام آية (٩٩) للبيان والمقارنة.

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: اللام والنّون في (ليقولن) للتوكيد، يقولن: بصيغة المضارع لتدلّ علىٰ تجدد وتكرار قولهم هذا بأنّ الخالق هو الله سبحانه.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لماذا الحمد هنا؟ لا تعني الحمد لله علىٰ أن أكثرهم لا يعقلون، وإنما الحمد لله علىٰ إقرارهم بأنّ الله هو الّذي خلق السّموات والأرض، وسخر الشّمس والقمر، ونزّل من السّماء ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، فهم أقاموا علىٰ أنفسهم الحجة، ونطقوا بالحق، وأيضاً الحمد لله علىٰ خلق السّموات والأرض وتسخير الشّمس والقمر وإنزال الماء من السّماء.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الأكثرية لا يعقلون والأقلية يعقلون؛ أي: لا يفهمون أو لا يستعملون عقولهم في فهم الأشياء وأسبابها ونتائجها، والموازنة بينها للوصول إلىٰ الحقيقة وهي: أنّه هو الإله الحق الّذي يستحق أن يُعبد ويُطاع ولا يشرك به شيئاً، أو لا يعقلون هذا التناقض بين اعترافهم بأنّ الله هو الخالق ثمّ يقولون بألوهية غيره.

❖ ❖ ❖

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

ربع الحزب ٤١

سورة العنكبوت [الآيات ٦٤ - ٦٩]

[٦٤] ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: الواو استئنافية، هذه: الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب، الحياة الدّنيا: أي السّفلىٰ أو القريبة أو العاجلة، وهذا يدل علىٰ أنّ هناك حياة عُليا وحياة آخرة.

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: حصراً لهواً ولعباً، لأنّها مجردة أو خالية من منهج الله تعالىٰ، وعبادته وطاعته، فالحياة المجردة من عبادة الله وطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه هي لهو ولعب.

واللهو: هو عبث، والعبث: حركة أو عمل بلا هدف ولا فائدة، واللعب: يتحول إلىٰ لهو إذا شغل الإنسان عما هو مطلوب منه أو شغله عن القيام بواجبه مثل الصّلاة مثلاً، فإن شغله أمر أو فعل فلم يؤدّها، يعتبر ذلك الفعل أو الأمر لهواً؛ أي: عبثاً.

واللعب للأطفال شيء أو أمر طبيعي ولعب الأطفال هو لهو في الوقت نفسه؛ لأنّ الطّفل غير مكلف بواجب فإذا دخل سن البلوغ ولم يؤدِّ مسؤولياته أصبح لعبه لهواً، وهذه هي الآية الوحيدة التي قدم فيها اللهو علىٰ اللعب، وقدم اللعب علىٰ اللهو في سورة الأنعام آية (٣٢)، وسورة محمد آية (٣٦)، وسورة الحديد آية (٢٠)، وسبب تقديم اللهو علىٰ اللعب في هذه الآية: أنه سبقها أو جاءت في سياق الرزق، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون:٩]. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٣٢) لمزيد من البيان وسبب تقديم اللهو علىٰ اللعب في هذه الآية.

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ﴾: إنّ للتوكيد، اللام في لهي لزيادة التّوكيد.

﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: اسم لكلّ ما فيه حياة، والحيوان على وزن: فعلان مثل فيضان، مثل غليان، ففعلان تدل على الحركة والاضطراب والتّقلب وعدم الهدوء، لهي الحيوان: أي الدار الآخرة هي دار حركة وتقلب شديد وتغير، وليس فيها نوم وسكون مقارنة بالحياة الدّنيا.

فالحياة الدّنيا بالنّسبة للدار الآخرة تعتبر سكوناً وهموداً رغم ما فيها من حركة، والدّار الآخرة تعني الجنة، ففيها الحركة الحقيقية والتّقلب والحياة الدّائمة الّتي لا انقطاع فيها ولا موت.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: لو شرطية، لو كانوا يعلمون: العلم النّافع، ما جعلوا الحياة الدّنيا لهواً ولعباً وخسروا الآخرة وهي الحيوان؛ أي: الدّار الحقيقية، ولو كانوا يعلمون: قد تعني هم علموا ولكنهم نسوا وتجاهلوا، أو أنكروا ذلك.

وإذا قارنّا هذه الآية (٦٤) من سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ مع الآية (٧٠) من سورة الأنعام: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ ومع الآية (٥١) من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾:

فآية سورة العنكبوت تبيّن لنا طبيعة الإنسان الّذي يتّخذ هذه الحياة أو يحوّلها إلى لهوٍ ولعب ولا يقوم بواجباته، وأمّا آية سورة الأنعام تتحدث عن الّذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، وهؤلاء النّاس هم الآن في الدّنيا (الآية في سياق الدّنيا).

وأمّا آية سورة الأعراف تتحدث عن الّذين هم في الآخرة (في سياق الآخرة) الّذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدّنيا عندما كانوا في الدّنيا. فكل آية لها معنى مغاير للأخرى، وحين نتدبّر القرآن نجد أن الحق سبحانه يذكر اللعب أولاً ثمّ اللهو، وهو الأمر الطّبيعي فحياة الطّفولة هي لعب ثمّ ينتقل إلى

مرحلة الشّباب والكهولة يتحول اللعب فيها إلىٰ لهو (لأن كلّ لعب يشغل عن واجب يصبح لهواً) فلعب الشباب والكهول هو لهو إذا شغلهم عن واجب وإذا لم يشغلهم يكون لعباً، فاللعب منه المفيد مثل السباحة والرياضة، ومنه اللعب المذموم: وهو كلّ لعب يشغل عن واجب، فالمرحلة الأولىٰ الطّفولة لعب، ومرحلة الكهولة لهو، وهذا هو الأمر الطّبيعي، وفي سورة الأعراف والعنكبوت قدم اللهو علىٰ اللعب، وتقديم اللهو علىٰ اللعب أبلغ في المعنىٰ وآكد، ويأتي ذلك في سياق الآيات الّتي تتحدث عن الكفار أو المشركين أو المشغولين بالحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، يقدّم اللهو علىٰ اللعب (بعكس الأمر الطبيعي) لأنّهم بما يقومون به من فساد أخلّ بالموازين فأصبح اللهو في حياتهم هو شيء عظيم؛ لأنّهم أهملوا وعطّلوا واجباتهم نحو ربهم فأصبحت حياتهم كلها لهواً وأحياناً لعباً.

[٦٥] ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾:

وكما أنّ الكفار والمشركين يعترفون ويقرّون بأنّ الله هو الخالق، ثمّ يشركون به ويعبدون غيره وينصرفون من الحق إلىٰ الباطل، وكذلك هذه حالهم عندما يركبون في الفلك يعلمون أنه لا ينقذهم ولا ينفعهم إلا الله وحده فيدعونه فينقذهم وبعد ذلك يشركون به، فذرهم يكفروا بكل هذه الآيات ويتمتعوا بدنياهم وكذلك بنعمة الأمن في الأوطان ولا يروا أنّا جعلنا لهم حرماً آمناً ويُتخطف النّاس من حولهم، فهؤلاء مأواهم جهنم، ومن جاهد في سبيل الله سوف يزيده هدىٰ ويكون مع المحسنين وفي جنات النّعيم.

﴿ فَإِذَا ﴾: الفاء للتوكيد، إذا: ظرفية زمانية وشرطية تفيد كثرة الحدوث وحتمية حصوله.

﴿رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾: السّفينة، وتطلق علىٰ المفرد وعلىٰ الجمع كما في

قولــه: ويصنع الفلك (وكان نوح يصنع ســفينة واحــدة) وجاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كلّ مكان وظنوا أنّهم أحيط بهم.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: دعوة اضطــرار دعوا الله وحده مخلصين له صادقي النّية فــي دعائهم، لا يدعون إلا إياه؛ لأنّهم يعلمون لا أحد يســتطيع أن يكشف عنهم البلاء إلا الله تعالىٰ.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾: الفــاء تــدل علىٰ المباشــرة، نجّاهــم: ولم يقل أنجاهم.

نجّاهم؛ أي: نجّاهم ببطء أو اســتغرقت نجاتهم زمنــاً؛ كي يتضرعوا ولا ينسوا ما حدث لهم، وأمّا أنجاهم تعني بسرعة.

﴿إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾: إذا ظرفية زمانية تفيد الفجأة.

أي: عادوا إلىٰ شــركهم وظلمهم ونسوا ما كان يدعون من قبل، يشركون: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد شركهم وعودته.

[٦٦] ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾: الــلام للتوكيــد والاختصــاص، وفي هذا تهديد وإنذار لهم ليفعلوا ما يشــاؤون فسوف يسألون، وجاءت الآية بصيغة الغائب في قوله: ليكفروا، وليتمتعوا فسوف يعلمون؛ لأن ليس لهم قيمة أو وزن لمخاطبتهم مباشرة، أو هم لا يستحقون المخاطبة مباشرة.

﴿بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: الباء للإلصاق، آتيناهم من نعمة النّجاة من الغرق وغيرها من النّعم.

﴿فَسَوۡفَ﴾: الفاء للتوكيد، ســوف: للتراخي في الزّمن، سوف يعلمون: يوم القيامة أو في الآخرة أو عند موتهم.

﴿يَعۡلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم وشركهم وهي جهنم وبئس المصير.

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (٥٤) من سورة النّحل: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ارجع إلىٰ سورة النّحل للبيان.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أي أولم يعلموا؟ والرّؤية هنا رؤية بصرية عينية ورؤيا فكرية قلبية، والواو في (أولم) للجمع والتّوكيد؛ أي: تجمع بين عدة آيات.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أهل مكة وغيرهم (يروا) رؤية بصرية وقلبية.

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: أي جعلنا مكة بلداً آمناً مصوناً من النّهب والتّعدّي وآمنين من القتل.

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: الخطف: الاختلاس بسرعة، أو الاستلاب والأخذ بشدة بالقتل والأسر والخطف: من حولهم من القرىٰ.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: الفاء للتوكيد، والهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب، يؤمنون: أي بالشّرك وعبادة الأصنام اللات والعزىٰ ومناة الثّالثة الأخرىٰ: يصدقون. ارجع إلىٰ الآية (٥٢) من نفس السورة لبيان معنىٰ الباطل.

﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: ولم يقل وبالله يكفرون؛ لأنّهم إذا كانوا لا يؤمنون بنعمة واحدة من نِعم الله تعالىٰ الكثيرة ويكفرون بها، فكيف يؤمنون بالله وحده؟

يكفرون جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدّد كفرهم وشركهم. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾:

﴿ وَمَنْ ﴾: استفهام تقريري.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾: تعني لا أحد أظلم، فالذي يفتري على الله كذباً هو أظلم النّاس أجمعين. وكذباً: جاءت بصيغة النّكرة؛ تعني: أيّ كذب مهما كان نوعه وصغره، ولم يقل الكذب بـ أل التّعريف الّذي يعني: كذباً معيناً.

وإيراد هذا الخبر بصيغة الاستفهام أقوى في التّقرير والإبلاغ مما لو جاء بالخبر بدون استفهام وقال: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً مثل الولد أو الشّريك والآلهة؛ لأنّ الخبر يأتي من المتكلم، والإقرار يأتي من السّامع، والعرب لا تستعمل الاستفهام إلا حينما تكون واثقة أنّ الجواب سيأتي من المستمع وفق ما يريد المتكلم.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ﴾: لما ظرفية زمانية بمعنى: حين جاءه؛ أي: كذب بالصّدق بالنّبي ﷺ حين بعثه الله أو كذب بالقرآن حين أنزله الله تعالى عليه.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾: أليس استفهام إنكاري وتقرير، أليس: ألا يستحق هؤلاء وأمثالهم ممن كذبوا بآيات الله وبرسوله أن يُلقى بهم في جهنم كمثوى لهم، في جهنم: في: ظرفية، جهنم: مشتق من كونها كريهة المنظر، بعيدة القعر. ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرّعد، مثوى: هو المكان الضّيق والمطبق والدّائم، ومكان الإقامة الجبرية. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين مثوى ومأوى، للكافرين: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الكافرين: الّذي أصبح الكفر صفتهم وسمتهم الثّابتة.

[٦٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾:

لنذكر كيف بدأت السّورة بقوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وها هي السّورة تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: من أجل إعلاء كلمتنا أو ديننا أو نصرة رسولنا ﷺ.

جاهدوا فينا: أي من أجلنا؛ أي: سبيلنا مخلصين لوجه الله.

جاهدوا بالقول أو بالفعل أو بالنّفس، أو جاهدوا العدو، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاهدوا في طاعة الله.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: جمع سبيل: سبل الهداية أو سبل الخير، اللام والنّون في (لنهدينهم) للتوكيد، لنهدينهم: أي لندلنّهم على سبلنا؛ أي: الطّرق الموصلة إلينا؛ أي: للغاية العظمى سعادة الدّارين ورضوان الله تعالى، وهي سبل مثل: سبيل الصّلاة والصّيام والإنفاق، وسبل الخير والصّلاح والطّاعة وكل هذه السّبل تؤدي إلى سبيل واحد؛ أي: دين واحد هو الإسلام وهو الصّراط المستقيم، وكلمة (سبلنا) وردت عشر مرات في القرآن.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام في (لمع) للتوكيد، ومع: تفيد المعية، ومعية الله سبحانه لا أعظم منها معية. وبدلاً من القول: وإنّ الله لمع المجاهدين، قال: مع المحسنين؛ لأنّ الّذين جاهدوا في الله سبحانه وصلوا وأصبحوا في مقام المحسنين، أو هم فئة من فئات المحسنين. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة للبيان، وارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٤١

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

سورة الروم [الآيات ١ - ٥]

سورة ترتيبها في القرآن (٣٠) وترتيبها في النّزول (٨٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾:

﴿غُلِبَتِ﴾: بضم الغين؛ أي: هُزمت الروم من قِبل الفرس (المجوس) الّذين كانوا يعبدون النّار، والروم: اسم سلالة لرجل اسمه: روم بن عيص، من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ويقال لهم: بنو الأصفر.

وهم أبناء عم بني إسرائيل، وكانوا علىٰ دين اليونان، واليونان من سلالة يافث بن نوح، بنوا مدينة دمشق، والروم هم من أهل الكتاب.

وكان المسلمون يودون غلبة الروم علىٰ الفرس.

[٣] ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾:

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أدنىٰ: أقرب لأرض العرب (أرض الجزيرة العربية)، وقيل: كان ذلك قبل الهجرة إلىٰ المدينة بخمس سنوات، وقيل: بسنة واحدة، وأدنىٰ الأرض: هي بين أذرعات وبصرىٰ الشام؛ وهي أدنىٰ أقرب أرض الشام

إلىٰ أرض العرب (مكة)، وقيل: أدنىٰ الأرض؛ تعني: الأردن وأرض فلسطين، أو بين العراق والشام.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾: وهم: تعود علىٰ الروم، من بعد غلبهم؛ أي: هزيمتهم، سيغلبون: السّين للاستقبال القريب. سيغلبون الفرس؛ أي: المجوس، فكانت هذه بشرىٰ للمسلمين الّذين كانوا أقرب إلىٰ الروم منهم إلىٰ الفرس من ناحية العقيدة والدين، فالروم من أهل الكتاب والفرس (المجوس) كانوا يعبدون النّار.

[٤] ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾: في: ظرفية زمانية، بضع سنين: تعني من (٣-٩) سنين، وقيل: كان في سبع سنين، وكان نصر الروم علىٰ الفرس في يوم بدر كما روىٰ الترمذي وابن جرير وغيرهم. وقيل: كان في عام الحديبية السنة السادسة للهجرة.

وهذا النبأ من أنباء الغيب ومعجزة دالة علىٰ أنّ القرآن هو تنزيل من رب العالمين، ودليل علىٰ نبوة محمّد ﷺ، وكان هذا النبأ بمثابة بشارة أثارت فرحة المؤمنين.

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾: لله: اللام للاختصاص. لله الحكم في تقرير من هو الغالب والمغلوب.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: أي من قبل أن تُغلب الروم (أي تُهزم).

﴿وَمِنۢ بَعۡدُ﴾: أي من بعد أن تنتصر الروم.

وانتبه إلىٰ قوله: (من قبلُ ومن بعدُ) بالضم، ولم يقل من قبلِ ومن بعدِ

بالكسر. فالضم يدل على زمن معين قد يطول أو يقصر، ولكنه زمنٌ معلومٌ ومقدَّرٌ، والكسر يدل على زمن غير معين، أو معلوم أو لا يُعلم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي يوم تَغلبُ الرومُ الفرسَ (المجوس). يومئذ: يوم ظرف أضيف إلى (إذ) (بمعنى حين)؛ أي: حينئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى للروم على الفرس.

[٥] ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

النصر: يكون بقتال أو حرب أو عُدة.

أما الفتح: يكون بدون قتال أو حرب أو عُدة.

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾: أي يفرح المسلمون بنصر الله للروم على الفرس. الباء: السببية.

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾: من عباده، من: ابتدائية.

﴿وَهُوَ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، القادر على إنجاز وعده.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بعباده الصالحين أو بالمؤمنين، صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرّحمة. ارجع إلى سورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان.

❖❖❖

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

سورة الروم [الآيات ٦ - ١٥]

[٦] ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: أي هذا النبأ بأنّ الله سينصر الروم على الفرس (المجوس) في بضع سنين، وهو وعد من الله سبحانه، والوعد إذا أُطلق يعني الخير، والوعيد يكون في الشر خاصة، والوعد إذا قيّد قد يكون للخير أو الشر، وإذا جاء في سياق الشر يفيد التهكّم والاستهزاء.

والوعد: يقتضي الإنجاز.

﴿لَا﴾: النّافية لكل الأزمنة.

﴿يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: أي وعد الله سبحانه كائنٌ محققٌ لامحالة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك؛ أي: قليلٌ من النّاس يعلمون أنّ الله منجز وعده، أو كثير من النّاس لا يعلمون أن الله لا يخلف وعده. أو لا يعلمون أمور دينهم وآخرتهم، أو لا يعلمون بواطن الأمور وإنما يعلمون ظاهراً واحداً من جملة الظواهر؛ وهو ظاهر الحياة الدّنيا.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي العلوم المادية من زراعة وصناعة، وتجارة وهندسة وحساب وغيرها؛ أي: يعلمون شيئاً من علوم الدّنيا أو يعلمون متاع الدّنيا وزينتها وملاذّها.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد، ﴿عَنِ﴾: تفيد المجاوزة والمباعدة.

﴿ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾: تكرار (هم) لزيادة التّوكيد، هم غافلون: عن حقيقة الحياة الدّنيا، وأنها مزرعة الآخرة وأنها متاع الغرور. ساهون عمداً غير متيقظين وغير حذرين البعث والحساب والجزاء، وغافلون: جملة اسمية تدل على أن الغفلة أصبحت عندهم صفةً ثابتةً راسخةً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾:

المناسبة: لماذا هم غافلون عن الآخرة؟ لمَ لا يتفكرون في أنفسهم وفي خلق الله السّموات والأرض وما بينهما، فلعلهم بالتفكر يستيقظون من غفلتهم ويؤمنون بالله ولقائه ووحدانيته، ويؤمنون بالآخرة والبعث والحساب والجزاء.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والواو: تفيد شدة الإنكار؛ أي: كيف لا يتفكرون. ولم: حرف نفي.

﴿يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾: يتفكروا؛ أي: ينظروا في الدلائل ومنها: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بالحق؛ أي: بنظام محكم ودقة فائقة لا تتغير وثابتة وتسير في نظام ثابت في أفلاكها ومستمرة إلى يوم القيامة، وأنها لم تخلق عبثاً أو بغير غاية وحكمة. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٩) لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (٢٣-٢٩) والأنبياء آية (٣٠) وفصلت آية (٩-١٢) لبيان معنى خلق السموات والأرض.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والإلزام.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو قيام الساعة؛ أي: لابد أن تنتهي الأرض والسموات وتزول، فلكل شيء أجل مسمى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

فالتفكر في هذه الدلائل لابد أن يوصل إلى الحقيقة أن الله سبحانه واجب الوجود، هو الإله الخالق وحده، وأنه الّذي يستحق أن يُعبد وأن البعث والحساب والجزاء والدار الآخرة حق.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾: رغم كل هذه الأدلة والبراهين على وجوب لقاء الله تعالى والبعث والحساب، لازال الكثير من النّاس بلقاء ربهم كافرين. وهناك فرق بين ﴿كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ فأكثر تعني: أكثر من كثير.

﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾: أي غير مصدقين أو لا يؤمنون، أو يجحدون. إن واللام في (لكافرون) تفيدان التّوكيد، وأما الأقلية فهم بلقاء ربهم يؤمنون.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: لمطلق الجمع. ارجع إلى الآية السّابقة لمزيد من البيان. ولم يقل: أفلم يسيروا؛ الفاء: تستعمل إذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها، وتسمى فاء السببية، أو تذكر الفاء مع الأشد توكيداً.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: السير في الأرض؛ أي: السفر في الأرض، ولم يقل على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض هي جزء من الأرض، وفي: ظرفية مكانية.

﴿فَيَنظُرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: يسافروا من ديارهم للسياحة

ومشـــاهدة آثار وديار الّذين جاؤوا من قبلهم فينظـــروا بأعينهم وببصيرتهم نظرة اعتبار، وهناك فرق بين يســـيروا في فينظروا، أو ثـــم ينظروا، فينظروا: الفاء: تدل علىٰ المباشرة والترتيب، ثم: تدل علىٰ التراخي في الزمن؛ أي: يسيروا في الأرض لسبب ما مثل التجارة أو الدراســـة وبعد ذلك يقوموا بزيارة الأماكن الأثرية التي تركها قوم عاد وثمود ولوط وفرعون وغيرهم.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كيف: استفهام، وتذكير العاقبة دائماً في القرآن تعني العذاب؛ أي: كيف كان هـــلاك وعذاب الّذين من قبلهم من الأقوام كقـــوم عاد وثمود ولوط وفرعون، ولم يقل كيف كانت؛ لأن تأنيث العاقبة يعني: العاقبة الحسنة في القرآن.

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: كانوا أشد منهم؛ أي: من كفار قريش وغيرهم. أشد قوة في الجسم (البنية) والعدد والعتاد وطول العمر.

﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي زرعـــوا الأرض وعمروها بالإنشاء والتعمير والبنيان، واتخذوا من الجبال بيوتاً وبنوا في كل ريع آيةً، والمصانع والقصور.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي أكثر من عمارة أهل مكة.

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: وجاءتهم، ولم يقـــل وجاءَهم، جاءتهم (تاء التأنيث) تدل علىٰ الكثرة، وجاءَهم بالتذكير تدل علىٰ قلة الرّسل.

رســـلهم: جمع رسول مرسل من الله، ولم يقل رســـلنا؛ لأن (رسلنا) تدل علىٰ شدة الأحكام والتكاليف.

بالبينـــات: الباء للإلصـــاق، بالدلائل والبراهين والمعجـــزات الدّالة علىٰ صدق نبوتهم، وعلىٰ وجوب الإيمان بالله وحده وترك الشرك.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، وما: النّافية، ليظلمهم: اللام لتوكيد نفي الظلم؛ أي: لم يظلمهم الله شيئاً ولو مثقال ذرة؛ لأنه سبحانه غني عن ذلك.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ولكن: حرف استدراك وتوكيد. كانوا: في الماضي المنقطع. أنفسهم: حصراً وقصراً، يظلمون أنفسهم بالخروج عن منهج الله تعالىٰ، حيث كفروا وكذبوا بآيات الله تعالىٰ، وأعرضوا وعصوا رسلهم، وتمادوا في بغيهم وطغيانهم ومعاصيهم، فظلموا أنفسهم حيث أوردوها التّهلكة والدمار، وقدّم (أنفسهم) علىٰ (يظلمون)؛ أي: ظلموا أنفسهم خاصة.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ﴾: ذكر العاقبة (باستعمال كان عوضاً من كانت) فقال: (كان عاقبة) وتذكير (العاقبة)؛ يعني في كل القرآن العذاب، وتأنيث العاقبة مثل: (كانت عاقبة) يدل علىٰ الجنة.

﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾: الذين: اسم موصول. أساؤوا إلىٰ أنفسهم أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: أي جهنم، والسُّوأىٰ: مؤنث الأسوأ؛ أي: الأقبح، كما أن الحسنىٰ: مؤنث الحسن.

﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أن: تعليلية.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنية والكونية والمعجزات، والباء للإلصاق والاستمرار. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٤٧) لمزيد من البيان في الآيات.

﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾: الاستهزاء: الطعن بها وتحقيرها، أو الاستخفاف بها والتصغير.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾: يبدأ تعني: الله بدأ الخلق الأول النشأة الأولىٰ، ومازال يخلق (ومازال يبدأ الخلق) فآلاف الولدان يولدون كل يوم، وفي كل عام نرىٰ الأرض تعود مخضرّة، فهو بذلك يبدأ الخلق. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٢٠)، وآية (١٩) لبيان الفرق بين بدأ يبدؤا يُبْدئ الخلق.

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزّمن والترتيب.

﴿يُعِيدُهُ﴾: يوم القيامة بالبعث من القبور.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: ثم إليه حصراً ترجعون للحساب والجزاء، ترجعون قسراً وبغير إرادتكم.

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: الساعة: ساعة تهدّم النظام الكوني الحالي، يُبلس: من: أبلس الرجل؛ أي: سكت وانقطعت حجته، والإبلاس: اليأس من الخير، والمبلِس: الساكت المنقطع الحجة اليائس من الخير؛ أي: يسكت المجرمون الكافرون المشركون والعاصون وتنقطع حجتهم، ولا يجدون ما يقولونه من شدة الأهوال. ارجع إلىٰ سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنىٰ المجرمون.

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا﴾: لم يجدوا أحداً من الّذين اتخذوهم شركاء لله تعالىٰ في الدنيا؛ ليشفعوا لهم في الآخرة أو ليقرّبوهم زلفىٰ، لم يحضروا ليشفعوا لهم ويمنعوهم من العذاب أو يخففوا عنهم يوماً من العذاب.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين منكرين أو متبرّئين. ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: الساعة: ساعة تهدُّم النظام الكوني الحالي: وتكرار يوم تقوم الساعة يدل على التهويل والترويع.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: توكيد ليوم؛ أي: حينئذٍ.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾: أي يتفرق المؤمنون والكافرون بعد الحساب: فريق في الجنة وفريق في السعير؛ لقوله في الآية (١٥) القادمة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية؛ أداة شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ﴾: للتوكيد. فهم: الفاء رابطة لجواب الشرط؛ هم: تفيد التوكيد.

﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾: في جنة، في روضة من رياض الجنة، الروضة: المكان المليء بالأشجار والخضرة والزهور، يحبرون: من الحبور؛ أي: في السرور والفرح ينعَّمون ويكَّرمون.

يحبرون: تدل على تجدد وتكرار حبورهم وسرورهم الّذي لا ينقطع.

❖ ❖ ❖

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الروم [الآيات ١٦ - ٢٤]

[١٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: أداة شرط وتفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالله ووحدانيته، وجحدوا نعمه.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: أي: بالأدلة والبراهين الدالة على وجوب الإيمان بالله ووحدانيته والبعث مثل: الآيات القرآنية أو الكونية، أو المعجزات الدّالة على نبوة محمّد ﷺ.

﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: البعث والحساب والجزاء والعرض على الله.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد والذم.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: جمع محضر؛ من الحضور ضد: الغياب. محضرون: جمع مُحضَر: اسم فاعل من: حضر يحضر: مَن يُحضر رغماً عن أنفه، أو تحضرهم الملائكة قسراً سواء رضوا بالحضور أم لم يرضوا. يحضرون إلى العذاب ليجزوا ما كانوا يعملون. وكلمة محضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب (في كل القرآن).

[١٧] ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾:

المناسبة: حتى تكونوا من أهل الروضة الّذين يُحبرون كما ورد في الآية (١٥)؛ أي: أهل الجنة، وحتى يتحقق وعد الله، عليكم بالتسبيح في دار الدنيا؛ أي: تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله أن يكون مثله شيءٌ. وقيل: التّسبيح يعني: الصّلاة فحين نقول: سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم، فهذا جزء

من الصّلاة، من باب إطلاق الجزء على الكل. ولبيان معنى التسبيح: ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، والحديد آية (١).

﴿حِينَ﴾: ظرف زمان غير محدد.

﴿تُمْسُونَ﴾: تدخلون في المساء، ويعني: صلاة المغرب والعشاء؛ أي: صلوا صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: تدخلون في الصباح، ويعني: صلاة الصبح؛ أي: الفجر، وقدم تمسون على تصبحون؛ لأنه سبقها الحديث عن الساعة، والساعة تأتي أو تقوم في آخر الدنيا، وتمسون من المساء يأتي آخر النهار.

وكذلك سبحانه حين يتوفّى بلايين الأنفس حين منامها تنزيهاً لعظمته وقدرته، وحين تصبحون؛ أي: وسبحانه حين يرسل بلايين الأنفس أو يبعثها إلى أجل مسمى.

[١٨] ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾:

انتبه كيف فصل سبحانه بين: تمسون وتصبحون، وعشياً وحين تظهرون، وجاء بآية: وله الحمد في السّموات والأرض، فالسياق هو: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشياً وحين تظهرون؛ لأن (عشياً) معطوفة على (حين تصبحون) أو على (وله الحمد عشياً وحين تظهرون).

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر؛ أي: له وحده الحمد في السّموات والأرض، في: ظرفية زمانية ومكانية في أيِّ زمان ومكان في السّموات والأرض؛ أي: هو المحمود من أهل السّموات (الملائكة) والأرض الحمد المطلق.

أما الحكمة في المجيء بآية الحمد بين الصلوات فهي: إما تذكير بعدم نسيان

حمده بين الصلوات أو في كل الأوقات فهو ذو الفضل العظيم، أو حتىٰ يعلمنا التسبيح أولاً والحمد ثانياً، كما نقول: سبحان الله والحمد الله، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أو الحمد علىٰ أنّي سبّحت الله تسبيحاً، أو لأنّ الصّلاة هي تسبيح وحمد لله، والآية تحمل كل المعاني.

﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: عشياً؛ أي: صلاة العصر، والعشيّ: وقت العشيّ أو العشاء وهو شدة الظلام.

﴿وَحِينَ﴾: زمن تظهرون صلاة الظهر. تظهرون وسط النهار أو وقت الظهيرة.

فهذه الأوقات الخمسة هي أوقات الصلوات الخمس.

﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: عشياً يمثل الليل، وحين تظهرون يمثل النهار؛ أي: وله الحمد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وعلىٰ مدار الزّمن.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾:

مناسبة ذكر الحي من الميت والميت من الحي بعد قوله: (سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)؛ لأن: تمسون من: المساء؛ أي: الليل والسكون والهمود، وبالتالي النوم الّذي يمثل صورة من صور الوفاة كما قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢].

وتصبحون يمثل النهار والبعث والحياة والنشور؛ أي: النوم يمثل الموت والاستيقاظ يمثل البعث.

يقول: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ويخرج الميت من الحي: ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٢٧) للبيان.

وقوله: يخرج: تدل علىٰ التجدد والتكرار، وهذا ما نراه في كل يوم، وفي آية (٩٥) من سورة الأنعام قال تعالىٰ: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ جاء باسم الفاعل؛ ليدل علىٰ الثبوت، ثبوت صفة الإخراج. ولمزيد من البيان عن هذه الآية ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٩٥).

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: وموت الأرض ذُكر في سورة يس آية (٣٣) ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

وموت الأرض يعني: كونها هامدة وخاشعة، كما ذكر ذلك في سورة الحج آية (٥): ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

وفي سورة فصلت آية (٣٩): ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وإحياء الأرض يكون بالماء كما قال تعالىٰ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: هذا الإخراج بيّنته أحاديث رسول الله ﷺ:

فقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق نفخة البعث (النفخة الثانية) نزولُ ماء من السّماء فتنبت به أجساد العباد، كما ورد في (صحيح مسلم) ثم يرسل الله ـ أو قال ينزل الله ـ مطراً كأنه الطَّلّ فتنبت منه أجساد النّاس.

وهذا الإنبات: إنبات الأجساد يكون من وصول هذا الماء الطَّلّ إلىٰ القبور وإلىٰ بقايا عظم عجب الذنب، وهو يسمىٰ في علم التشريح: عظم العجز فالماء يؤدي إلىٰ تكاثر الخلايا التي بقيت حية وقادرة علىٰ التكاثر، وهي من الخلايا الجذعية المسماة: كاملة القدرات، القادرة علىٰ تكوين الجنين، وهكذا ينمو ويعود الإنسان كما ينبت النبات بعد نزول الماء من السّماء ومن بذرة صغيرة

تكون في الأرض ساكنة حتىٰ يصلها الماء فتتحرك بالحياة، وهذه البذرة موجودة في عجب الذنب.

ففي (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السّماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بلي، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب، منه يُركَّب الخلق يوم القيامة).

وقد وردت أحاديث مشابهة بروايات أخرىٰ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلق وفيه يُركَّب) أخرجه البخاري وأحمد في المسند، ومالك في الموطأ. وفي رواية أخرىٰ لأبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يُركَّب يوم القيامة، قالوا: أي عظم يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه وأحمد.

وهذان الحديثان يشيران إلىٰ أن في عجب الذنب خلايا تبقىٰ حية وقادرة علىٰ التكاثر، ومن نوع الخلايا الجذعية المسماة: كاملة القدرات، القادرة كل منها علىٰ تكوين الجنين لوحدها، وهذه معجزة علمية خالدة تشهد بأن رسول الله عليه الصّلاة والسلام حقٌّ، وعجب الذنب يسمىٰ في علم التشريح: عظم العجز، وقد تبين من الدراسات الجنينية أن هذا العظم يتشكل مما يسمىٰ: الشريط الأول، وهو جزء محوري يظهر في أوائل الأسبوع الثالث ويضمر في نهاية الأسبوع الرابع، ويحوي علىٰ خلايا جذعية من مختلف الأنواع، والاستنساخ يعتمد علىٰ نظرية أن الإنسان يمكن تكوينه من خلية واحدة تحوي (٤٦) كروموسوماً، وبذلك يمكن تفسير أن البعث يوم القيامة أهون من الخلق الأولي، وهذا ما يذكره العلماء، والله أعلم.

وقد وردت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم في تشبيه البعث والنشور بإحياء الأرض بعد موتها بعد نزول الغيث.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩].

[٢٠] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: من ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض آياته الخلقية الدّالة على قدرته وعظمته ووحدانيته وحكمته. وقوله: (من آياته)، ولم يقل (ومن الآيات): تدل على أنها آيات خاصة عظيمة الدلالة.

﴿أَنْ﴾: للتعليل.

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: قد تعني: عند بدء الخلق خلقكم من تراب؛ أي: خلقكم من أبيكم آدم وآدم من تراب؛ لأن آدم هو الأصل فكل فرد فيه ذرات من آدم وآدم كان خلقه من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه من روحه؛ أو قد تعني: خلقكم من سلالة من طين؛ أي: من نطفة ثم علقة ثم مضغة، والنطفة (الحيوان المنوي) مركبة من مواد بروتينية أو عضوية جاءت من الغذاء، والغذاء أصله من نبات الأرض أو الحيوان الّذي يأكل النبات أيضاً، فلو نظرنا في تركيب الإنسان لوجدنا في جسمه أكثر من (١٦) معدناً مثل الكالسيوم والحديد والمغنيزيوم والبوتاسيوم والصوديوم وغيرها، وكلها موجودة في التراب، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣].

﴿ثُمَّ﴾: تدل على الترتيب والتراخي.

﴿إِذَآ﴾: ظرفية فجائية.

﴿أَنتُم بَشَرٌ﴾: مشتقة من البشرة، وهي: ظاهر جلد الإنسان، فهي بشرة خاصة به تميزه عن غيره، ومن البشارة وهي: حسن الهيئة، أو بشرٌ لظهورهم بعكس الجن المستورين أو المختفين.

﴿تَنتَشِرُونَ﴾: من الانتشار وهو: الامتداد والتوزع في الأرض يعيشون في هذا البلد أو ذاك، أو هذه القرية أو المدينة أو الضاحية أو الصحراء، فهذا الانتشار آية من آيات الله؛ لأن كل واحد راض عن مكان إقامته ولا يتذمّر، بل يحب وطنه وأرضه ومستعد أن يدافع عنها.

تنتشرون: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار واستمرار الانتشار.

[٢١] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: ومن: الواو: عاطفة، من: ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض آياته، ولبيان معنى آياته ارجع إلى الآية (٢٠) من نفس السورة، وإلى سورة العنكبوت آية (٤٧).

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي من جنسكم ونوعكم البشري، والمخاطب هنا الذكر والأنثى. و(الأزواج) تعني: الزوج ومعه مثله.

والأزواج تطلق على الذكر والأنثى، أو الزوج تعني: اثنين مفرد معه مثله.

خلق لكم: خاصة من أنفسكم أزواجاً؛ ليحدث التكامل الّذي أراده الله تعالى في الطباع والعادات، ويحدث التكاثر والتناسل من بني الإنسان؛ لتعمر الأرض. فالذكورة والأنوثة آيتان من آيات الله تعالى كما هي آية الليل والنهار.

﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾: بالزواج الشرعي، اللام: لام التّعليل والتّوكيد، تسكنوا إليها: والسكن من السكون؛ أي: الراحة، وسكن إليه؛ أي: استأنس به واستراح إليه واطمأن به، وتعني: السكن في دار واحدة والعيش معاً، والسكن يعني: الراحة وقوف الحركة (المعاني الجامع)، والسكون لتسكنوا إليها؛ أي: تميلوا إليها وتألفوها، أو ليأوي إليها وبما فيها من معنى السكينة النفسية والاستقرار والحماية والأمن والوقاية من الأوبئة والسرور وتبادل الحب والرحمة، والسكينة الجنسية التي تحصل بين الزوجين بعد الثورة الجنسية التي تحصل بينهما، وإنجاب الأطفال الذين هم زينة الحياة وزهرتها.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾: حباً أولاً، فالمحبة تسبق المودة؛ أي: تتجلى آثار المحبة بالمودة فكل مودة محبة وليس كل محبة مودة، فالمودة تشمل المحبة الإخلاص والوفاء وغيرها من المظاهر.

﴿وَرَحْمَةً﴾: تظهر خاصة في النصف الأخير من الحياة الزوجية، فعلى الزوج أن يرحم زوجته والزوجة ترحم زوجها إذا قصرت في واجباتها، وإذا فقدت الرّحمة فالبيت أصبح في خطر، ولابد من الصبر والتحلي بأعلى الأخلاق.

إذن ثلاثة أهداف للزواج: السكن، والمودة، والرحمة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إن: للتوكيد، في ذلك لآيات: اللام في (لآيات) للتوكيد أيضاً.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يتفكرون: في هذه الآيات والدلائل؛ ليصلوا إلى عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته والإيمان به، ويتفكرون بحكمته الجلية علينا في كل لحظة وساعة من ساعات الحياة الدنيا.

[٢٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٠) للبيان، وتكرار (ومن آياته) (٦ مرات): تدل علىٰ التوكيد وأهمية كل آية.

﴿خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: بالحق وخلق السّموات والأرض وما فيهما من آيات كثيرة مثل: خلق السّموات بلا عمد ترونها، وخلقه سبعاً طباقاً، وإمساك السّماء أن تقع علىٰ الأرض، وجعل السّماء سقفاً محفوظاً، والشّمس والقمر والنجوم والجبال والأرض هو أكبر من خلق النّاس. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لبيان معنىٰ الخلق.

﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾: لغاتكم ولهجاتكم والقدرة علىٰ تعلُّم أكثر من لغة والنطق بها، والقدرة أن يتفاهم بعضكم مع بعض.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾: الأبيض والأسود والأسمر والأحمر والأصفر.

وباختلاف الألسنة (اللغات) والألوان يحدث التمايز بين النّاس بالشكل والصورة، وكل هذا التمايز الظاهري ليس له قيمة عند الله إلا التمايز الحقيقي، الّذي هو مبني علىٰ التقوىٰ والتقوىٰ فقط، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾: إن واللام: في الآيات للتوكيد.

للعالمين: اللام لام الاختصاص، للعالمين؛ أي: في ذلك دلالات علىٰ قدرته تعالىٰ للعالمين.

للعالمين: عندنا قراءتان متواترتان.

للعالَمين: جمع عالَم مثل :الحمد لله رب العالمين (عامة الإنس والجن)

للعالِمين: ولم يقل علمـــاء، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: هـــذه الآيات الواضحـــة لا تحتاج إلىٰ علم كبير أو كثرة علـــم، ويمكن إدراكها ومعرفتها بعلم قليل، فهي واضحة للعالَمين، أو للعالِمين الّذين هم قمة في العلم أيضاً.

[٢٣] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١).

﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي البعض ينام بالليل والبعض ينام بالنهار، وجمع الاثنين وقدّم الليل علىٰ النهار؛ لأن الأكثرية تنام بالليل.

﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: بالليل والنهار؛ أي: البعض يشتغل بالليل والبعض يشتغل بالنهار؛ أي: يسعىٰ وراء رزقه، فالليل والنهار آيتان من آيات الله، والنوم واليقظة كذلك من آيات الله سبحانه. فكل هذه الآيات تشير إلىٰ قدرة الله ورحمته بكم.

منامكم بالليل أو النهار لتسكنوا فيه سواء بالليل أو بالنهار، وتنقطعوا عن الحركة فترتاح أجسامكم وتصبح قادرة علىٰ السعي والعمل بعد أخذ نصيب من الراحة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: إن واللام في (لآيات) تفيدان التّوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يسمعون: سماع تدبُّر وفهم وفائدة، لا مجرد ســـمع، واختار كلمة (يسمعون) هنا؛ لأن السمع أو آلية السمع عند النوم تبقىٰ مفتوحة ولا تغلق رغم الظلام المحيط بنا كما يحدث للأعين.

[٢٤] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١) للبيان.

الرعد والبرق: الناتج عن تصادم السحب السالبة والسحب الموجبة الحاملة للشحنات الكهربائية العالية، وهذا التفريغ الكهربائي يؤدي إلى أكسدة كثيرٍ من عناصر الغلاف الغازي للأرض، وينزل المطر على شكل أحماض تتفاعل مع عناصر التربة وتتحول إلى أسمدة تغني الأرض بخيراتها.

﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾: لما يصحبه من صواعق كهربائية وأمطار غزيرة تسبب الفيضانات وانقطاعاً في التيارات الكهربائية.

﴿وَطَمَعًا﴾: في الغيث وإنبات الزرع والفاكهة.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي من السحب الركامية، ﴿مَآءً﴾: أي ماء المطر.

﴿فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: إحياؤها بالماء وبالنبات بعد موتها، ولم يقل من بعد موتها.

بعد موتها: الإحياء في هذه الآية يكون بعد فترة طويلة غير محددة بزمن قد يطول أو يقصر، أما لو قال: من بعد موتها، تدل على المباشرة بعد فترة قصيرة أو كل عام.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: إن واللام تفيدان التّوكيد. لآيات: تدل على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يعقلون: من: عقل الشيء: فهم الشيء، عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه، ووصل وأدرك. فهذه الآيات وحدها كافية لمن يعقل أن يصل إلى الحقيقة؛ وهي أن الله سبحانه هو الإله الخالق المستحق للعبادة، أو المعبود الحق والإيمان به وبلقائه ووحدانيته.

❖ ❖ ❖

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

نصف الحزب ٤١

سورة الروم [الآيات ٢٥ - ٣٢]

[٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: الدّالة على عظمة قدرته وخلقه وألوهيته ووحدانيته هي:

﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد. تقوم السّماء: تقوم بلا عمد وتبقى قائمة لا تزول ولا تتغير ولا تتشقق ولا تتصدع، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٦٥] والسّماء: تشمل السّموات السبع وكل ما علا الأرض من سحاب أو طبقات غازية.

﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: قائمة تدور حول نفسها وحول الشّمس في فلك خاص بها ولا تتغير في دورانها، فلا تزيد سرعتها ولا تنقص، ولا تقترب من الشّمس أو تبتعد. وجاء الفعل (تقوم) بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد والاستمرار.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزّمن. إذا: شرطية تفيد حتمية الدّعاء، دعاكم دعوة من الأرض؛ أي: حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة القيام والبعث للخروج من القبور دعاكم: طلب منكم الخروج، ولم يقل أمركم؛ لأن في الأمر ترغيباً في الفعل.

﴿إِذَا﴾: الفجائية وهي ظرفية زمانية وشرطية.

﴿أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: تبعثون: تنسلون من الأجداث. وأنتم: تفيد التّوكيد إذا الكل يخرج بلا استثناء. ارجع الآية (١٩) من السّورة نفسها؛ لبيان كيفية هذا الإخراج.

[٢٦] ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾:

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: له وحده وحصراً خلقاً وملكاً وتدبيراً وحكماً.

﴿مَن﴾: للعاقل عادة، وتستعمل لإنزال الغير عاقل منزلة العاقل كما في هذه الآية.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في ظرفية، السّموات؛ أي: الملائكة والنجوم والكواكب والمجرات، فالكل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والبقية مسخَّرة.

ومن في الأرض؛ أي: أهل الأرض (الإنس ـ والجن: الثقلان) ومنهم الكفرة والمشركون والعاصون، ومنهم الموحدون المطيعون أيضاً.

كلٌّ له قانتون، والقنوت: هو الطاعة والانقياد لله تعالىٰ، وبالخضوع قسراً كالكافرين والمشركين يبقىٰ هؤلاء خاضعين لله مقهورين بالمرض وحوادث الحريق والكوارث الجوية والموت، فالكل قانت خاضع لجبروته.

[٢٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو عاطفة، هو: تعني الله سبحانه وحده، أو تدل علىٰ واجب

الوجود، وهو (ضمير الغيبة) لا يصح أن يطلق إلا على الله وحده؛ لأنه سبحانه قال: هو الله. ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والسمو.

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: أي بدأ الخلق ولا يزال يبدؤا الخلق ويخلق خلقاً جديداً متى شاء وقدّر، (يبدأ الخلق) تدل على التجدد والاستمرار، ففي كل ثانية يولد مئات أو آلاف الأولاد مثلاً، وملايين الحيوانات والنباتات.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزّمن.

﴿يُعِيدُهُۥ﴾: أي يُعيد خلقه مرة بعد مرة، ويتجدد ويتكرر خلقه ويستمر ولا يتوقف.

أي: يبدأ الخلق ثم يميته ثم يعيده كما بدأه، وهكذا يستمر حتى النفخة الأولى نفخة الصعق، وبعدها تكون آخر إعادة لكل الخلق ويكون يوم البعث.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: ولم يقل وهي أهون عليه؛ هي أهون عليه تعني: عملية الإعادة، بينما (هو أهون عليه) تعني الشيء الّذي يريد إعادته، وكلمة (أهون عليه) لا تدل على أن هناك أشياء أو أموراً صعبة على الله تعالى وهناك أشياء سهلة أبداً، فالكل متساوٍ عنده، ولكنه سبحانه يخبرنا بهذه العبارات؛ أي: بمفهوم الذات البشرية وليس بمفهوم الذات الإلهية، ويخاطبنا على قدر عقولنا فيقول: (أهون عليه). ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم:٩] وهو أهون عليه؛ أي: إعادة الخلق مقارنة ببدء الخلق حسب قانون البشرية.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي لا مثيل له، ليس كمثله شيء، له صفات الكمال والجلال لا إلـه إلا هو ولم يكن له كُفواً أحد، هو الواحد الأحد الغفور الحليم بعباده، سبحانه عما يصفون.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: أي القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. الحكيم في خلقه: لا يخلق شيئاً عبثاً، والحكيم في كونه وشرعه وتدبيره لكل الأمور. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾: ضرب من الضرب، واختار هذه الكلمة وكأن قائل (المثل) يريد أن يترك أثراً في المضروب لـه فيقرع أذنيه بقول: (مثل) يصل إلى أعماق نفسه، وضرب المثل يعني صوغ المثل كما تصاغ العملة الفضية، والغاية من ضرب المثل هو التوضيح وتقريب المعاني للأفهام كأن يضرب شيئاً معنوياً بشيءٍ حسي.

﴿ضَرَبَ لَكُم﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: المثل: هنا يعني تشبيهاً يراد بـه المقارنة والموازنة

والمفاضلة؛ للتفكر وللوصول إلى الحقيقة، وهي وحدانية الله تعالى. من: ابتدائية. أنفسكم: مثلاً تعرفونه من جنسكم تشاهدونه وتعيشونه، أو مثلاً غير بعيد عنكم.

﴿هَل لَّكُم﴾: هل: للاستفهام والتقرير، لكم: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: من: للتبعيض. ما ملكت أيمانكم؛ أي: من عبيدكم أو العاملين عندكم أو الخدم.

﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾: من: تفيد التّوكيد، واستفهامية المقصود منها النّفي؛ أي: مما ملكت أيمانكم تجعلونهم شركاء في أموالكم، ولهم الحق في التصرف في أموالكم كما يشاؤون، وأنتم وهم في المال سواء.

﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: من أموال وعقارات وأراضٍ.

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: أي متساوون فيما بينكم في الحقوق.

﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: تخافونهم؛ أي: بدل أن يخافوكم تصبحون أنتم من يخافونهم في أن تتصرفوا في أموالكم إلا بإذنهم، والسماح لكم، أو تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء الحقيقيون.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي مثل هذا التفصيل بضرب الأمثال نفصّل الآيات: نبيّنها بالإتيان بأمور متعددة ومواضيع مختلفة؛ لكي تصلوا إلى الحقيقة والغاية: أنّ الله هو الإله الحق لا شريك له.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: يعرفون الدلائل ويفهمون الأسباب والنتائج ويصلون إلى الحقيقة وهي: كيف ترضون لرب الأرباب أن تجعلوا له من عبيده شركاء له وأنتم أنفسكم لا ترضون بذلك؟!

[٢٩] ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي أشركوا.

﴿أَهْوَآءَهُم﴾: جمع هوىٰ، والهوىٰ: هو ما تميل إليه النفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل له، وبعيد عن الحق والهوىٰ يغلب عليه الذم، وغالباً ما يكون في الأداء والاعتقاد.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين أنهم سائرون علىٰ طريق الضلال (أو جاهلين أنهم يجهلون).

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: فمن: استفهامية تفيد النّفي، أضل الله: أي من شاء أن يضل نفسه ويبتعد عن منهج الله بعيداً، فالله سبحانه يتركه وشأنه. وجواب الاستفهام محذوف؛ أي: لا أحد يقدر علىٰ هدايته.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ما: النّافية، لهم: خاصة، من: استغراقية، ناصرين: في الدّنيا والآخرة من عذاب الله وسخطه؛ مثل: الملائكة والأنبياء وصالحوا

المؤمنين أو الأصنام أو الآلهة أو الأفراد، وكذلك ما لهم من العلم والحجة والبرهان أو الدليل، أو أي سلطان. إذن إذا قارنا (ما لهم من أنصار): التي تعني فقط ما لهم من شركاء أو أنداداً أو أفراداً أو آلهةً تنصرهم مع (ما لهم من نصير): فيها مبالغة، وتعني: ما لهم من أنصار وما لهم من أي سلطان أو دليل أو برهان أو حجة ايضاً فهي تشمل المعنيين معاً.

[٣٠] ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾: من الإقامة؛ أي: الأخذ به كاملاً، والخطاب موجَّهٌ إلى الرّسول ﷺ وإلى أمته.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾: الوجه: دليل الذات، فالوجه يعني الذات (مجاز مرسل) والوجه أشرف الأجزاء، فأقم وجهك للدين: تعني الإقبال عليه والأخذ به كاملاً (فلا تؤمن ببعض وتكفر ببعض) والاستقامة والثبات عليه والإخلاص لله بالتوحيد، وإسلام الوجه.

﴿حَنِيفًا﴾: مسلماً؛ أي: مائلاً عما دون الله أو غير الله.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: الفطرة هي: الإسلام؛ أي: الزم فطرة الله التي فطر النّاس عليها، والفطرة هي: الخِلْقة التي خلق الله عليها النّاس فطرة الإيمان بالله تعالى والإسلام.

أي: اتبع الدين القيّم، واتبع فطرة الله تعالى التي فطر النّاس عليها.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لا تبديل لدين الله بالشرك أو البدع، أو لا تبدلوا خلق الله بالبَتْك أو التغيير.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد يفيد المدح.

﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم الذي لا انحراف فيه والحق. والقيم لغةً: جمع كلمة قيمة، والقيم: الذي لا تقوم الحياة إلا به، هو مجموعة من التشريعات الربانية المشتملة على الأخلاق؛ دين الله دين الإسلام، الدين القيّم؛ أي: الحق.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: للتوكيد، لا يعلمون التوحيد والإسلام وأنه الدين القيّم الحق، وضرورة الاستقامة عليه، وفطرة الله.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

هذه بعض الوسائل لإقامة الوجه للدين القيّم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: الإنابة هي: سرعة التوبة والرجوع إلى الله.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أي واتقوا الله، والتقوى: امتثال أوامر الله بطاعة أوامره وتجنب نواهيه؛ كي تجعلوا وقاية بينكم وبين غضبه وسخطه والنار.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أتمّوها بكل شروطها وأركانها وخشوعها ولأوقاتها.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: يعني الشرك الخفيّ أو الرياء.

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾:

ولا تكونوا من المشركين، من الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً.

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾: من: ابتدائية، الذين: اسم موصول.

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾: أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو فرقوا دينهم إلى مذاهب شتى واعتقادات باطلة، أو جعلوا دينهم فِرَقاً وطوائف مختلفة وبدعاً ما أنزل الله بها من سلطان.

وكانوا شيعاً: فِرقاً، وشيعة الرجل: الجماعة التي يميل إليها ويعتنق أفكارها وقيمها، وأصلها من: الشياع؛ وهي الحطب الدقيق الذي يجعل مع الجزل في النّار لتشتعل.

﴿كُلُّ حِزْبٍ ﴾: كل جماعة رأيهم ونزعتهم واحدة.

انتبه إلى هذا التدرج من القلة إلى الكثرة: نفر، رهط، شِرذمة، قبيلة، عصبة، طائفة، ثلّة، فوج، حزب، زمرة، فئة (فقه اللغة للثعالبي).

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾: ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٥٣).

❖❖❖

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

سورة الروم [الآيات ٣٣ - ٤١]

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه، وهو أن يمس الناس ضره.

﴿مَسَّ﴾: المسُّ هو اللمس الخفيف، أو الإصابة الطفيفة أو الخفيفة.

﴿ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾: ضرٌّ جاء بصيغة النكرة؛ تعني: أيَّ ضرٍّ من فقر ومرض وبلاء، أو نقص في الأموال والأولاد. والضُّر: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه أو بدنه أو عرضه أو ماله. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (١٢) لمزيد من البيان.

أما الضَّر: ضد النفع: ما تضر به آخر وتنفع نفسك؛ أي: إذا مسَّ النّاس ضرٌّ يسيرٌ خفيفٌ.

﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: دعوا ربهم لكشف الضرِّ عنهم. مخلصين إليه؛ أي: علموا أن لهم رباً فلجؤوا إليه ساعة الضيق والضر، ورجعوا إلىٰ طاعته وقطعوا ما بينهم وما بين الشرك؛ لينجوا؛ أي: أخلصوا في طاعتهم وأصبحوا موحّدين، وهذه تعتبر إنابة اضطرار بسبب الشدة والضيق.

﴿ثُمَّ إِذَآ﴾: أذاقهم منه رحمة. (ثم) تدل علىٰ تباعد وتباين بين (منيبين إليه) و(يشركون).

﴿إِذَآ﴾: ظرفية فجائية.

﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: أذاقهم مشتقة من: الذّوق فقط مجرد إذاقة؛ أي: التناول الخفيف.

﴿مِّنْهُ﴾: تعالىٰ، تقديم (منه) علىٰ الرّحمة: يدل علىٰ الاهتمام وعلىٰ قدرته وعظمته؛ أي: خلّصهم من الضر وأذاقهم بدل الضّر رحمةً مثل: الصحة والرخاء والغنىٰ والأمن، رحمة: نكرة، أيّ رحمة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: إذا: ظرف زماني يدل علىٰ الفجأة. فريق منهم؛ أي: من الّذين كشف عنهم الضر.

﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: فريق منهم عادوا إلىٰ شركهم بربهم وظلمهم وعنادهم، وفريق منهم آمنوا واتقوا ربهم واستمروا علىٰ ذلك.

وإذا قارنّا هذه الآية (٣٣) من سورة الروم: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ مع الآية (٦٥) من سورة العنكبوت: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، نجد في آية الروم: فريق منهم أشركوا فقط، بينما الكل أشركوا في آية العنكبوت؛ وسبب ذلك أن الّذين دعوا ربهم في آية الروم كانوا علىٰ اليابسة؛ أي: البر، وأما الّذين دعوا ربهم في آية العنكبوت كانوا في البحر، الكل كان سيغرق.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكْفُرُوا﴾: اللام لام الاختصاص والتّوكيد، والتوبيخ والتقريع، أو لام العاقبة، أو تسمىٰ لام الأمر وتفيد التهديد والوعيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والإلزام، ما: بمعنىٰ: الّذي آتيناهم، و(ما) أوسع معنىً من (الّذي) وتشمل كل شيء.

﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: من الإيتاء وهو: العطاء بدون تملك. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: انتبه إلىٰ تحويل الخطاب من الغائب (ليكفروا) إلىٰ خطاب الحاضرين (فتمتعوا)؛ للإنذار والتهديد الشديد، ولم يضف إليها اللام؛ أي: لم يقل فليتمتعوا؛ لأنه ليس لها حاجة للتأكيد فهم يسمعون مباشرةً.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف تدل علىٰ الاستقبال والتراخي في الزّمن. تعلمون: عاقبةَ كفركم، والإنذار والتهديد هنا علىٰ كفرهم بالله وبالنعمة معاً.

[٣٥] ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية (٢٩) وهي قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أو أنزل عليهم سلطاناً؛ أي: كتاباً يأمرهم بالشرك والضلال، وتقديرها: أهم اتبعوا أهواءهم أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون؟

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار، أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أنزلنا دفعة واحدة، والإنزال يكون من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، و(علىٰ) تفيد العلو والاستعلاء، و(أنزلنا) بصيغة الجمع للتعظيم والإنذار الشديد.

﴿سُلْطَٰنًا﴾: السلطان: هو الحُجة القوية التي لا تدحض، والسلطان يقسم إلىٰ: سلطان الحجة والبرهان أو سلطان القوة والقهر.

والسلطان هنا: سلطان الحجة والبرهان، والحق: لم ينزل عليهم لا حجة ولا سلطاناً ولا كتاباً ولا آية تبيح لهم الضلال والشرك.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: أي يشهد بشركهم وبصحّته ويقول: اتبعوا أهواءكم أو أشركوا، فليس هناك بعث ولا حساب ولا جزاء!

﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: الباء للإلصاق، وقد تكون سببية؛ أي: يتكلم بالأمر الّذي بسببه يشركون. أو يتكلم بالبرهان أو السلطان الّذي بسببه يشركون.

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: شرطية تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿أَذَقْنَا﴾: مجرد الإذاقة باللسان خفيفة، والإذاقة تكون في الخير والشر وهنا جاءت في سياق الرّحمة، ولو قال: أنعمنا، يكون الإنعام فقط في الخير.

﴿النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾: الفرح يعني السرور. رحمة: جاءت بصيغة النكرة؛ تعني: الصحة والمال والولد والخصب والرخاء. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: إن: شرطية تدل على قلة الحدوث أو الاحتمال. سيئة: نكرة؛ تعني: الشدة والمرض أو الفقر والجذب، والسيئة: ما يسيء إلى النفس. ارجع إلى سورة هود آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: الباء تعليلية أو سببية، استعمل (أيديهم)؛ لأن معظم المعاصي والذنوب تُرتكب بالأيدي، ولم يقل: كسبت أيديكم؛ لأن الكسب حالة خاصة من ما قدمت الأيدي، وتأتي في سياق الرزق والربح والخسارة.

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: إذا: ظرفية فجائية، هم: ضمير يفيد التّوكيد. يقنطون: من القنوط: وهو أشد اليأس، والقنوط أخص من اليأس؛ أي: ييأسون بشدة من الفرج، وذلك بسبب كفرهم؛ أي: يقنطون حين تصيبهم سيئة وينسون الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

انتبه في هذه الآية أولاً: استعمل (إذا) مع الرّحمة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا

ٱلنَّاسَ ﴾ وإذا تدل على الكثرة، واستعمل (إن) مع السيئة فقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ و(إن) تدل على القلة؛ لأن المصائب والسيئات التي يبتلي بها الله العباد أقل بكثير من النعم التي ينعمها الله على عباده.

ثانياً: لم يذكر السبب في إذاقة الرّحمة؛ لأن الرّحمة غالباً هي فضل وإحسان من الله على عباده والناس ليسوا أهلاً لها، وأما المصيبة فذكر العلة أو السبب (بما قدّمت أيديهم) حتى لا يظن أحد أن المصيبة أو السيئة تنزل بالعبد إلا بما قدّمت يداه وليس ظلماً.

[٣٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والإنكار، والواو في (أولم): للتوكيد والجمع، أو مطلقة. لم: للنفي والإنكار، معناه: نفي ودخول نفي على نفي فهو إثبات، فمعناها: فليروا أن الله يبسط. يروا: رؤية بصرية أو رؤية فكرية قلبية؛ وتعني: يعلموا؛ أي: أولم يعلموا؟! والعلم أوسع من الرؤية.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التّوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾: يبسط: يوسع ويغني أحداً من عباده ويقدر: يضيق ويفقر عبداً آخر، وفي كلا الحالتين الغنى أو الفقر فتنة وابتلاء للعبد، وقد تكون فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر.

ارجع إلى سورة الرعد آية (٢٦) للمقارنة بالآيات المشابهة لهذه الآية وسورة سبأ آية (٣٦) وآية (٣٩).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: إن واللام في (لآيات) للتوكيد. آيات: بينات ودلالات واضحة على قدرة الله وعظمته، وأن الغنى آية من الآيات والفقر آية من الآيات، فالغنى يستوجب الشكر، شكر المنعم، والفقر يستوجب الصبر.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: يستفيد منها الّذين يؤمنون؛ أي: يتجدد إيمانهم ويتكرر ويؤمنون؛ أي: هم سائرون على درب الإيمان ولم يقل لقوم مؤمنين؛ أي: الّذين ثبت عندهم الإيمان وأصبح صفةً ثابتةً لهم.

(قوم مؤمنين) أعلى درجة أو إيماناً من (قوم يؤمنون).

ولنقارن هذه الآية (٣٧) من سورة الروم مع الآية (٥٢) من سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾. ما الفرق بين (يروا) وبين (يعلموا): العلم أوسع من الرؤية، فالعلم يتناول الموجود وغير الموجود (الحاضر والغائب). والرؤية ثلاثة أنواع: قد تعني رؤية قلبية فكرية أو رؤية تعني الظن ورؤية قد تعني الرؤية الحقيقية البصرية (رؤية العين).

[٣٨] ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

المناسبة في الآية السّابقة أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، فجاءت هذه الآية (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)؛ لكي تحثّ مَن بسط الله رزقه على الإنفاق في سبيل الله؛ ليكون من المفلحين.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء آية (٢٦) للبيان.

والفاء في (فآت): للتوكيد، وتعني: تَنبَّه أيها العبد فآت ذا القربى.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: ذلك اسم إشارة يفيد البعد ويشير إلى إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، خير: أفضل وأنفع وأحسن.

﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، لمن يقصدون بإيتائهم

وجه الله: مرضات الله وثوابه ورضوانه؛ أي: لا يريدون سمعة ولا رياءً ولا شهرة إلا الإخلاص والإيتاء لوجه الله فقط.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد والكاف للخطاب، تفيد العلو.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالجنة والناجون من النّار. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥) للبيان.

ثـــم ذكر نوعين من الإيتاء: الإيتاء الأول المحرّم أو القبيح وهو: الربا، وأما الثاني فهو الحسن والمقبول وهو: الزّكاة.

[٣٩] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو: استئنافية، ما: شرطية.

﴿ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: آتيتم في لغـــة العصر تعني: توظيف الأموال أو استثمار الأموال الزائدة عن حوائجكم.

﴿مِّن رِّبًا﴾: من لبيان الجنس؛ أي: من جنس الربا، والربا ربا النســـيئة وربا الفضل. والربا في اللغة: الزيادة والنمو، واصطلاحاً: عند الفقهاء: إما ربا الجاهلية (ربا القرض): وهو الزيادة في الدين مقابل التأجيل ســـواء اشترطت عند حلول الأجل أو في بدايـــة الأجل، و(إما ربا البيوع) وهو نوعـــان: الأول: ربا الفضل: وهو الزيادة في أحد البدلين الربويين المتفقين جنســـاً. الثاني: ربا النســـيئة: وهو تأخير القبض في أحد البدلين الربويين المتفقين في علة الربا وليس أحدهما نقداً. وباختصار الربا: كل زيادة مشروطة مقدماً علىٰ رأس المال مقابل الأجل وحده.

﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: تعني: توظفوا أموالكم أو تستثمرونها عند من تطمعون أن يردّها إليكم بأكثر منها؛ أي: بأكثر من رؤوس أموالكم؛ (أي من يتداولون بالربا) ربا النسيئة أو ربا الفضل.

﴿لِّيَرْبُوَا۟﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد.

﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: في أموال النّاس؛ لأن أموال الّذين يتعاملون بالربا كالبنوك وشركات الأسهم هي من أموال النّاس وليست أموال فرد معين أو أموالهم؛ أي: ما تستودعونه أو تضعونه في البنوك أو شركات الأسهم وغيرها؛ ليزداد ويكثر في تلك الأموال الربوية.

﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي لا يزكو ولا يبارك الله فيه ويضاعفه، وقد يربو عندك بالزيادة التي تأخذها من الفائدة أو الأرباح الكاذبة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: ما: شرطية كالسابقة، التكرار للتوكيد، آتيتم: أعطيتم أو أنفقتم، من: ابتدائية بعضية.

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: تبغون رضا وثواب الله، وبدون قصد الشهرة والسمعة أو الرياء.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد؛ أي: العلو والمدح.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: جمع: مضعف، اسم فاعل من الفعل الرباعي: أضعف؛ أي: صار ذا ضعف؛ أي: المضعفون ثوابهم وأجرهم، أو ذوو الأضعاف الكثيرة من الحسنات، وكما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦] أو

تعني: الّذين يخرجون أو يتصدقون بنسبة تفوق نسبة الزّكاة نسبة تصل إلىٰ (٥٪ أو ١٠٪) من أموالهم أو أكثر.

انتبه إلىٰ كيفية كتابة الربا في هذه الآية، فهذه الآية هي الوحيدة أو المرة الواحدة فقط التي كتبت بهذا الشكل الربا، بينما في باقي الآيات كتبت بالشكل التالي الربوا، وتبين أن كتابة الربا بهذا الشكل تعني: أقل أنواع الربا، أما كتابة الربوا بهذا الشكل تعني: الربا الّذي فيه كثرة وزيادة، والله أعلم.

ملاحظة أخرىٰ: يدخل في الربا أن يهدي الرجل للرجل شيئاً ويقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك. هذا قول ابن عباس.

ملاحظة أخرىٰ: الانتقال من صيغة المخاطب (وما آتيتم من زكاة)، (فأولئك) بصيغة الغائب: للفت الانتباه؛ أي: المضعفون ليسوا فقط هم الّذين يزكون أموالهم فهناك غيرهم المضعفون ممن يعملون الصالحات.

[٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

بعد أن توقف عن السؤال (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) يستأنف السؤال من جديد لتقرير عقيدة التوحيد والتنديد بالشرك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: الله: الاسم الدال علىٰ واجب الوجود؛ أي: الإله المعبود، الذي: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، والخلق لغة يعني: التقدير، ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدَّكم.

﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾: ثم تفيد الترتيب والتراخي.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: بعد انقضاء آجالكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: يوم البعث.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام الإنكاري والنفي.

﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾: من: استغراقية تشمل كل الشركاء الّذين اتخذتموهم شركاء لله تعالىٰ.

﴿مَّن يَفْعَلُ﴾: من: استفهامية للتعليل، يفعل: تفيد التجدد والتكرار والاستمرار.

﴿مِن ذَٰلِكُم﴾: من: للتوكيد ونفي الجنس، ذلكم؛ أي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء، (ذلكم) ولم يقل ذلك؛ للتعظيم والمبالغة، ولأن (ذلكم) تشير إلىٰ عدة أمور هي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

﴿مِّن شَيْءٍ﴾: من: للتوكيد، شيء: الشيء: هو كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً، وهو أقل القليل، وشيء: نكرة؛ تعني أيَّ شيء ولو قلَّ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزّه وتقدّس في ذاته وصفاته وأفعاله، وتعالىٰ وتعاظم أن يكون له شريكٌ أو ندٌّ أو ولدٌ.

[٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾: ظَهَرَ: بان وانتشر وأصبح ظاهراً للعيان.

و(ظهر) يعني: كان موجوداً بالفعل ولكننا كنا لا نراه، أو يستحي من يفعله أن يخبروا عنه أو يطلعوا النّاس عليه. أما الآن فالكل يراه ويعلم به ويفعلونه جهراً وعلناً.

﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: في: ظرفية، البر: في الأرض.

الفساد يعني: القتل وإهلاك الحرث والنسل، والشرك وارتكاب المعاصي،

والفواحش، والظلم، والربا، والزنى، وشرب الخمور والفجور، والفسوق، والعصيان.

﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: في الأرض، و(في البحر) في الفلك، وعلى شواطئ البحار، والمتنزهات والجزر.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي﴾: الباء: للإلصاق باء السببية، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، ما: للعاقل وغير العاقل.

كسبت: (كسبت) ولم يقل اكتسبت؛ لأن ارتكاب المعاصي والفواحش أصبح شيئاً سهلاً يمارس بكثرة وبلا جهد أو حياء، وكأنه أصبح أمراً عادياً أمراً مباحاً يمارسه الكثير علناً وبلا خوف أو رادع.

﴿أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾: اختار الأيدي؛ لأن معظم المعاصي والسيئات تُرتكب بالأيدي، أو هي الوسيلة للقيام بالفساد مثل القتل والظلم والربا، ولم يقل عملت أيدي النّاس، قال: (بما كسبت)؛ لأن السياق في الآيات التي تتحدث عن الربا والزكاة والمال سياق في الكسب؛ تعني: ما فعلوه من معاصي وآثام وفواحش وظلم وطغيان وهو زيادة (أو كسب) على ما لم يفعلوه من عدم الطاعة كالصلاة والإنفاق في سبيل الله والصيام وغيرها من العبادات.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾: اللام: للتوكيد والتّعليل، يذيقهم بعض الّذي عملوا: يذيقهم في الدّنيا قبل الآخرة؛ أي: عاقبة بعض أعمالهم وليس كلها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يرجعون: يتوبون إلى الله ويعودون إلى الطاعة والصلاح، ويرجعون عن ارتكاب المعاصي.

❖❖❖

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ۖ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

سورة الروم [الآيات ٤٢ - ٥٠]

[٤٢] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة: (ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلهم يرجعون) ولمَ لا يسيرون في الأرض فينظروا بأنفسهم كيف كان عاقبة الّذين من قبل.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾. ارجع إلىٰ الآية (٩) من السّورة نفسها للبيان.

﴿مِن قَبْلُ﴾: تعني منذ زمن قصير ليس زمناً بعيداً.

﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾: والقليل كانوا من المؤمنين. كان: قد تدل علىٰ الزّمن الماضي أو الحاضر. مشركين: باتخاذ الآلهة أو بأنّ لله ولداً أو الملائكة بنات الله وغيرها.

[٤٣] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية السّابقة (كان أكثرهم مشركين) فلا تكونوا أمثالهم، فأقيموا وجوهكم للدين القيّم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة رقم (٣٠) للبيان، والخطاب وإن كان موجّهاً إلىٰ رسول الله ﷺ فالمقصود منه أتباعه من المؤمنين.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: بالإخلاص والتوحيد توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والاستقامة على دين الإسلام.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي من قبل أن يأتي يوم القيامة الّذي لا يقدر على ردِّه أو دفعه، أو تأخيره أو منع عذابه وأهواله أحد. أو أن الله سبحانه إذا قضى الأمر لا يعود ولا يرجع فيه.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: أي يتصدّعون؛ أي: يتفرّقون، مشتقّة من: تصدّع البناء؛ أي: تشقّق؛ أي: ينفصل بعضهم عن بعض: المؤمن عن الكافر، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾:

﴿مَن كَفَرَ﴾: من: شرطية، ومن تصلح للمفرد والمثنى والجمع، كفر بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: الفاء: للتوكيد، عليه: على تفيد الاستعلاء والمشقة والعلو؛ أي: فعليه وبال كفره أو عليه وزره.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: من: الشّرطية كالسابقة، عمل صالحاً: الفروض والنوافل.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، أو رابطة لجواب الشرط، واللام لام الاختصاص والاستحقاق. له: تفيد النفع.

﴿يَمْهَدُونَ﴾: مأخوذة من المهد وهو: فراش الطفل، ومهَّد فراشه؛ أي: وطّأه، يوطّئون لأنفسهم منازل في الجنة. مهد لنفسه الطريق إلى الجنة، أو مهد لنفسه بعمله الصالح؛ أي: سهّل لنفسه دخول الجنة.

انتبه إلىٰ قوله (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً) جاءت بصيغة المفرد، أما قوله: (فلأنفسهم يمهدون) جاءت بصيغة الجمع ولم يقل فلنفسه يمهد، قالوا: لأن ثواب عمله الصالح الّذي يعمله لنفسه كذلك تستفيد منه ذريته. كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. [الطور: ٢١].

ولماذا قدّم الكفر علىٰ الإيمان فقال: (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم) أي: قدّم الكافر علىٰ الّذي يعمل صالحاً؛ لأنّ سياق الآيات في الحديث عن الفساد في البر والبحر كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [آية: ٤١]، وكذلك قوله تعالىٰ في الآية (٤٢): ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾، وكذلك لكثرة الكافرين مقارنة بعدد المؤمنين.

ولماذا قال: (من عمل صالحاً) ولم يقل آمن وعمل صالحاً؛ لأن العمل الصالح لا يُقبل إلا بالإيمان؛ أي: لا يُقبل إلا إذا كان مقترناً بالإيمان فلا داعي لذكر الإيمان، أو لأنه ذكر الإيمان في الآية القادمة (٤٥).

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية السّابقة: (فلأنفسهم يمهدون) ليجزي الّذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام: لام التّعليل والتّوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قرن العمل الصالح بالإيمان فلا يكفي أحدهما علىٰ حدة، وقد يتعرض العمل الصالح إلىٰ محبطات كثيرة تجعل كثيراً من الأعمال الصالحة هباءً منثوراً وعلىٰ رأسها الشرك.

﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: الفضل: الزيادة عما يستحقه من الأجر، فمن فضله وكرمه يُدخلُ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، ولا يدخلونها بعملهم مهما كان.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الكافرين: أي الّذين أصبح الكفر صفةً ثابتةً عندهم، وقوله: (لا يحب الكافرين) فيها تهديد ووعيد لهم.

في هذه الآية نلاحظ أنه قدّم الّذين آمنوا وعملوا الصالحات على الكافرين؛ لأنّه أسند الجزاء إلى نفسه، قدّم المؤمن على الكافر إظهاراً لكرمه ورحمته وحبه للمؤمنين، وفي هذه الآية إيجاز وحذف مع ظهور المعنى بدلالة السياق، فمثلاً:

ليجزي الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله وليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا إنه لا يحب الكافرين.

ولا يظن أحد مهما عمل من عمل صالح وأخلص لوجه الله وسعى أنه يوجب على الله سبحانه أيَّ أجر أو جزاء مهما كان؛ لأنه سبحانه غني عن العالمين وعن إيمانهم، حتى ولو كانوا على أتقى قلب رجل في الدّنيا.

[٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

المناسبة: (ومن آياته) هذه المرة السابعة التي يعيد ذكر (ومن آياته) (كما رأينا في الآيات: ٢٠-٢٥) الدّالة على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته، والبعث وقدرته وعظمته. أو هذه الآية متصلة بقوله تعالى: (ليجزي الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله)، ثم ذكر سبحانه (من فضله علينا أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠)

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾: التي تحمل السحاب وتبشّر بنزول المطر الّذي يُحيي الأرض بعد موتها، وبالتالي يخرج به الزرع والحب والنخيل والأعناب. يرسل: تفيد التجدد والتكرار. مبشرات: من البشارة؛ أي: الخبر السار. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٩) وسورة النحل آية (٨٩) للبيان.

من خصائص القرآن أن كلمة (الرياح) تحمل في معناها الخير، بينما كلمة (الريح) تحمل في معناها الشر والدمار؛ أي: يستعمل الرياح في سياق الخير ويستعمل الريح في سياق الشر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، من: بعض رحمته؛ أي: من خيره بنزول المطر الّذي يؤدّي إلىٰ الخصب وسعة الرزق والغنىٰ.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، الفلك: السفن في البحر تجري بسبب الرياح، والله هو الّذي يُزجي الفلك في البحر.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل بنقل التجارة في البحر والصيد والسياحة وغيرها من أنواع الفضل، والواو في (ولتبتغوا من فضله) بجريان الفلك وغيرها من وسائل ابتغاء الرزق، وزيادة الواو في كلمة ولتبتغوا: تدل علىٰ منافع، أو نعم أخرىٰ لم تذكرها الآية.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلكم: للتعليل، تشكرون: المنعم علىٰ فضله ونعَمِه وتؤمنوا به وتوحّدوه، ومجيء الواو في (ولعلكم) تعني: لعلكم تشكرون هذه النِّعم وغيرها من النِّعم التي لم تُذكر. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الشكر.

[٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الآيات الدّالة على عظمته وقدرته ووحدانيته، وعلى قدرته على البعث والإحياء، يذكر أمراً آخر وهو: إرسال الرّسل والأنبياء وما حدث لمن كذبهم.

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا ﴾: أرسلنا، ولم يقل بعثنا، لمعرفة المعنى والفرق بينهما ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿مِن قَبْلِكَ ﴾: تعني منذ زمن غير بعيد، والخطاب موجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ.

﴿رُسُلًا ﴾: الرّسل هنا تعني: الأنبياء والرّسل فالكل رسل من الله، وإن كان هناك فرق بين الرسول والنبي. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) للبيان.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾: كل رسول أرسل إلى قومه؛ لكونه يعرفهم ويعرفونه وليس غريباً عنهم.

﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، بالبينات؛ أي: الأدلة والبراهين الدّالة على صدق الأنبياء وصدق نبوتهم ودعواهم إلى الإيمان والتوحيد. الباء في (بالبينات) تدل على الإلصاق والاستمرار.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾: حذف ما حدث بعد المجيء بالبينات ولم يقل فكذبوهم وأعرضوا، ولم يؤمنوا وتمادوا بعد ذلك بالتحدي والإنكار والضلال، وانتقل إلى: (فانتقمنا منهم) بصيغة الجمع والتعظيم؛ للدلالة على شدة الانتقام؛ أي: أهلكناهم جميعاً.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أي من الّذين كفروا وأشركوا وعصوا وقتلوا أنبياءهم وحاربوا دينهم. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان معنىٰ أجرموا.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وكان: كان تشمل كل الأزمنة، حقاً: من الحق وهو: الأمر الثابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: وعداً علينا نصر المؤمنين علىٰ الكافرين بإهلاك الكافرين وتدميرهم، وإنقاذ المؤمنين من شرهم وأذاهم.

[٤٨] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: سبحانه ﴿ٱلَّذِى يُرْسِلُ﴾.

﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: في القرآن تدل علىٰ الخير، و(الريح) تدل علىٰ الشر والدمار. ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٤٦) من السّورة نفسها.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: السحاب: عبارة عن بخار الماء المتبخر من البحار والأرض، وله أربعة أنواع:

١ - السحب الضبابية: تشكل الضباب.

٢ - السحب المبسوطة: أي المتصلة ببعضها.

٣ - الكسف: جمع كِسفة: أي قطعة ثم يجعله كِسفاً؛ أي: قِطعاً وتحمل المطر.

٤ - السحب الركامية: تسبب المطر والرعد والبرق والثلج.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: من هذه الكسف أو القطع.

﴿فَإِذَآ﴾: ظرفية للمستقبل؛ تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: هطل المطر على من يشاء من عباده.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزول المطر الّذي يخرج به الزرع والحب والخصب، والثمر والحصاد والرزق.

ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة النور لمزيد من البيان.

[٤٩] ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: كانوا تعود على (عباده)، من قبل: من: ابتدائية، قبل: ظرف زماني؛ أي: قبل إرسال الرياح وإنزال المطر.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: الودق أو المطر.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من: ابتدائية، قبله: أي من قبل نزول المطر.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: اللام للتوكيد، مبلسين: جمع مبلس، والإبلاس: القنوط والسكون والكآبة؛ أي: قانطين مكتئبين؛ لعدم نزول الودق. مبلسين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: مصابين بيأس أو قنوط دائم مستمر.

[٥٠] ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: للتوكيد، انظر: نظرة قلبية فكرية تبصرية، نظرة تأمل وتعقّل؛ لتصل بها إلى الحقيقة.

﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾: آثـار جمع: أثر؛ أي: آثـار رحمت الله؛ أي: المطر والزرع والثمر والرزق والمال.

آثار: أي ما تـرك أو خلّف وراءه: كيف أصبحـت الأرض مخضرّةً بعدما كانت يابسة هامدة ميتة.

﴿كَيۡفَ﴾: للاستفهام، وتحمل معنىٰ التعجب.

﴿يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾: بعد موتها؛ أي: بزمن قريب أو بعيد، ولم يقل من بعد؛ تعني فقط من قريب. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٦٣) للبيان.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسـم إشارة للبعد يفيد المدح والتعظيم؛ أي: القادر علىٰ إحياء الأرض بعد موتها.

﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: الـلام لام التّوكيـد، ومحيي الموتىٰ: اسـم فاعل يفيد الثبوت، محيي الموتىٰ بعد موتهم يوم البعث. ارجع إلىٰ الآية (١٩) من السّـورة نفسها للبيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان.

❖ ❖ ❖

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

سورة الروم [الآيات ٥١ - ٦٠]

[٥١] ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، وإن: شرطية تفيد الاحتمال وقلة الحدوث؛ لأن الريح التي تحمل الشر والدمار قليلاً ما تحدث.

﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: ريحاً: مثل ريح السَّموم أو ريح العقيم أو ريح صرصر عاتية، أي ريحاً ضارة لا نفع منها، أرسلناها على الزرع والثمر.

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: رأوا زرعهم أو حرثهم أو نباتهم مصفراً يابساً أصفر اللون بعد الاخضرار، مما يدل على موت الزرع والنبات وأنه سيصبح حطاماً.

﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: اللام: للتوكيد، ظلوا: من الظلّ؛ أي: استمروا طوال النهار. من بعده: من بعد اصفرار الزرع والنبات والحرث. يكفرون: الكفر هو: الستر؛ أي: ينكرون نِعَم الله الأخرى وما سلف، ويئسون من روح الله وفرجه ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وهذا دليل على ضعف إيمانهم، وما هو إلا فتنة لهم ولكن لا يشعرون.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾:

المناسبة في الآية السّابقة قال تعالى: (لظلوا من بعده يكفرون) أي: الكفار وفي هذه الآية يقول الله سبحانه لرسوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي الكفار،

فجعلهم في حكم الأمـوات وهم لازالوا أحياء يرزقـون؛ لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون من آيات الله ولا من وعد ولا وعيد.

وكذلك ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المصابين بالصَّمم في آذانهم؛ لأنهم لا يريدون الاستماع إليك. شبَّههم بالصمّ؛ لأنهم عطّلوا حواسهم ويحاولون أن يولُّوا مدبرين بالفرار والهرب منك خوفاً من أن يسمعوا آية أو حديثاً يقضُّ مضاجعهم.

ولا تسمع: تكرار (لا) لتوكيد النّفي.

﴿الدُّعَاءَ﴾: حين تدعوهم للهدىٰ والإيمان.

﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: أي إذا ولّـوا إليك ظهورهم وانصرفـوا عنك، ولم يعد هناك أمل في عودتهم، فما عليك إلا البلاغ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾:

وإذا قارنـا هذه الآية: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِ﴾ بحذف اليـاء، وفي الآية (٨١) من سـورة النمل قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي﴾ بإضافة الياء، وإذا جمعنا الآيتين معاً؛ أي: أنت يـا محمد ﷺ لن تكون قادراً علىٰ هداية هـؤلاء العمي هداية المعونة أو الهداية الخاصة للدخول في الإسـلام مهما حاولت، أو استغرقت من الزمن الطويل أو القصير، وسواء أكانت هدايتهم تحتاج إلىٰ زمن طويل، أم قصير.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾:

هذا دليلٌ آخر علىٰ قدرة الله وعظمته في خلق الإنسان، والتدرج في منحه

القوة والقدرة ثم نزعها منه فهو يخلق ما يشـــاء ويفعل ما يشاء ولا مدبِّر ولا مغيِّر لخلقه أو حكمه، وهذا دليلٌ آخر على قدرته على البعث والإحياء.

﴿ٱللَّهُ﴾: تقديم الفاعل يدل على الاهتمام والتعظيم والحصر.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: من: ابتدائيـــة؛ أي: ابتدأ خلقكم، ضَعف: بفتح الضاد، وهنـــاك من يقرأها بضم الضـــاد مثل الفَقر والفُقـــر؛ أي ضعف الطفولة يحتاج إلى من يطعمه ويرعاه، وينظفه ويحملـــه، ويعلّمه ويمدّه بالحنان، وينفق عليه ويقف بجانبه.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: ثم: للترتيب والتراخي في الزّمن.

جعل: صيَّر من بعد الطفولة قوّةً؛ أي: قوة الشباب والفتوة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: ثـــم: للترتيـــب والتراخـــي من بعد مرحلة الشـــباب مرحلة الشيب والهرم. ضعفاً: ضعف الكبر يسري أو يصيب كلَّ الأطراف وشـــيبه، والشيب هو بياض الشعر، ضعفاً يسري في كل الأعضاء؛ أي: يعيد الإنسان إلى الضعف كما بدأ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من ضعف وقوة، وشـــيبة وشـــيخوخة، وهلاك وموت. بحسب حكمته.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقـــه وبتدبير خلقه، العليم بما يجـــري من تحوّل وتغيّر في الخلق، ويعلم بواطن الأمور وظواهرها.

﴿ٱلْقَدِيرُ﴾: على ما يشاء لا يعجزه شيءٌ في الخلق والتصوير والإنشاء والإبداع، القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الدلائل على عظمته وقدرته ووحدانيته، وقدرته على البعث وتغيير الخلق، يذكر طرفاً مما سيحدث يوم القيامة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: الساعة هي آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة تهدُّم النظام الكوني، وهي تقوم وتحدث بغتة ولا يعلمها إلا هو سبحانه، فلم يطلعها على ملكٍ ولا رسول؛ أي: زمن قيامها.

﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يقسم الكافرون أو المشركون أو العاصون. المجرمون: جمع مجرم، وأجرم فلان؛ أي: أذنب وخالف القانون، والفعل الّذي قام به يسمى جريمة. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) للمزيد في معنى المجرمون. والقسم في القرآن يأتي في سياق الصدق، أما الحلف في القرآن فيأتي في سياق الكذب؛ أي: حين يرون أحداث الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة.

﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: أي يقسموا ما لبثوا أو مكثوا طويلاً في الدّنيا غير ساعة: فقط ساعة، أو قيل: في قبورهم، وهو قسم صادق؛ لأنهم صادقون في شعورهم. ما لبثوا: ما: النّافية، واللبث يدل على الإقامة المحددة بزمن معين، (غير ساعة) غير: تفيد الاستثناء، و(الساعة) تعني: مقدار ساعة من ساعات اليوم؛

أي: (٦٠) دقيقة مقارنة بالآخرة، ورغم كونها ساعة لم يستفيدوا منها وينقذوا أنفسهم من جحيم الآخرة.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾: أي: مثل ذلك، أو كذلك؛ أي: كهذا الكذب؛ أي قولهم: (ما لبثوا غير ساعة) كانوا يؤفكون في الدّنيا: يصرفون عن الحق، ويكذبون بالرسل وبآيات ربهم، وبالبعث والحساب والجزاء، والإفك: هو الكذب المتعمد، أو قلب الحقيقة أو الصرف عن حقيقة الشيء.

[٥٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

وقال الّذين أوتوا العلم والإيمان لهؤلاء المجرمين الّذين أقسموا ما لبثوا غير ساعة.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾: الّذين أوتوا العلم في جميع القرآن فيها ثناء حسن لهم. قيل: هم الملائكة الّذين شهدوا ما حدث، والأنبياء والرسل والمؤمنون المتقون من الإنس الّذين أوتوا العلم: علوم الدين. وقيل: هم العلماء المتقون حقاً: الذين قرنوا العلم والدين معاً.

هذا هو جواب الّذين أوتوا العلم للمجرمين:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿لَبِثْتُمْ﴾: اللبث هو الإقامة المحددة بزمن معيَّن ولو كان طويلاً، الإقامة الطويلة.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾: أي لقد لبثتم في الدّنيا أو في القبور، أو ما بين النفختين ما كتبه الله لكم في اللوح المحفوظ، وكما سبق علمه أو حكمه تعالى.

هذا هو جواب الّذين أتوا العلم للذين أجرموا.

﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (فهذا) الفاء: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلى يوم البعث. يوم البعث: الّذي كنتم تكذبون به وتنكرونه، (ولكنكم كنتم لا تعلمون): بعد أن أتى الله لكم بالبينات والحجج والبراهين التي كان عليكم الأخذ بها وتدبُّرها، ولكنكم لم تصدّقوا بها، فهذا يوم البعث الّذي لم تصدّقوا به وتعلموا أنه كائن.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم القيامة أو قيام الساعة.

﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: لا النّافية، ينفع الّذين ظلموا: أشركوا أو كفروا وظلموا أنفسهم أو غيرهم، أو كذبوا الرّسل والبعث والحساب.

﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾: أي لا يقبل لهم عذر ولا توبة ولا حجة.

﴿وَلَا هُمْ﴾: لا النّافية، تكرارها يفيد توكيد النّفي، هم: للتوكيد، يستعتبون: من العتاب: وهو حوار بين اثنين أو أكثر بسبب تضييع حق من الحقوق يستعتب أحدهما الآخر فأعتبه؛ أي: استرضاه بما لديه من عذر أو قول أو حجة فأرضاه.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي لم يطلبوا العُتبى بأنفسهم وإنّما طلبوا من غيرهم أن

يطلب لهم؛ حتىٰ يـؤذن لهم بالعتاب. ولم يجرؤ أحـدٌ أن يطلب لهم ذلك وقد وردت يُسـتعتبون في ثلاث آيات، ووردت كلمة يَستعتبون بفتح الياء: أي طلبوا العتاب بأنفسهم ولم يسمح لهم ذلك. وقال ابن عباس: لا يقبل من الذين أشركوا عُذر ولا توبة.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾: الضـرب يعني الصّـوغ والتبيين والتمثيـل، والضرب فيه معنىٰ التأثيـر والتهييج للنفوس، وضرب أذن السـامع، أو قرع أذنه بالأمثال المختلفة. للنـاس: اللام لام الاختصـاص. النّاس: الإنـس والجن والمؤمن والكافر، والناس مشـتقة من: النَّوس: الحركة. ارجع إلىٰ الآية (٢٨) من السّورة نفسها.

﴿فِي هَٰذَا﴾: في: ظرفية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلىٰ القرآن الكريم.

﴿الْقُرْآنِ﴾: سـمّي قرآناً؛ لأنه مقروءٌ. ارجع إلىٰ سـورة الحجر آية (١) لمزيد من البيان في معنىٰ القرآن.

﴿مِن﴾: اسـتغراقية، ﴿كُلِّ﴾: للتوكيـد، ﴿مَثَلٍ﴾: هو قـول موجز يراد به مقارنة شيء معنوي بشيء حسي، أو المقارنة والموازنة بين أمرين، أو تشبيه حال

بحال أخرىٰ؛ أي: ضربنا لهم أمثلة عديدة علىٰ التوحيد والبعث وصدق الرّسل والشرك. والمثل يضرب لإزالة أي غموض أو جهل.

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾: اللام للتوكيد، إن: شرطية. جئتهم بآية: من آيات القرآن، أو تلوت عليهم آية من آيات القرآن، أو الآيات المعجزات، أو الكونية، أو الدلائل، أو البينات.

﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام والنون في (ليقولن) للتوكيد.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: إن نافية، أشد نفياً من ما، أنتم: أيها المؤمنون وتشمل الرسول ﷺ والمؤمنين معاً، أو الرسول وأتباعه؛ أي: أنت مبطل وأتباعك. إلا: تفيد الحصر، مبطلون: أهل باطل فليس هناك دين حق وبعث وحساب. أو كاذبون والباطل: الشيء الّذي لا وجود له. أو الذاهب؛ أي: الزائل كالزَّبد الّذي يحمله السيل فيذهب جفاء، الرعد آية (١٧).

[٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ما يطبع الله علىٰ قلوب الّذين كفروا الّذين لا يصدّقون بأيِّ آية تأتيهم أو مثلٍ يُضرب لهم.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: نتيجة جهلهم وتقصيرهم في تعلُّم التوحيد والبعث، وغفلتهم وعدم النظر في آيات الله والأدلة الكونية الدّالة علىٰ وجوده وقدرته، والطبع أشد من الختم، والطبع علىٰ القلوب؛ يعني: لا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر. وقوله كذلك يطبع الله علىٰ قلوب، ولم يقل كذلك يُطبع علىٰ قلوب تدل علىٰ شدة التوبيخ والطبع.

[٦٠] ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾:

﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾: الفاء: للتوكيد، اصبر على أذى كفار مكة وتكذيبهم وكيدهم، اصبر على دعوتك إياهم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر:٥١] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾، وعد الله حق: ثابت لا يتغير، ولا بد من إنجازه والوفاء به.

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾: لا النّاهية، يستخفنّك: النون للتوكيد، (يستخفنك) من: استخفّ فلانٌ فلاناً: استجهله، ظنّ به طيشاً وقصوراً عقلياً يؤدي إلى الغضب، وترك العمل أو الرسالة والدعوة والتبليغ، وترك الحلم والثبات. الّذين لا يوقنون: لا يوقنون بالبعث والحساب، والجزاء والآخرة؛ أي: لا يعلمون الحق، أو الشّاكّون الضّالّون. اليقين هو: العلم بأنّه لا يكون غيره، واليقين درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من بيان معنى اليقين.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ لُقْمَانَ

ترتيبها ٣١ آياتها ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ۚ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٣١)، وترتيبها في النّزول (٥٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ الآيات التالية أو السّابقة، أو آيات القرآن عامة، اللام للبعد والكاف للخطاب، ولام البعد تشير إلىٰ علوِّ منزلة هذه الآيات وقدرها.

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: جمع آية؛ وتعني: آيات الكتاب (القرآن) وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور وجاء معرفاً بأل التعريف للدلالة علىٰ الكمال. ولمزيد من البيان ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: مشتقة من الحكمة والحكم، صيغة مبالغة.

الحكيم: ذو الحكمة والموصوف بالحكمة.

والحكيم: أي الحاكم غيره؛ أي: مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فهو الحاكم علىٰ الكتب السّابقة.

والحكيم: المحكم؛ من الإحكام: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير). ارجع إلىٰ سورة يونس آية (١) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿هُدًى﴾: أي تلك الآيات هي الهدىٰ أو مصدر الهداية، أو الهادية للحق وللصراط المستقيم (الإسلام) وللغاية؛ وهي سعادة الدارين.

﴿وَرَحْمَةً﴾: الرّحمة لغة: هي رقة القلب وعطفه.

فالآيات هي إنعام وفضل ورحمة من الرب علىٰ عباده؛ لتجلب لهم كل خير، وتدفع عنهم كل ضر، فهي وقاية لهم من الضلال والشك والمعاصي.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المحسنين: الّذين وصفتهم الآية التالية لهذه الآية: الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون.

المحسنون: أعلىٰ درجة من المتقين، فالمحسن هو المتقي الّذي لم يقتصر أثر إيمانه وتقواه علىٰ نفسه بل تعدىٰ إلىٰ غيره من النّاس ووصل إحسانه إلىٰ غيره، وأحسن في إيمانه بالإخلاص والتوحيد وأحسن في عبادته إحسان الكمّ والكيف؛ والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان في معنىٰ الإحسان.

هدىٰ ورحمة للمحسنين. ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة النّمل للمقارنة.

وإذا قارنّا هذه الآية (٣) من سورة لقمان وهي قوله تعالىٰ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله تعالىٰ في الآية (٢) من سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، نرىٰ زيادة كلمة (رحمة) في آية لقمان؛ لأن المحسنين أعلىٰ درجة من المتقين فلما أحسنوا في عبادتهم، وإحسانهم تعدّاهم إلىٰ غيرهم، زادهم الله تعالىٰ رحمة.

[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٣) من سورة النّمل، وسورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في معنىٰ اليقين.

[٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة للبيان.

[٦] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾:

سبب النّزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النّزول) قيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث الّذي كان تاجراً إلىٰ فارس يشتري أخبار الأعاجم ويعود ويخبر بها قريشاً ويقول لهم: إن محمّداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم والأكاسرة، مما أدىٰ إلىٰ جذب طائفة من النّاس للاستماع له.

وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترىٰ جارية مغنية.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: من ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض النّاس أمثال النضر ابن الحارث.

﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾: كل ما يلهو به النّاس من الغناء والقصص والأساطير والخرافات، يشتري: من الشراء الّذي يدفع معه ثمن؛ أي: يشتري بماله.

واللهو: كل ما يشغل الإنسان عما يهمّه عن واجب أو عن شيء نافع.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: اللام لام التّعليل والتوكيد، ليضل عن سبيل الله: ليصرف أو يمنع النّاس من الدخول في الإسلام، مما يؤدي إلىٰ ضلالهم وصدهم عن الحديث النافع.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: جهلاً منه وحماقةً، ويشتري أشياء بغير علم، (علم) نكرة؛ تعني أيَّ علم بالتجارة، ويشتري أشياء تخسر ولا تعود عليه حتىٰ برأس ماله، ويشتري بغير علم ويضل بغير علم؛ لأنه جاهل أحمق.

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: يتخذها؛ أي: الآيات أو السبيل؛ أي: الدين لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف:١٠٨]، (فهي مؤنثة) هزواً: أي يستخف بها أو يعيب عليها ويصغّر من قدرها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أولئك: اسم إشارة للبعد، لهم: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق.

عذاب مهين: مصحوب بالإهانة والألم؛ لأنه سيكون أمام النّاس وفيه ذلة.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية، تدل علىٰ حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: تُقرأ عليه آياتنا (آيات القرآن)، تتلىٰ: من التلاوة؛ وهي القراءة المتتالية من كتاب الله. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٤٥).

﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أعرض عنها، مستكبراً عن قبول الحق والإذعان لله بالعبادة، وتعود علىٰ الّذي يشتري لهو الحديث.

وقال مستكبراً لا يريد سماع آيات الله كفراً وتكبراً، ولم يقل متكبراً؛ لأن مستكبراً ليس عنده مقومات الكبر مثل الغنىٰ والشرف، إذن استكباره باطل وليس له حق أن يتكبر كالفقير المستكبر.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: وقراً: ثقلاً في السمع يمنعه من السماع الجيد، أو ولّىٰ مستكبراً مشبهاً من في أذنيه وقر، ولم يقل صمم؛ لأن الصمم يدل علىٰ عدم السماع بشكل مطلق، وهو كان يسمعها ويتخذها هزواً.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: ونحن نعلم أن البشارة تكون عادة في الخير، والإخبار بشيء سار، والفاء تدل علىٰ التّوكيد. وأما البشارة بعذاب أليم تعني: التهكم والسخرية منه.

وفي هـذه الآية قال: عذاب أليم، وفي الآية السّـابقة: عذاب مهين، وهذا ليـس فيه تعارض مرة يكون عذاباً مهيناً أمـام النّاس وفيه مذلة ومرة أليماً فيه ألم شديد وليس أمام النّاس وعلىٰ مرآهم.

ولا بـد من مقارنة آية لقمان هذه وهـي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ مع الآية (٨) من سورة الجاثية وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ليس المستمع واحداً، في آية لقمان يسمع كأن لم يسمع كأن في أذنيه وقراً، بينما في آية الجاثية يسمع كأن لم يسمع ولم يقل في أذنيه وقراً.

لأن في الجاثية قال: يصر مسـتكبراً (أي علىٰ عدم التراجع أو الاسـتماع) فهذه تعادل أو تساوي كمن في أذنيه وقراً، فصار أحد اللفظين يُغني عن الآخر.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾:

مقابل الّذين يشـترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله هناك الّذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾: إن للتوكيد، الّذين اسم موصول.

﴿ءَامَنُوا۟ ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: الفرائـض والنوافـل، وغيرها من شـعب الإيمان والأعمال الصالحة؛ أي: قرنوا الإيمـان بالعمل الصالح، فأحدهما لا يكفي ولا بدّ من الآخر.

﴿لَهُمْ ﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق.

﴿جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾: جنات: حدائق وبسـاتين في الجنة وتسمىٰ جنات النعيم،

النعيم الدائم الّذي لا ينقطع أو ينقص. ارجع إلى سورة يونس آية (٩) لبيان جنات النعيم.

[٩] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

﴿خَٰلِدِينَ﴾: من الخلود وهو البقاء الدائم المستمر إلى ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿فِيهَا﴾: في جنات النعيم، فيها: ظرفية مكانية.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾: مصدران مؤكدان. والوعد في القرآن الكريم للخير والشر، وإذا أطلق اختص بالخير والوعيد يكون في الشر.

حقاً: من الحق: الأمر الثابت الّذي لا يتغير؛ أي: وعداً ثابتاً لا يتغير من الله العزيز الحكيم الّذي يملك كل أسباب الوفاء.

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: القوي الّذي يَقهر ولا يُقهر ويَغلب ولا يُغلب، والممتنع لا يضرّه أحد من عباده.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة الروم.

[١٠] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾: خلق السّموات: ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (١٠-١١): لمعرفة معنى الخلق.

ورفعها بغير عمد ترونها. العمد: الدعامة أو العواميد.

فالسموات مرفوعة بعمد؛ أي: لها عمد ولكن لا نراها، فالمنفي هنا الرؤية وليس العمد، والقول: ليس لها عمد على الإطلاق؛ أي: مرفوعة بلا عمد: غير صحيح.

والعمد هي القوىٰ التي تمسكها وهي:

١ - القوىٰ النووية الشديدة.

٢ - القوىٰ النووية الضعيفة.

٣ - القوىٰ الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).

٤ - قوىٰ الجاذبية وهي أضعف القوىٰ المعروفة وتساوي (١٠-٣٩) من القوة النووية الشديدة.

ويجب أن نفرق بين قوة الجاذبية: وهي قوة الجذب للمادة الموجودة في تركيب جسم ما، وبين موجات الجاذبية الصادرة عن قوىٰ خارجية صادرة عن الأجرام السماوية الأخرىٰ. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: ألقىٰ في الأرض رواسي (جبال) تشكلت من مكونات المواد البركانية التي سقطت علىٰ الأرض، فالرواسي تشمل الجبال والألواح القارية في عمق البحار، والمعادن الصلبة كالحديد في باطن الأرض، وهناك فرق بين (ألقىٰ) و(جعل) فيها رواسي: ألقىٰ يدل علىٰ أن الجبال تشكلت مما يخرج من باطن الأرض من الحمم البركانية، والجعل يشير إلىٰ الألواح القارية والمواد الصلبة المكونة لباطن الأرض.

﴿أَن﴾: تعليلية.

﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾: تضطرب بكم وتتحرك وتهتز؛ أي: لئلا تَميد بكم، أو كراهة أن تميد بكم وتحدث الزلازل والبراكين.

وفي هذه الآية قال تعالىٰ: ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وفي سورة النّحل آية (١٥): ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، أما في سورة الأنبياء آية (٣١) قال تعالىٰ: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

والفرق بين الآيتين: يستعمل الله سبحانه ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ في سياق ذكر نِعم الله تعالىٰ علىٰ عباده.

ويستعمل ﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾ في سياق تبيان عظمته وقدرته سبحانه.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: البث: النَّشر فيها (في الأرض)؛ من: استغراقية، والدابة: كل ما يدبّ على الأرض؛ أي: يمشي على الأرض من الحيوانات عامة والثقلين الإنس والجن؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤)، والعنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

﴿مِن﴾: استغراقية تستغرق كل دابة، وأحياناً قالوا: الدابة تشمل الإنسان والجن والحيوان. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

وهذا البث والنَّشر آية من آيات الله تعالى، فكل دابة موزعة على سطح وباطن الأرض تشكل أمماً أمثالنا.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: بعد أن ذكر وألقى وبثّ قال: وأنزلنا.

﴿وَأَنزَلْنَا﴾: ولم يقل وأنزل، أسند الإنزال إليه سبحانه واستعمل ضمير التعظيم.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: من السماء من السُّحب الرُّكامية، ماءً: ماء المطر، والسماء تعريفها: كل ما يعلوا الإنسان فالسماء تعني: السحب.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض. أنبتنا: للتعظيم، أو الجمع، وتعني: مشاركة الإنسان في عملية الإنبات، والزرع والحرث وغيرها.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من استغراقية، كل زوج كريم، زوج: صنف.

زوج كريم: البالغ في الجودة الكثيرة والخير والنفع، كثير النفع.

وحين يتحدث عن البهجة والسرور على نفس الناظر يقول زوج بهيج. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٧) للبيان المفصل في معنى زوج كريم وزوج بهيج.

[١١] ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾:

الخطاب موجَّـهٌ للجاحدين بآيات الله الكونية التي ذكرت سـابقاً، خلق السّموات بغير عمد، الرواسـي، بثَّ فيها من كل دابة، إنزال الماء وأنبتنا فيها من كل زوج كريم، وغيرها من الآيات.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾: أي هذا ما خلق الله وحده وليس معه شـريك، أو هذه مخلوقات الله تعالىٰ، أو صنع الله تعالىٰ المتقن العجيب المتعدد.

﴿خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾: تسـع كلَّ الخلق، و﴿ هَٰذَا ﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسـم إشارة للتقريب.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا ﴾: ماذا: قد تكون كلمة واحدة، أو تتركب من ما: الاستفهامية، وذا: اسم إشارة، أو ما الاستفهامية، وذا اسم موصول بمعنىٰ الذي.

﴿خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾: أي: أروني الذي خلقه الذين تزعمون من دونه أنهم شركاء لله.

﴿بَلِ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: المشركون، والظلم: هو الشّـرك، فحين يُعبد ما لا يستحق العبادة يعتبر ظلماً وإهانة للنفس، والظلم هو الخروج عن منهج الله تعالىٰ.

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: مبيـن: ظاهر وواضـح لكل فرد ولا يحتـاج إلىٰ أحد ليظهره، فهو ضلال ظاهر واضح بنفسه.

❖ ❖ ❖

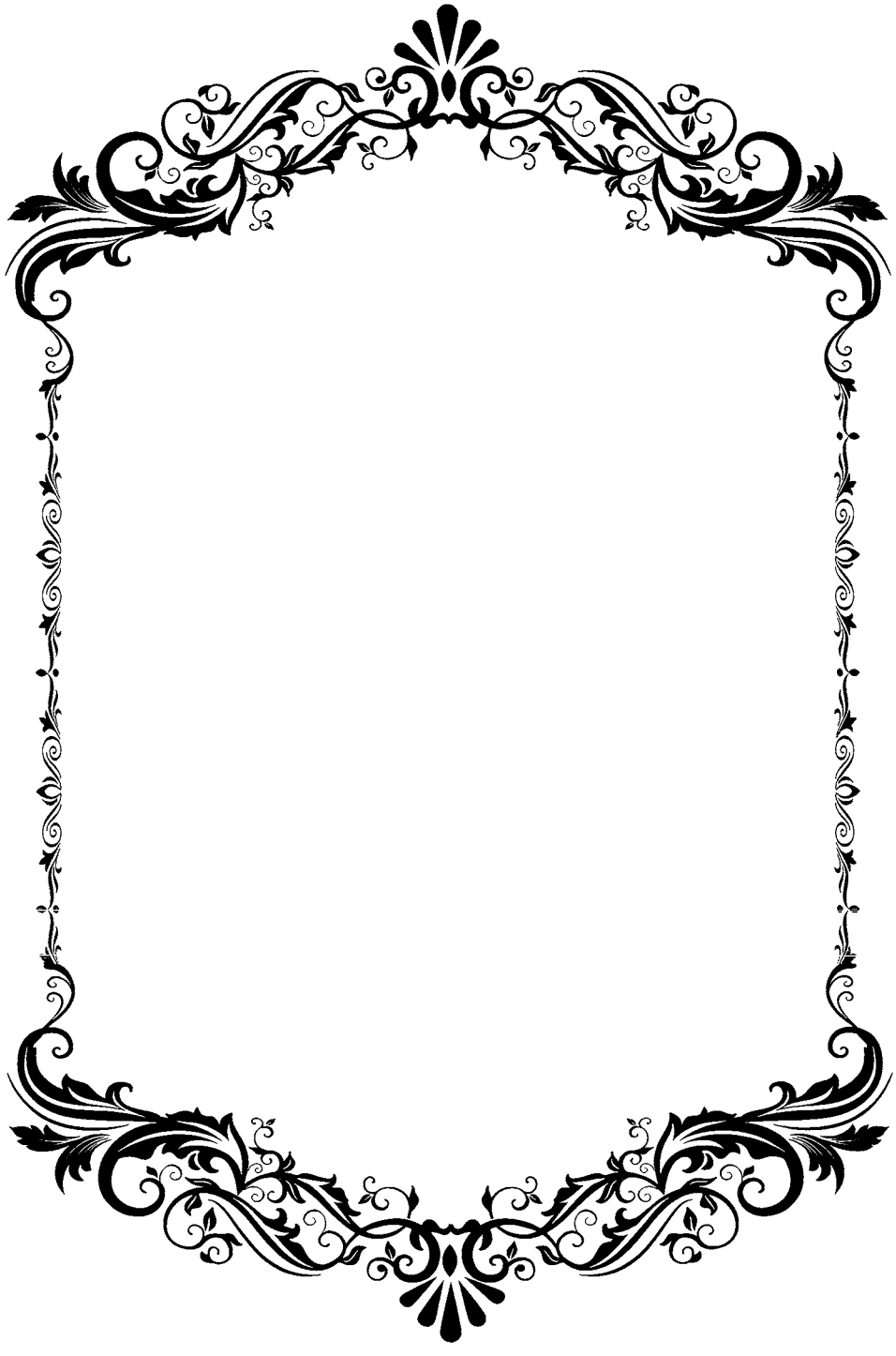

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثامن

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الفرقان [الآيات ١٢ - ٢٠]	٦
سورة الفرقان [الآيات ٢١ - ٣٢]	١٧
سورة الفرقان [الآيات ٣٣ - ٤٣]	٢٩
سورة الفرقان [الآيات ٤٤ - ٥٥]	٣٩
سورة الفرقان [الآيات ٥٦ - ٦٧]	٥٣
سورة الفرقان [الآيات ٦٨ - ٧٧]	٦٥
سورة الشّعراء [الآيات ١ - ١٩]	٧٥
سورة الشّعراء الآيات [٢٠ - ٣٩]	٨٩
سورة الشّعراء الآيات: [٤٠ - ٦٠]	١٠١
سورة الشّعراء الآيات [٦١ - ٨٣]	١١٣
سورة الشّعراء الآيات [٨٤ - ١١١]	١٢٧
سورة الشّعراء الآيات [١١٢ - ١٣٦]	١٤١
سورة الشّعراء الآيات [١٣٧ - ١٥٩]	١٥٣
سورة الشّعراء الآيات [١٦٠ - ١٨٣]	١٦٣
سورة الشّعراء الآيات [١٨٤ - ٢٠٦]	١٧١
سورة الشّعراء الآيات [٢٠٧ - ٢٢٧]	١٨٣
سورة النّمل [الآيات ١ - ١٣]	١٩٥
سورة النّمل [الآيات ١٤ - ٢٢]	٢٠٩

السورة ورقمها	الصفحة
سورة النّمل [الآيات ٢٣ - ٣٥]	٢١٩
سورة النّمل [الآيات ٣٦ - ٤٤]	٢٢٧
سورة النّمل [الآيات ٤٥ - ٥٥]	٢٣٧
سورة النّمل [الآيات ٥٦ - ٦٣]	٢٤٧
سورة النّمل [الآيات ٦٤ - ٧٦]	٢٥٧
سورة النّمل [الآيات ٧٧ - ٨٨]	٢٦٩
سورة النّمل [الآيات ٨٩ - ٩٣]	٢٧٩
سورة القصص [الآيات ١ - ٥]	٢٨٥
سورة القصص [الآيات ٦ - ١٣]	٢٩١
سورة القصص [الآيات ١٤ - ٢١]	٣٠٣
سورة القصص [الآيات ٢٢ - ٢٨]	٣١٣
سورة القصص [الآيات ٢٩ - ٣٥]	٣٢١
سورة القصص [الآيات ٣٦ - ٤٣]	٣٣١
سورة القصص [الآيات ٤٤ - ٥٠]	٣٤١
سورة القصص [الآيات ٥١ - ٥٩]	٣٤٩
سورة القصص [الآيات ٦٠ - ٧٠]	٣٥٩
سورة القصص [الآيات ٧١ - ٧٧]	٣٦٩
سورة القصص [الآيات ٧٨ - ٨٤]	٣٧٩
سورة القصص [الآيات ٨٥ - ٨٨]	٣٨٧
سورة العنكبوت [الآيات ١ - ٢]	٣٩٣
سورة العنكبوت [الآيات ٧ - ١٤]	٣٩٩

السورة ورقمها	الصفحة
سورة العنكبوت [الآيات ١٥ - ٢٣]	٤٠٩
سورة العنكبوت [الآيات ٢٤ - ٣٠]	٤٢٣
سورة العنكبوت [الآيات ٣١ - ٣٨]	٤٣٣
سورة العنكبوت [الآيات ٣٩ - ٤٥]	٤٤١
سورة العنكبوت [الآيات ٤٦ - ٥٢]	٤٥١
سورة العنكبوت [الآيات ٥٣ - ٦٣]	٤٦١
سورة العنكبوت [الآيات ٦٤ - ٦٩]	٤٧٣
سورة الروم [الآيات ١ - ٥]	٤٨١
سورة الروم [الآيات ٦ - ١٥]	٤٨٥
سورة الروم [الآيات ١٦ - ٢٤]	٤٩٣
سورة الروم [الآيات ٢٥ - ٣٢]	٥٠٥
سورة الروم [الآيات ٣٣ - ٤١]	٥١٥
سورة الروم [الآيات ٤٢ - ٥٠]	٥٢٧
سورة الروم [الآيات ٥١ - ٦٠]	٥٣٧
سورة لقمان [الآيات ١ - ١١]	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع	٥٥٧

❖ ❖ ❖